



الجامعة الأمريكية المفتوحة  
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المعاجم والمصاحف



## الجامعة الأمريكية المفتوحة

مؤسسة تعليمية  
مستقلة غير ربحية

Web Location:  
[www.aou.edu.com](http://www.aou.edu.com)

King Street  
Alexandria, VA  
U.S.A

مكتب الجامعة بالقاهرة  
Email: [Info@aou-cdu.com](mailto:Info@aou-cdu.com)

هاتف: ٤١١٥٢٧٦  
فاكس: ٤١١٥٢٦٠

مركز البحوث وإعداد  
المنهج بالجامعة

٢٠ ش عبد العزيز عيسى المنطقة  
التاسعة - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: ١١٢٠٢٦٧٠٩٢٦٩

## حقوق الطبع محفوظة لدار الأندلس الخضراء

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: ص ب: ٤٢٢٤٠٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف: ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

المكتبات: حي السلامة - حلف مسجد الشعبي هاتف - فاكس: ٦٨٢٥٢٠٩

حي الثغر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨

مكتب الرياض: هاتف / فاكس: ٢٤٢٤٩٢٠

الموقع: [www.atandalos.com](http://www.atandalos.com)

البريد الإلكتروني: [info@atandalos.com](mailto:info@atandalos.com)

حقوق الطبع © ١٤٢٥هـ. لا يُسمح بإعادة نشر هذا  
الكتاب أو أي جزء منه بشكل من الأشكال أو حفظه  
ونسخته في أي نظام رقمي أو إلكتروني يُمكن من  
استرجاع الكتاب أو أي جزء منه. ولا يُسمح باقتباس  
أي جزء من الكتاب أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون  
الحصول على إذن من دار الأندلس الخضراء.

## لجنة إعداد وتطوير المناهج بالجامعة

مكتب القاهرة - مكتب جدة



نشارك في إعداد مادة هذا الكتاب:

أ.د / عبد الحميد أبو سكين.

الأستاذ المتفرغ بكلية اللغة العربية

جامعة الأزهر بالقاهرة

إشراف ومتابعة

د / محمد يسري إبراهيم

رئيس مركز البحوث وإعداد المناهج بالقاهرة

# بسم الله الرحمن الرحيم

## رسالة إلى الدارس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا،  
ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً،  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الإخوة والأخوات طلبة وطالبات الجامعة الأمريكية المفتوحة:

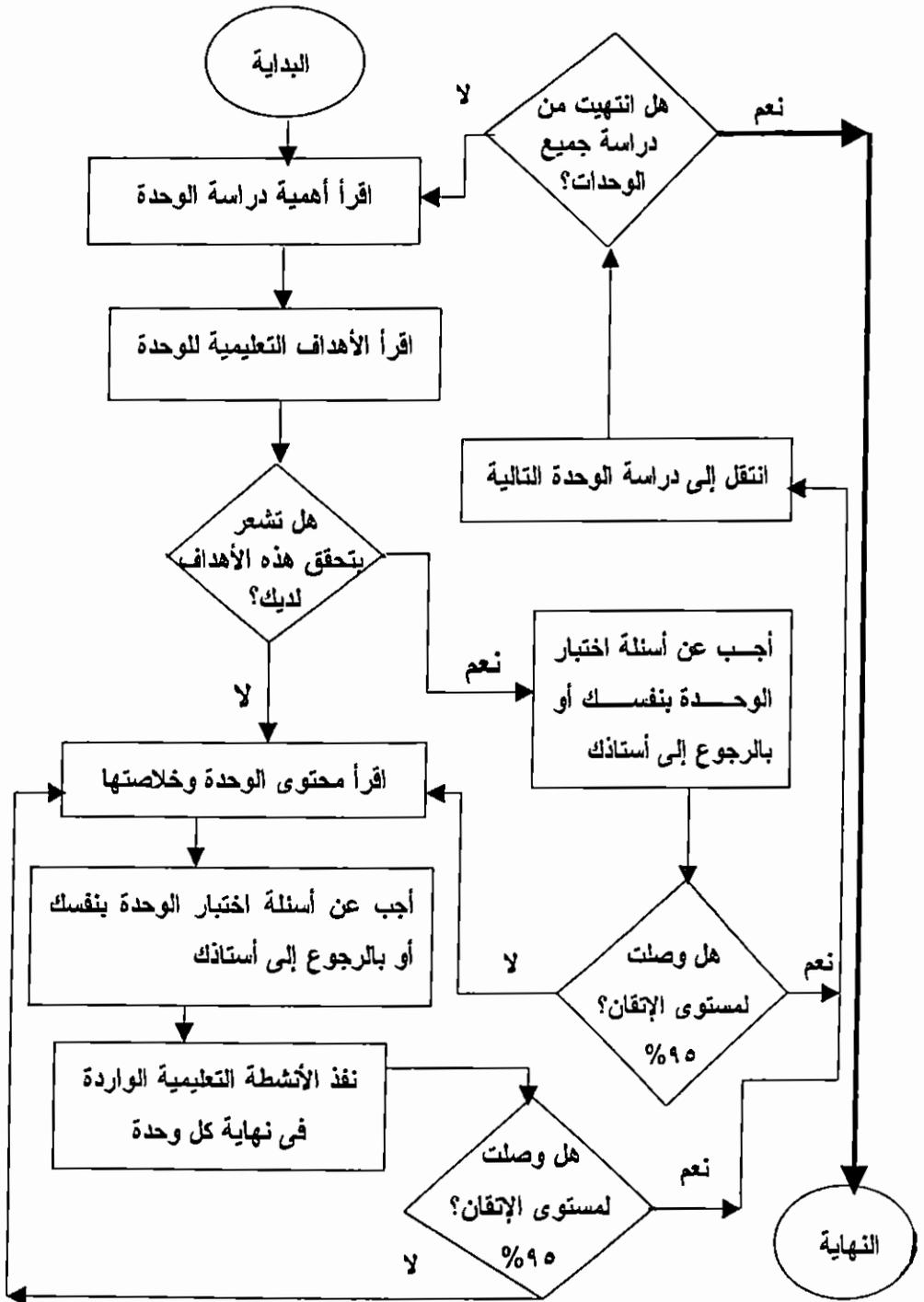
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.....وبعد:

فمرحباً بكم على طريق التفقه في الدين، وأهلاً بكم أوفياء لدينكم في زمن الغربة  
الثانية للإسلام، ونزف إليكم بشرى إمام الأنبياء والمرسلين ﷺ أن: "من يرد الله به  
خيراً يفقهه في الدين"<sup>(١)</sup>، وأن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل، وأن  
من سلك طريقاً يتغي فيه علماً يسر الله له به طريقاً إلى الجنة.

عزيري الدارس... عزيرتي الدارسة: يطيب لنا أن نلتقي بكم مجدداً في مرحلة  
البكالوريوس مع مقرر المعالج والالتزام. وقد تم إعداد هذه المادة وتنظيمها في صورة  
وحدات تضم فصولاً، تحتوي كل وحدة على عناصر أساسية هي: (مبررات دراسة  
الوحدة - الأهداف التعليمية - الرسومات الخطية - اختبار الوحدة- الأنشطة التعليمية).  
وإننا لنوصي إخواننا وأخواتنا - طلبة الجامعة - بأن يسيروا في دراسة هذا المقرر وفقاً  
لنظام تصميم الوحدات الذي أعد به هذا الكتاب وذلك حتى يتحقق أكبر قدر من  
الاستيعاب والفائدة، والله -تعالى- هو الموفق والمهادي إلى سواء السبيل.

(١) رواه البخاري، كتاب العمد، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم: ٦٩، ومسلم، كتاب

الزكاة، باب: النهي عن المسأة، حديث رقم: ١٧٢١.



# المعاجم واللهجات

## الجزء الأول: اللهجات

اللهجة وعوامل التوحيد  
وتكوين اللغة المشتركة

الوحدة  
الأولى

القبائل العربية وصراع اللهجات

الوحدة  
الثانية

## الجزء الثاني: المعاجم

نشأة المعاجم وأهميتها.

الوحدة  
الأولى

مدرسة التقليبات الصوتية.

الوحدة  
الثانية

مدرسة التقليبات الهجائية.

الوحدة  
الثالثة

مدرسة القافية.

الوحدة  
الرابعة

المدرسة الهجائية العادية.

الوحدة  
الخامسة





## الوحدة الأولى

### تمهيد وتوطئة

مبشرات دراسة الوحدة:

هذه هي الوحدة الأولى، وهي وحدة بالغة الأهمية؛ وذلك نظرًا لما ستعرضه من مباحث معرفتها واجبة، ففيها تتعرف على المراد من فصيلة اللغات السامية، وموطن ما تنتظمه من لغات وهي مباحث لم يسبق لك دراستها، والوقوف عليها. كما تتعرف على قسميها وما يشتمله كل قسم منهما، وعلاقة بعضها ببعض، وما بقي منها وما لم يبق.

وفي هذه الوحدة المهمة تتعرف على مدلول اللغة واللهجة لغة واصطلاحًا، وعلاقة كل منهما، وآراء اللغويين في عروبتها وعجمتها، وفيها كذلك معرفة للمدارس المختلفة التي عيّنت باللغة تعريفًا ووظيفة، والرأي الأقوى والأولى بالأخذ والقبول.

والفرق بين اللغة واللهجة، وما تتحول به اللهجة إلى لغة، وفيها كذلك معرفة للصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات، ولصلة اللغة واللهجة بالصوت، والظواهر اللغوية التي تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل واحد كاشتراك اللغات الفرعية في عدد كبير من الألفاظ التي تتحد أو تتقارب معانيها في تلك اللغات، واطراد التبادل الصوتي في تلك اللغات، ولتشابه هذه اللغات في طرائق الاشتقاق والتصريف، وتكوين الجمل.

وفي هذه الوحدة المهمة تقف على الحدود الجغرافية لكل من اللغة واللهجة

وآراء العلماء المختلفة في ذلك وفيها تتعرف على العوامل الرئيسة والثانوية في تفرع اللغة الواحدة إلى طائفة من اللهجات كالعوامل الجغرافية والاجتماعية والاتصال بين الشعوب لتبادل المنافع، والمهجرة، بالإضافة إلى عوامل أخرى مردها إلى الأفراد وكيفية نطقهم للألفاظ، والخطأ في الأقيسة، وتوضيح كل منها بالأمثلة والشواهد من واقع اللغات.

وفيها كذلك التعرف على أثر الصراع اللغوي في تفرع اللغة الواحدة إلى مجموعة من اللهجات تتميز كل واحدة منها من الأخرى وفي هذه الوحدة تتعرف على خطر تفرع اللغة إلى لهجات وشدة حاجتنا إلى وحدة لغوية نجتمع من خلالها شتاتنا وتشردمننا، وعوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة كالاتتماعات الدينية والحروب والخدمة العسكرية والمعارض العامة والأسواق الكبرى، والأدب بمختلف صورته وأشكاله والزواج المختلط، والإذاعة والتلفاز والصحافة، والوحدة السياسية، والمدن الكبرى، وغيرها مما يستجد من عوامل ووسائل تدعم الوحدة اللغوية وتحد من خطر اللهجات واتساعها.

وفي هذه الوحدة ذات الأهمية الكبرى في دراسة اللهجات العربية تتعرف على صورة العربية في البلاد التي فتحها العرب والمسلمون والتي تتمثل في اللغة الفصحى، وفي اللهجات المتباينة، كما تتعرف على أسباب صورتها، وملامح كل منهما وفيها تتعرف على مسألة مهمة تتمثل في وقوفنا على عناصر اختلاف النطق في عالمنا العربي، والمتمثلة في الاختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة، والاختلاف كذلك في نطق أصوات اللين، وموطن النبر من الكلمة.

وفيها معرفة للوسائل الممكنة والمتاحة لتوحيد النطق في المنطقة العربية لمحاصرة اللهجات ومناهضتها، والتقليل من خطرها وذلك كالمعلم الكفاء، والداعية، والإذاعة والتلفاز، والمذيع، وسبل تمكينهم من أداء هذا الدور الخطير ولا ريب في أن دراستنا للعربية دراسة علمية صحيحة تدعونا إلى دراسة لهجاتها المختلفة، ودراسة لهجاتها تقتضي دراستنا لكل ما عرضت له الوحدة الأولى؛ لأنها المدخل الحقيقي إلى دراسة لغوية صحيحة، حيث إن اللهجات تمثل الواقع الحي لأية لغة، وإغفال هذه الموضوعات أو إهمالها بعد عن الصواب، وجهل بحقيقة اللغة، وطبيعتها.

ولا يمكن لأحد قد أوتي حظاً من الفهم الصحيح أو الذوق السليم أن يغفل دراسة هذه النقاط.

وإذا كانت اللهجات العربية قد أهملت دراستها لأسباب عديدة فإن علينا أن نُعنى بدراستها دراسة موضوعية؛ نتعرف من خلالها على طبيعة اللغة، ونقف على خصائصها.

وسبيلنا كذلك ما مهدت له الوحدة الأولى، وما قدمته من مباحث تعد معرفتها الأداة الأولى لدراسة اللغة ولهجاتها دراسة قائمة على العلم ونتائجه. لذا أدعوك -عزيزي الدارس- إلى دراسة هذه الوحدة بكل الجد والاجتهاد.

## الوحدة الأولى

اللهجة

وعوامل

التوحيد

وتكوين

اللغة

### الفصل الأول: تمهيد وتوطئة

- لمحة تاريخية عن اللغات السامية.
- أقسام اللغات السامية.
- بين اللغة واللهجة.
- معنى اللغة اصطلاحًا.

### الفصل الثاني: اللهجة : اشتقاقها

#### وتعريفها

- الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات.
- علاقة اللغة واللهجة بالصوت.
- أثر التوزيع الجغرافي في اللغة واللهجة.
- عوامل نشأة اللهجات.

### الفصل الثالث: عوامل التوحيد وتكوين

#### اللغة المشتركة

- وحدة النطق في العالم العربي.
- عناصر اختلاف النطق في العالم.
- وسائل توحيد النطق في العالم العربي

## الفصل الأول: تمهيد وتوطئة

الأهداف التعليمية للفصل الأول:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تفهم المراد من الفصيحة اللغوية.
- ٢- تقف على علة تسمية الفصيحة التي تعزى إليها العربية - بالسامية.
- ٣- تعرف أن هذه التسمية تنقصها الدقة العلمية.
- ٤- تحدد مواضع وجودها وانتشارها.
- ٥- تذكر اللغات المسماة باللغات السامية.
- ٦- تقف على ما انقرض من الفصيحة السامية.
- ٧- تعلق لبقاء اللغة النصحى لغة علم وأدب.
- ٨- تعرف اللغة تعريفًا علميًا صحيحًا.
- ٩- تفرق بين اللغة واللهجة على أساس علمي صحيح.
- ١٠- تتعرف على وظيفة اللغة.
- ١١- تقف على حقيقة كلمة لغة من حيث أصلاتها أو عجمتها.
- ١٢- تكشف عن طبيعتها وخصائصها لدى كل مدرسة منها.
- ١٣- تحدد وظيفتها على هدي من تعريفاتها المختلفة.
- ١٤- تقارن بين تعريف ابن جني للغة، وتعريفات المدارس الحديثة.
- ١٥- تحدد موقع العرب من هذه الدراسات.

## الفصل الأول: تمهيد

لمحة تاريخية عن اللغات السامية:

الفصيلة التي تنسب إليها اللغة العربية تسمى الفصيلة السامية؛ لأن معظم المتكلمين بها من نسل سام بن نوح عليه السلام، كما ورد في الفصل العاشر من سفر التكوين، وهذه التسمية تنقصها الدقة العلمية، ولكن العلماء قد قبلوها على علاقتها؛ لشهرتها وذيوعها وسهولتها.

وقد انتشرت هذه الفصيلة في آسيا وبعضها في أفريقيا، وقد بقي بعضها وانقرض البعض الآخر فيما انقرض من اللغات القديمة، ويدخل في هذه الفصيلة السامية اللغات الآتية:

اللغة الآشورية والتي يطلق عليها الأكادية، واللغة العبرية، واللغة الفينيقية والآرامية الشرقية والآرامية الغربية، والعربية الشمالية والجنوبية، والأثيوبية أو الحبشية، وكذلك اللهجات المتفرعة من تلك اللغات.

ولا ريب أن صلة اللغات السامية بعضها ببعض صلة واضحة، وأن هذه الصلة أقوى من الصلة الملحوظة بين اللغات الهندية الأوروبية، وليس ما بين هذه اللغات من اختلاف بأقوى مما بين اللغات اللاتينية.

أقسام اللغات السامية:

تنقسم اللغات السامية إلى قسمين:

القسم الشرقي وهو ما يعرف بالأكادية أو المسمارية، وهو يشمل: البابلية والآشورية، والقسم الغربي وهو ينقسم بدوره إلى: شمالي وجنوبي، والشمالي

ينقسم إلى كنعانية وآرامية؛ فالكنعانية تشمل: الكنعانية القديمة والمؤابية والفينيقية،  
والعبرية القديمة.

والآرامية تشمل: مجموعة لهجات آرامية شرقية، ومجموعة لهجات آرامية  
غربية. والقسم الجنوبي ينقسم إلى: العربية الشمالية والعربية الجنوبية، فالعربية  
الشمالية بائدة وباقية، فالبائدة تشمل: الثمودية، والصفوية، واللحيانية.  
والباقية الحجازية، والتميمية، وأما الفرع الجنوبي أو ما يسمى بالعربية  
الجنوبية فيشمل: المعينية، والسبئية، والحضرية، والقبتانية، والحميرية.

هذه هي شجرة اللغات السامية، ومما هو جدير بالذكر أن من هذه اللغات لغات  
انقرضت، ولم يبق لها أثر إلا في النقوش، كاللغة الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري.

ومن اللغات التي اندثرت وذهب أثرها الفينيقية، ولا تزال اللغة العربية تحتل  
قلب الجزيرة العربية الموطن الأصلي للغات السامية، وقد فتحت طريقها منذ  
الفتح الإسلامي في بيئات متعددة في الشرق والغرب وقد أدى هذا إلى تغلبها  
على ما كان لتلك البيئات من لغات، ونشأ عن هذا الصراع اللهجات العربية  
الحديثة في مصر وغيرها، وهي لهجات بُعدت عن الفصحى بتأثير اللغات الأجنبية  
كالتركية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية.

على أن بقاء القرآن الكريم كتاب العربية المقدس قد ساعد على بقاء تلك  
اللغة لغة علم وأدب، كما كانت في عصرها الذهبي تقريباً.

ولولا هذا لأصبحت اللهجات العربية الحديثة كاللهجات اللاتينية، ولنسي  
المسلمون العربية الفصحى، كما نسيت الأمم الرومانية اللغة اللاتينية.

## بين اللغة واللهجة

اللغة خاصية من خواص الإنسان بما هو حيوان ناطق كما رأى ذلك فيلسوف العصر الحديث "ديكارت"، فاللغة خاصية الإنسان حيث إنه حيوان ناطق أي مفكر، وبما هو حيوان مدني أي: اجتماعي، فهي إذن تميزه عن أي كائن آخر من حيث إنها تعينه على أن يتناول الأشياء والأشخاص تناولاً يختلف عن تناول الحيوان لها؛ إذ أن الحيوان يتناول الأشياء بالحواس، وأما الإنسان فيتناولها مع الحواس بشيء خصه الخالق به، وبميزة تفرد به الإنسان وهي نطقه وتفكيره، وبما أن هذا التناول يعيد الإحاطة والشمول فهو حينئذ يكون هو التناول الصحيح.

فاللغة منحة عظيمة خص بها الله الإنسان وأعطاهما له لتكون سبيله لمعرفة نفسه وما فيها من أسرار أولاً، ثم ثانياً معرفة العالم الكبير من حوله، وما به من أسرار تجعل الإنسان يخرّ راعماً لخالقه ومُنشئه من العدم.

وديكارت حين استأنف لفكرة الفلسفية التي تصورها أرسطو بتعريفه للإنسان بأنه حيوان ناطق أضاف إليها أن اللغة تحقق ناطقية الإنسان الحقيقية بشقيها الفكر والعمل، ومن ثم يجعله أهلاً لأن يكون خليفة الله على الأرض.

إن قدرتنا بواسطة اللغة على تسمية الأشياء تفيد قدرتنا على تناولها بأذهاننا وقدرتنا على نوع من الهيمنة عليها، والبيان والإفصاح والإيضاح عن طريق اللغة تحقيق للناطقية الإنسانية.

وللناطقية ركيزتان: ممارسة التفكير، وممارسة الحياة في جماعة، ثم إن البيان والإفصاح باللغة خطوة أيضاً في سبيل الكشف عن النفس وعن الغير وعن الكون، والكشف في الحقيقة فعل، والفعل يرمي إلى التغيير دائماً كما قال بذلك الفيلسوف نيتشه في بداية القرن الماضي.

إذا كان الأمر كذلك، فاللغة شيء خطير فليست اللغة مجرد وسيلة أو آلة للترجمة عن الفكر والاتصال بالغير؛ بل هي قبل ذلك تأكيد لماهيتنا الأصيلة، وتزكية لذواتنا في الحياة الاجتماعية، ومهمة اللغة في حياة الإنسان أكبر وأخطر مما يبدو للنظرة السريعة، فلا يستطيع الإنسان أن يستغني عن اللغة، فإننا جميعاً نستعمل اللغة دوماً، أردنا أم لم نرد.

إننا نتحدث مع أهلنا، مع أقربائنا، مع أصحابنا وزملائنا، مع مواطنينا ومع الغرباء عنا، بل نتحدث في بعض الأحيان مع أنفسنا، ومع البعداء عنا في الزمان والمكان، فاللغة مجلٌ للفكر وترجمان كما يقول الإمام محمد عبده.

بل إن اللغة تلازم الفرد في حياته، وتمتد إلى أعماق كيانه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته، إنها تجعل من الأمة الناطقة بما كلاً متراصاً خاضعاً لقوانين، وإها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

إذا كان هذا هو شأن اللغة وهذا هو حالها فما هو اشتقاقها؟

وهل هي كلمة عربية أو معرّبة؟ وإذا كانت معرّبة فما الأساس الذي ارتكز عليه القائل بذلك؟ ثم بعد هذا كله. ما معنى اللغة اصطلاحاً؟ وهل اتفقت أقوال اللغويين وتعريفاتهم أم اختلفت؟

وعلى أية حال لو رجعنا إلى مصادرنا القديمة نراهم يقولون: إن كلمة "لغة" كلمة عربية أصيلة، فهي في رأي الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط على وزن "فُعّة" من الفعل لغا يلغو إذا تحدث، وجمعها لغات ولغون ولغى، ويقول ابن جنى في الخصائص: وأما تصريفها -أي: اللغة- فهي لغة من لغوت أي: تكلمت، وأصلها لغة ككرة وقُلة وثُبة كلها لاماتها واوات لقولهم: كروت بالكرة، وقلوت بالقلة ولأن ثبة من مقلوب ثاب يثوب، وقالوا فيها لغات ولغون ككرات وكرون، وقيل منها: لغى يلغى إذا هذى، قال رؤبة.

ورب أسراب حجيح كُظْم عن اللغا ورفث التكلم  
وكذلك اللغو قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي:  
الباطل<sup>(١)</sup> وقال إمام الحرمين في البرهان: اللغة من لَغِيَ يَلْغَى<sup>(٢)</sup> من باب رَضِيَ إِذَا  
لهج بالكلام، وقيل من لغى يلغى.

مما سبق نرى أن أصحاب المعاجم، واللغويين يرونها كلمة عربية<sup>(٣)</sup>، ولكن  
بعض المحدثين يتساءل فيقول: هل كلمة لغة مشتقة من هذا الفعل أو ذاك، إنها  
مأخوذة من "اللهاء" وهى اللحمية المشرفة على الخلق "لسان المزمار"، وقد يعزز  
هذا الرأى أن الكلمتين متشابهتان، فاللام مشتركة بينهما، والهاء والغين من  
حروف الخلق التي يحل بعضها محل البعض، وأن اشتقاق لغة من لغا أو من لغى  
ليس جارياً على قياس لغوي.

وهذا الرأى يعززه ما تقدم وما نبهه في كثير من اللغات الأخرى، وهو أن  
الكلمة الدالة على لغة تدل في الوقت نفسه على عضو من أعضاء التكلم ففي  
العبرية تُستعمل كلمة "سافاة" بمعنى لغة وبمعنى شفه والشفة كما هو معلوم ومقرر  
من أعضاء النطق والعبرية أخت العربية.

وكذلك تُستعمل اللغة العبرية كلمة "لاشون" بمعنى لسان ولغة أيضاً  
واللسان من أعضاء النطق.

وإذا تركنا اللغة العبرية إلى لغة أخرى تنتمي إلى فصيلة أخرى غير سامية  
كاللغة الفارسية مثلاً لوجدنا أيضاً أن كلمة "زبان" بمعنى لغة وبمعنى لسان أيضاً.  
وكذلك في اللغة الإنجليزية نجد أن كلمة **Ton gue** تستعمل بمعنى لغة أيضاً.

(١) الخصائص لابن جني (١/٣٣).

(٢) المرهم للسيوطي (١/٨).

(٣) القاموس المحيط مادة "ل غ و".

وهناك رأي آخر مؤداه أن كلمة "لغة" ليست عربية أصيلة بل إنها تعريب كلمة **Lagos** الإغريقية التي تعني كلمة أو نكرة، وربما يؤيد هذا الرأي التشابه الكبير بين الكلمة العربية والكلمة الإغريقية، ويؤيده أيضاً عدم ورود كلمة "لغة" بالمعنى المعروف لنا في القرآن الكريم، وإنما عبر عن اللغة بكلمة اللسان، وكذلك لم ترد في الشعر الجاهلي أو الأدب العربي المأثور عن أدباء ما قبل عصر الترجمة عن الإغريقية.

وأول من ذكر هذه الكلمة في شعره صفي الدين الحلبي حين قال:

بقدر لغات المرء يكثر نفعه وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلى حفظ اللغات وفهمها فكل لسان في الحقيقة إنسان وصفي

الدين الحلبي هذا كان في مقدمة شعراء العصر التركي، ولد سنة ٦٧٧هـ وتوفي سنة ٧٥٠هـ، أي بعد عصر الترجمة عن اليونانية بما يزيد عن خمسة قرون.

فإذا صح أن كلمة لغة لم تذكر في الآداب العربية القديمة التي يعتمد عليها ويعتد بها، وأنها وردت أول ما وردت في شعر المتأخرين من العباسيين - كان المرجح أنها من الكلمات المعربة التي نقلت إلى اللغة العربية من الإغريقية. هذا عن اللغة من الناحية الاشتقاقية.

وأما معنى اللغة في الاصطلاح:

اختلف العلماء في تعريف اللغة اختلافاً بيناً طبقاً لمناهج البحث التي يتبعونها

فمنهم من يعرفها على أساس عقلي أو نفسي، ومنهم من يعتمد في تعريفها على فكرة منطقية أو فلسفية، ومنهم من يعرفها من ناحية وظيفتها في المجتمع.

وعلى أية حال هناك أقوال كثيرة في معنى اللغة، نذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر ما يأتي:

١- عند علماء النفس: تسمى أية وسيلة للتعبير عما في النفس لغة، فاللغة عندهم

كل أداة تستعمل لنقل ما يخطر بشعور الإنسان إلى غيره؛ ولذا تنقسم اللغة

في نظرهم إلى حركية وصوتية ورسمية أو خطية، والصوتية لفظية مقطعية، أو ساذجة ليس فيها مقاطع واضحة.

فالحركة الدائنة على القبول أو الرفض والإشارة باليد أو الرأس أو الجسم إلى معنى من المعاني والصياح والبكاء، والموسيقى والرسم، والتصوير والكلمات المنطوق بها أو المدونة، كل هذه وما يشبهها مما يستعمل لقل خاطر إلى الغير يسمى "لغة" في اصطلاح علماء النفس.

وبالنظر في تلك الأقسام الأنف ذكرها يتبين لنا أنما بهذا الترتيب في الظهور في حياة الفرد وحياة النوع على لسواء، فأولها ظهوراً اللغة الحركية وتليها اللغة الصوتية بنوعيتها وآخرها التدوينية.

٢- المدرسة الثانية التي تعرف اللغة بالنظر إلى وظيفتها في المجتمع نقول في تعريفها: اللغة هي نظام من رموز ملحوظة عرفية بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية، والذي أورد هذا التعريف العالم الأمريكي إدجار ستيرتفنت.

فهذه المدرسة تهم بالجانب الاجتماعي للغة فاللغة عند أصحاب هذه المدرسة حقيقة اجتماعية للاتصال الاجتماعي، وظيفتها الأساسية التعاون وتسيير الأمور المختلفة التي تم الإنسان كإنسان، وهي في الوقت نفسه مدينة في تطويرها ونموها إلى وجود الجماعات الإنسانية.

٣- والتعريف الثالث لعلماء المنطق فهم يعلقون أهمية كبرى على استعمال اللغة بوصفها وسيلة للتعبير عن الأفكار، يقول أحد علماء هذه المدرسة وهو الأستاذ جفونز في كتابه مبادئ دروس المنطق: إن اللغة ثلاث وظائف:

أ- كونها وسيلة للتواصل أي: توصيل الرغبات والعواطف والأفكار وما شاكل ذلك.

ب- كونها مساعداً آلياً للتفكير.

ج- كونها أداة للتسجيل والرجوع (يعني بذلك لغة الكتابة حين يكتب

الإنسان ويدون أفكاره وآراءه ثم يرجع إليها وقت الحاجة).

٤- المدرسة الفلسفية: يقول أنصار هذه المدرسة في تعريف اللغة: إنها استعمال رموز

صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص لآخر، ومن أنصار هذه

المدرسة العالم الأمريكي سابير، ويشبهه إلى حد كبير الأستاذ هيرمان بول.

٥- تطلق اللغة على النطق والتكلم، وعلى القوة الناطقة، كما تطلق على الألفاظ

التي يعبر بها المتكلم عما يخالج نفسه من المعاني الآتية إليه من الإحساس

والشعور وقوى التفكير؛ ولذا تعرف بأنها العمل الفكري المتكرر دائماً لإبراز

الفكر الإنساني في أصوات منظمة أو أصوات مختلفة.

٦- ولقد عرفها القدماء أيضاً فقالوا: اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم<sup>(١)</sup>.

هذا قليل من كثير في معنى اللغة، وعلى أية حال فليس الغرض عند الإنسان

التمدين مقصوراً على نقل الأفكار إلى غيره؛ بل إنها تُتخذ وسيلة للفكر والفهم

وتربية الذوق والخيال، ومن ثم كان أتم تعريف للغة بمعناها الاصطلاحي أنها: ألفاظ

يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، ويتخذونها أداة للفكر والفهم وتربية الذوق والخيال.

وبعد: فهذه تعريفات للغة بمعناها الاصطلاحي فقارنها بعضها ببعض؛

لتختار أحسنها، أو لتضع تعريفاً آخر بمعونتها، طبقاً لما يهديك إليه حسك

وتفكيرك اللغوي السليم.

(١) الخصائص لابن جني (١/٣٣).

## الفصل الثاني: اللهجة

### الأهداف التعليمية للفصل الثاني:

- عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:
- ١- تفهم معنى كلمة لهجة في اللغة العربية.
  - ٢- تعرف ما وضعه اللغويون لها من ضوابط.
  - ٣- تذكر ما تتفق فيه اللهجة واللغة الأم، وكذا ما يختلفان فيه.
  - ٤- تعرف على السمات والملامح التي تميز كل لهجة من أختها.
  - ٥- تمتدي إلى الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات.
  - ٦- تقف على علاقة كل من اللغة واللهجة بالصوت.
  - ٧- تحصر الظواهر اللغوية الدالة على انحدار طائفة من اللغات من أصل لغوي واحد.
  - ٨- تذكر الكثير من الأمثلة والشواهد المؤكدة على تفرع اللغة الأم إلى مجموعة من اللهجات المختلفة.
  - ٩- توزع اللغة واللهجة توزيعاً جغرافياً.
  - ١٠- تضرب العديد من الشواهد والأمثلة على صحة مثل هذا وسلامته.
  - ١١- تعرف عوامل نشأة اللهجات، ودور كل منها في ذلك.
  - ١٢- تذكر العديد من الأمثلة والشواهد التي تؤكد صحة ما ذكر وسلامته.
  - ١٣- تعرف أهمية الدور الاجتماعي في تفرع اللغة الأصلية إلى بضع لهجات، لكل منها ما يميزها.
  - ١٤- تبطل ما زعمه بعض العلماء سبباً في تفرع اللغة الواحدة إلى طائفة من اللهجات المختلفة.

## الفصل الثاني: اللهجة،

### اشتقاقها - تعريفها

اللهجة بإسكان الهاء وقد ورد فتحها، واللهجة يصح أخذها من لهج بمعنى امتص كقولهم: لَهَجَ الفصيلُ ضُرْعَ أمه أي: امتص ما فيه من اللبن؛ لأن الإنسان يتلقى اللغة من مخالطيه كما يتلقى الفصيل اللبن من أمه.

كما يصح أخذها من لهج بمعنى أولع وأغرم؛ لأن مداومة المتكلم النطق على منحى معين فكأنه أولع بذلك النطق فلم يعدل عنه إلى غيره، وكلا الاشتقاقين يناسبان المقام الذي نحن بصدد.

واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة معينة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة.

فاللهجة إذاً هي عبارة عن قيود صوتية خاصة، تُلاحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، وبيئتها هي جزء من بيئةٍ أوسع وأشمل تضم لهجات كثيرة لكل منها، مميزاتها وخصائصها، ولكنها لا بد وأن تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات وتعاملهم، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط هذه اللهجات، فالعلاقة إذاً بين اللغة واللهجة هي علاقة العام بالخاص، فاللغة أعم من اللهجة إذ أن اللغة عادة تضم كثيراً من اللهجات لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات.

والمميزات التي تتميز بها اللهجات هي الاختلاف الصوتي في أغلب الأمر، كما نجد في لهجة قيس وغميم وأسد، حيث يتجهون إلى الانتحاء بالفتحة نحو الكسرة وبالألِف نحو الباء، وهو ما يعرف بالإمالة، وهي ظاهرة خاصة بالبيئة

البدوية التي تقطن وسط وشرقي الجزيرة العربية.

وكذلك الظاهرة اللغوية المنسوبة إلى ربيعة والتي تسمى بالوهم حيث تضم

الماء من "هم" مطلقاً دون نظر لما يسبقها من حركة أو حرف.

وكذلك نرى أن تميمًا تقول في فزت: فزد، وكذلك ينطقون بالهمزة عينًا،

وكذلك نرى أن بني سعد ينطقون "الأجلح" وهو الأصلح "الأجله".

من هذا يتضح لنا -بجلاء- أن الصفات التي تتميز بها اللهجة تكاد تنحصر

في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها، وهذا في الكثير الغالب.

وقد يرجع إلى بيئة الكمة ونسجها فبنو أسد يقولون في "سكرى":

سكرانة فيلحقون التاء، وكذلك نرى أن تميمًا تتم اسم المفعول من الأجوف

اليائي كقول الشاعر:

حتى تذكر بيضات وهيجه يوم الرذاذ عليه الدجن مغيوم

وقد يرجع الخلاف أيضًا بين اللهجات إلى المعنى، كما في "وثب" فإنها

يقصد منها: القفر "عند الجمهرة" والجلوس "عند حمير"، وكذلك كلمة المحرس،

فالمعاجم تذكر أنها تعني القرد عند الحجازيين، وتعني الثعلب عند تميم، ولكن

يجب أن تكون المخالفة الخاصة بنية الكلمة ونسجها، وكذلك الناحية الخاصة

بالمعنى قليلة بحيث لا يترتب على ذلك أن تكون اللهجة غريبة على أحوالها،

بعيدة عنها، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى التي تنسب إلى نفس اللغة؛

لأنه متى كثرت الخلافات الخاصة بالبنية والمعنى بعدت الهجة عن أحوالها، فلا

تلبث أن تستقل وتصبح لغة قائمة بذاتها، كما شاهدنا تفرع اللغات السامية عن

اللغة السامية الأم، إذ كانت جميعها لهجات ثم بمضي الزمن وكثرة الصفات

والخلافات التي ترجع إلى المعنى والبيئة والنسج استقلت كل منها بمجموعة كثيرة

جدًا من الكلمات، أضف إلى ذلك ما اختلفت فيه هذه اللغات من صيغ الأفعال

وأنواع الجموع وأدوات التعريف وغير ذلك، بحيث أصبح يطلق على كل منها لغة بعد أن كانت بادئ ذي بدء لهجة متفرعة ومنبثقة عن اللغة السامية الأم.

من هنا نرى أنه لا بد أن تشترك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ومعانيها، وفي معظم الأسس التي تخضع لها بنية الكلمات وتركيب الجمل، فإن اختلفت معاني الكلمات واتخذت أسسًا خاصة في بنية الكلمات وكذلك اتخذت قواعد خاصة مختلفة عما عداها في تركيب الجمل لا تسمى حينئذ لهجة؛ بل لغةً مستقلة، وإن ظلت تتصل ببعضها بطواهر لغوية تجعلها تنتمي إلى فصيلة لغوية واحدة.

الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات:

وأهم الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف لهجات اللغة الواحدة:

- ١- اختلاف مخرج بعض الأصوات اللغوية.
- ٢- اختلاف وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات فيترتب على ذلك الخلاف في نطق الحرف ذاته، فنرى بعض القبائل ترفق الحرف في الوقت الذي يكون فيه مفحماً عند قبيلة أخرى.
- ٣- اختلاف في مقاييس أصوات اللين، والمراد من اللين عند المحدثين الياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة والألف بعد الفتحة.
- ٤- تباين في النغمة المصاحبة للكلام.
- ٥- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حتى تتأثر ببعضها؛ ولذلك تُعزى ظاهرة قلب الواو تاء إذا وقعت فاء لافتعل كاتصل وانقى، حتى لا تكون عرضه لقلبها إلى صور أخرى نتيجة تعرضها للحركات المختلفة، وذلك عند غير الحجازيين، أما هم فلا يعبأون بهذا التلاعب فيتركون الواو تتأثر بالحركة السابقة عليها، فتُقلب إلى حروف مجانسة لتلك

الحركة، تلك هي أهم الصفات التي نجد بعضها أو كلها بين لهجات اللغة الواحدة وليس من الضروري أن نجد كل هذه الفروق ممثلة في لهجات لغة من اللغات بل نجد بعضها فقط.

وعلى قدر شيوع الصفات السابقة تباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض بقدر اشتغالها على الصفات المشار إليها، فقد نرى للغة الواحدة لهجات متقاربة لا يفرق بين لهجة وأخرى منها سوى صفتين أو ثلاث من تلك الصفات في حين نجد أن بعض اللهجات متباعدة لا تكاد تستبين للسامعين ولا يكاد يفهمها كل الأفراد الذين ينتمون إلى لغة واحدة إلا بصعوبة بالغة.

هل يوجد حد أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة؟

إنه من العسير وضع حد أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة بحيث إنه لو وجدت تلك الفروق امتازت لهجة عن أختها، وقيل هذه لهجة أخرى، ومرجع هذا العسر في وضع هذا الحد الأدنى للفروق التي يترتب عليها وجود لهجات أن عملية النطق كما نعرف ما هي إلا نشاط عظيم يختلف أدائه باختلاف الأفراد في البيئة اللغوية الواحدة، فلقد ثبت بعد لتجارب الدقيقة التي قام بها العلماء في المعامل الصوتية أنه لا يكاد يوجد شخصان في بيئة لغوية واحدة يطقان نطقاً متماثلاً تمام التماثل بل لابد أن تلحظ الأذن بعض الفروق الصوتية الدقيقة.

بل إن من العلماء من يؤكد أن المرء نفسه يختلف نطقه بعض الاختلاف في كل مرة يتكلم فيها، وإن اشتركت نفس الكلمات في قوله، ومرجع ذلك أن عضلات النطق لا تؤدي علمها بنفس الصورة في كل مرة، ولكن مثل هذه الفروق الدقيقة بين المرء ونفسه من وقت لآخر وبين المرء وشخص آخر من نفس بيئته ليست من الأهمية في الدراسات اللغوية والمعول عليه هو الصفات العامة التي تميز لهجة من أختها، ويشارك في هذه الصفات العامة كل أفراد اللهجة الواحدة

وتصدر عنهم دون تكلف أو تعسف أو تعمد، من هنا يتضح لنا أن من العسير تحديد الحد الأدنى الذي به تتميز اللهجات بعضها من بعض.

والذي يمكن أن يقال إنه متى وجدت صفات خاصة، وظهر اختلافها عن صفات البيئات الأخرى للغة الواحدة، واتضحت لدى السامعين واشتهرت بينهم، أمكن أن يقال -حينئذ- إنه وجدت لهجة، وتميزت عما عداها، وتدرس على أنها لهجة مستقلة متميزة.

ولكن هل هناك رابط بين اللهجة الواحدة ككتلة متميزة وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها؟

ونظرة واحدة على خريطة الجزيرة العربية يتبين لنا -بجلاء- أنه ليس هناك رابط بين اللهجة ككتلة متميزة وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها؛ فقد تكون لهجة مستقلة في بيئة جغرافية قليلة السكان وفي الوقت نفسه تكون رقعة ضيقة من الأرض، وهذا ينطبق تمام الانطباق على اللهجات العربية القديمة بصفة عامة، فلقد كانت منعزلة في بيئات ضيقة.

### علاقة اللغة واللهجة بالصوت

مما تقدم نفهم اتصال اللغة واللهجة بالصوت، وإن كانت جهة الارتباط مختلفة؛ لأن اتصال اللغة به من حيث وفاته بالمطلوب منه في إفادة المعنى الموضوع إزاءه وتمييزه عما عداه تمييزاً تاماً.

وارتباط اللهجة به من حيث الصورة التي تصحبه في النطق، إلا أنه يجدر أن نضع نصب أعيننا حقيقة هامة، وهي أن اللهجة تتولد من اللغة وتتفرع منها. وإذا ما قُيأت الأسباب للهجة أن تنمو وتكتمل وتفي بحاجات المجتمع الذي تعيش فيه فهذا من العوامل اللغوية التي نَحْتَم على الباحث إطلاق اسم اللغة على تلك اللهجة؛ إذ أنها لم تصبح حينئذ لهجة؛ بل أضحت لغة مستقلة عن

غيرها إذا اختلفت في معظم معاني كلماتها، واتخذت قواعد خاصة بها في بنية كلماتها وتركيب جملها، وإن ظلت تتصف وغيرها بوشائج تجعلها تنتمي إلى فصيلة واحدة من الفصائل اللغوية.

فالفصيلة اللغوية أو الأسرة اللغوية تشمل عددًا من اللغات ترجع إلى أصل واحد، مع احتفاظ تلك اللغات بصفات يسهل على الباحث اللغوي أن يرجعها إلى ذلك الأصل القديم.

والعناصر التي تحتفظ بها هذه اللغات التي تنتمي إلى فصيلة واحدة هي تلك العناصر التي لا يصيبها إلا قليل من التغير رغم مرور الزمن عليها، رغم تطور فروع الفصيلة الواحدة.

وهذا أمر طبعي وسنة من سنن التطور اللغوي، إذ أنه من المظاهر اللغوية الملحوظة أن بقاء الاتحاد أو التشابه في بعض الأصول اللغوية التي ترجع إلى أصل واحد يتوقف على ما يكون بين الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات من صلات وروابط جغرافية، أو اجتماعية.

فذلك الاتحاد أو التشابه حري بأن يبقى، ما دامت تلك الشعوب متعاصرة متحاورّة لم تفصل بينها حواجز جغرافية ولم تفرق بينها تقاليد أو ظروف اجتماعية أو ثقافية.

أما إذا باعد الزمان أو المكان بين بعضها وبعض أو انعدم ما بينها من صلات اجتماعية أو ثقافية، فإنها تصبح لغات ولهجات تشق كل منها طريقها في الحياة بعيدة عن أختها أو أحوالها، وحينئذ يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه.

وكذلك يقال في اللغة الواحدة فمادام المتكلمون بها يجمعهم الزمان والمكان وماداموا يخضعون لتقاليد وظروف اجتماعية واحدة فإن لغتهم تبقى إلى

حد ما واحدة ترقى أو تندهور تبعاً لرقبي أهلها أو تدهورهم.  
أما إذا تفرقوا في الأرض وطال الأمد على تفرقهم وانقطعت أو ضعفت  
صلاتهم الاجتماعية والثقافية فإن لغتهم الأصلية تنقسم لا محالة إلى لهجات، لكل  
منها طابع خاص.

من هنا يتبين لنا بجلاء أن اختلاف البيئات الزمانية أو المكانية، وضعف  
الصلات الاجتماعية هي الأسباب الثلاثة الأساسية في تفرع اللغة الواحدة إلى  
لهجات، وكذلك في اختلاف اللهجات المتفرعة من أصل واحد بعضها عن بعض  
من المظاهر اللغوية.

والأدلة على صحة هذه الحقيقة كثيرة والشواهد عليها موفورة.  
وعلى الرغم من ذلك الاختلاف نستطيع أن ندرك ولو على وجه تقريبي  
ما بين الأصل والفرع من تشابه، وما بين اللهجات المتفرعة من أصل واحد وبين  
أصلها القديم من تقارب، وأن ندرك أن الحديث فيها قد نشأ عن القدم على  
سبيل التطور، وأن هذا التطور قد عمل عمله في الظواهر اللغوية المشتركة  
فاعترها شيء من المسخ أو التعديل، إذ أن ما بين الأصل والفرع، أو ما بين  
بعض الفروع وبعضها من صلات حيوية اجتماعية خاضعة مثل غيرها من  
الظواهر الاجتماعية لسنة التغيير والتعديل.

على أنه من المقرر أن بعض الظواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات  
المنحدرة من أصل واحد تظل ماثلة لا يلحقها فناء، وإن اعترها شيء من التعديل  
أو التغيير وبقاؤها هذا يعدّ دليلاً واضحاً على ما بينها من علاقة أو قرابة لغوية،  
وكذلك انحدارها من أصل لغوي واحد.

الظواهر اللغوية التي تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل واحد:  
إن الظواهر اللغوية التي تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل لغوي

واحد كما تدل على ما بينها من قرابة أو علاقة لغوية تنحصر في الأمور التالية:  
 أولاً: اشتراك اللغات الفرعية في عدد كبير جداً من الألفاظ التي تتحد أو  
 تتقارب معانيها في تلك اللغات على شريطة ألا تدل دلائل تاريخية على أن تلك  
 الألفاظ المشتركة قد نقلت من لغة إلى أخرى بطريق المهاجرة أو الاستعارة.  
 فوجود ألفاظ كثيرة من هذا النوع مشتركة بين العربية والفارسية مثلاً لا  
 يدل على انحدر هاتين اللغتين من أصل واحد.

ثانياً: تشابه هذه اللغات في طرائق الاشتقاق والتصريف وأساليب تكوين الجمل.  
 ثالثاً: أطراد التبادل الصوتي في تلك اللغات كما نجد في اللغات السامية،  
 فالشين في العبرية تقابلها السين أو الثاء في العربية، فكلمة سوق العربية يقابلها  
 شوق في العبرية، وكلمة ساق في العربي يقابلها كلمة شوق في العبرية، وكلمة  
 ثلاث العربية يقابلها كلمة شالش العبرية، والياء في العبرية يقابلها الواو في العربية  
 كما في يالدويارش بمعنى ورت.

فإذا طبقنا المبادئ أو الظواهر الثلاثة الآنف ذكرها على اللغات أو  
 اللهجات السامية لزمننا القول بأنها قد انحدرت من أصل لغوي واحد تقريباً، وهو  
 ما يسمى باللغة السامية الأم، التي كان يتكلمها الساميون حينما كانوا شعباً  
 واحداً، ثم انقرضت منذ آلاف السنين بعد أن تفرق الساميون في الأرض،  
 واختلفت بيئاتهم وتعددت منازعهم الشعبية، وتباينت ظروفهم وتجاربهم  
 الاجتماعية، وليس معنى هذا أن اللغة السامية الأولى كانت لهجة واحدة لا  
 تختلف بين طائفة من الساميين عنها بين طائفة أخرى كلا فلسنا نقول بهذا؛ لأن  
 الوحدة اللغوية المطلقة لا يمكن أن تكون كاملة حتى بين طوائف الشعب الواحد،  
 ومن ثم نجد أن كل طائفة من طوائف الشعب الواحد، تستخدم أساليب وظواهر  
 لغوية ومصطلحات خاصة بما قد لا يفهمها غيرهم من الطوائف، وذلك بحكم

انعزال هذه الطائفة واختلاف مناهجها الحيوية وأساليبها الاجتماعية عن نظائرها من الطوائف الأخرى فلهجة البيئة الزراعية تختلف عن لهجة أرباب البيئة الصناعية فلكل أساليبه وظواهره اللغوية الخاصة به بل إن البيئة الصناعية تختلف أداة التفاهم بينها تبعاً لنوع الصناعة، فبيئة النجارين غير الحدادين... إلخ.

مما سبق يتضح لنا بجملاء أن اللغة ما هي إلا لهجة في الأصل، ثم بمرور الزمن مع اختلاف البيئات -نمت وأصبحت لغة مستقلة لها قواعدها الخاصة وأساليبها وطرق اشتقاقها وغير ذلك مما هو معروف في علم اللغات، وهذا أمر طبعي لا جدال فيه بل من الحقائق الثابتة والمعلومة لدى الباحثين اللغويين منذ القدم حتى الآن.

### التوزيع الجغرافي للغة واللهجة:

إن النظرة الدقيقة والتي يترتب عليها التحديد الدقيق لهذا الموضوع تقرر أنه ليس من السهل واليسر الوقوف على خفاياه وحقائقه بطريقة قاطعة؛ لأنه إن أمكن إيجاد فواصل وحدود جغرافية بين اللغات المختلفة فليس من اليسير وجرود تلك الحواجز والحدود بين اللهجات، وذلك نتيجة للتداخل القوي بينهما كما هو معروف ومشاهد لنا جميعاً، وأكثر من هذا نرى أمكنة دون فواصل ويتكلم بعضها لغة وبعضها الآخر لغة أخرى، كما هو مشاهد في القرى الشمالية الواقعة على الحدود السورية التركية.

إذاً كما قلنا إنه من اليسير تحديد المعالم الجغرافية بين اللغات المختلفة والتي تميزها تمييزاً كاملاً عن بعضها فإذا أردنا مثلاً أن نحدد جغرافياً لغتنا العربية كان من السهولة بمكان، وهي إنما تبدأ من الجزيرة العربية وتمتد في ظلال الأقاليم التي انتشرت بين ربوعها نتيجة للعوامل التي أدت إلى ذلك، وخاصة انتشار الإسلام في هذه الأقاليم، وستظل سائدة بين الشام والعراق دون أن تصدم بحواجز وحدود لغوية تجعلنا نعرف على جغرافية اللغة العربية، وهي إنما تحد بحدود

الوطن العربي وتبدأ من الخليج العربي شرقاً إلى المحيط الأطلنطي غرباً ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى نهاية الحدود الجغرافية المعروفة للبلاد العربية، ونظرة واحدة إلى خريطة تلك البلاد تبين لنا بجلاء الحدود الجغرافية اللغوية للغة العربية، يضاف إليها كل الناطقين باللغة العربية من البلاد الإسلامية، الأفريقية الأخرى... وما إلى ذلك، وكذلك يمكن أن نتبين الحدود الجغرافية للغة الإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية واليابانية... إلخ وهي إنما تحد بحدود الأمة التي يعكف أبنائها على التفهم بلغتهم الخاصة بهم دون غيرهم أما إذا كان أبناء الأمة يتكلمون أكثر من لغة كما هو حاصل ومشاهد في سويسرا فإن فيها لغات أربعاً قومية وهي: الألمانية والإيطالية والفرنسية والرومانية فلكل منطقة لغة خاصة، ولكن الاختلاط الاجتماعي والوحدة السياسية قد أديا إلى تداخل الحدود الجغرافية بين هذه اللغات الأربع؛ ولذلك كان من الصعب جداً رسم خطوط جغرافية تميز بين حدود هذه اللغات، وهذا يرجع إلى ارتباط القوي بين أفراد هذه الأمة؛ ولذلك يمكن في هذه الحالة وأمثالها أن يكون الفاصل بين هذه اللغات قرية أو شارع كما نشاهد ذلك في السودان، فإن شماله يتكلم أبنائه اللغة العربية، بينما نجد في الجنوب لهجات غير عربية.

وكما قلنا سابقاً إنه توجد قرى واقعة على الحدود السورية التركية يتكلم أبنائها العربية والتركية جنباً إلى جنب مما يكون صعوبات للرسم الجغرافي الفاصل بين الناطقين بتلك اللغات المختلفة، وإذا ثبت لنا ذلك وهو صعوبة رسم الخط الجغرافي في بعض الحالات التي ترتبط فيها اللغات ارتباطاً وثيقاً وذلك يعطينا صورة أكيدة عن صعوبة رسم هذا الخط الذي يبين لنا الحدود الفاصلة بين لهجات اللغة الواحدة للتشابه المغوي القوي والترابط المتين بين أفراد الأمة رغم توزعهم اللهجي، ولذلك إذا أردنا أن نتبين ونتعرف على بدء اللهجات العربية أو

لهايتها تعذر علينا ذلك.

وقد أدت تلك الصعوبات إلى قول بعض اللغويين: إنه لا توجد ظواهر لغوية صوتية ونحوية ومعجمية تميز تمييزاً تاماً بين منطقة وأخرى، ومن هنا نجد أن فريقاً من هؤلاء العلماء اللغويين قد اتجه إلى القول بنفي وجود لهجات في اللغة الواحدة لصعوبة التمييز بين تلك اللهجات المختلفة، وصعوبة رسم خط جغرافي لكل منها على حدة، ومن هؤلاء العلماء "جاستون باري" فقد قال: "ليست هناك حدود حقيقة تفصل بين الفرنسيين أهل الشمال من أهل الجنوب إن لغتنا العامية تنتشر في طول البلاد وعرضها بصورة تشبه لوحة ذات ألوان مختلفة، ولكنها جميعاً يتداخل بعضها ببعض بدرجة لا تسمح برؤية الانتقال التدريجي من نقضة إلى أخرى"<sup>(١)</sup>.

ويؤيد هذه الوجهة وهي نفي وجود لهجات في اللغة الواحدة "جوهان شميدت" صاحب نظرية الموجة التي يرى فيها كل ظاهرة لغوية تنتشر كالموجة فوق كل منطقة وإن كل موجة من النوع ليست لها حدود معينة في تقديمها التدريجي، ولقد استخلص "شميدت" نظريته هذه من دراسته التي أجراها على اللغات الهندية الأوربية، حيث إنه قد توصل من خلال دراسته هذه إلى أنه لا يوجد اتحاد بين خطوط توزيع الظواهر اللغوية المختلفة بدرجة تسمح بالقول بوجود لهجات مختلفة<sup>(٢)</sup>.

ومن جهة أخرى فلقد عارض "ميه" وجهة "شميدت" السابقة وهي القول بنفي اللهجات الهندية الأوربية بناء على التداخل القائم بين اللهجات والذي يجعل الصعوبة قائمة في وضع خطوط دقيقة للهجات المختلفة، وقد بنى "ميه" رأيه على أنه من الممكن القول بوجود لهجات مختلفة مهما اتحدت تلك اللهجات ويتحقق

(١) اللغة لفندريس ترجمة الدواخلي والقصاص (ص ٣١١).

(٢) السابق (ص ٣١٢).

ذلك بالتعرف على السمات والخصائص<sup>(١)</sup> ومن هنا يتضح لنا سهولة معرفة أن اللهجات في اللغة العربية والواقعة بين الأجيال المتعاقبة هي لهجات وليست لغات، فالعربية السورية، والعربية العراقية، وما إلى ذلك هي لهجات للغة العربية. والرأي الذي ارتآه "ميه" هو في نظرنا الرأي الذي يمكن الاعتماد عليه في التعرف على اللهجات المختلفة وتحديدتها تحديداً واضحاً بناءً على ما اشتملت عليه من مميزات خاصة وسمات معينة لا توجد في غيرها من بقية اللهجات وعلى هذا تسير معظم الدراسات اللهجية في التفرقة بين اللهجات، ومع ذلك فإنه من العسير جداً تحديد الخط الجغرافي الذي عنده تنتهي اللهجة وتبدأ عنده اللهجة الأخرى للتشابك اللغوي كما قدمناه.

### عوامل نشأة اللهجات:

إن أهم عامل في نشأة اللهجات وانقسام اللغة الواحدة إلى عدة لهجات هو سوء المواصلات أو صعوبتها وعدم الاختلاط الاجتماعي لأي سبب من الأسباب، ولعل سوء المواصلات بين الوجه البحري والوجه القبلي في مصر قديماً كان سبباً في الفروق اللغوية أو الخصائص اللهجية والسمات لكل من الوجهين والتي نشاهدتها الآن، ويمكننا أن نبسط القول في هذا المجال حتى نقف على خفاياه ونلم بأطرافه المتشعبة فيما يلي:

### أولاً: عوامل جغرافية:

وهذا يتحقق إذا كان النطقون باللغة الواحدة يعيشون في بيئة جغرافية واسعة مترامية الأطراف مختلفة الطبيعة فيها من مكان إلى مكان آخر، كأن توحده جبال أو وديان تفصل بقعة عن أخرى، بحيث يترتب على ذلك انعزال مجموعة من الناس عن مجموعة أخرى، وهذا بالتالي يؤدي مع مرور الزمن إلى نشوء لهجة

(١) السابق (ص ٣١٢).

تختلف عن لهجة ثانية تنتمي إلى نفس اللغة؛ والذين يعيشون في بيئة زراعية مستقرة يتكلمون لهجة غير التي يتكلمها الذين يعيشون في بيئة صحراوية بادية. ومن هنا يتبين لنا أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر كبير في اختلاف اللهجات وتنوعها تبعاً لاختلاف المنازل والمشارب؛ إذ أن البيئة الطبيعية تختلف اختلافاً بيناً، فبينما يقطن قوم السهول الخصبة يلجأ آخرون إلى الجبال وما يكتنفها من صحارى واسعة؛ لينعموا بظلال الحرية بين فيافيها. والأجواء تختلف باختلاف المناطق، ومما لا شك فيه أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر بـيّن في أجسام السكان وأشكالهم وقودودهم واختلاف أدوات الكلام عندهم، وهذا يؤدي - بالتالي - إلى اختلاف اللهجات وتعددتها.

ثانياً: عوامل اجتماعية:

والبيئة الاجتماعية لكل فريق من الناس تختلف اختلافاً بيناً، فكل قوم لهم نظام خاص في معيشتهم وطرق التفكير لديهم، فالمجتمع الإنساني بطبقاته المتعددة والمختلفة يؤثر أثراً ظاهراً في نشوء اللهجات ووجودها، فالطبقة الأرستقراطية تتخذ لهجة خاصة بها غير لهجة الطبقة الدنيا من المجتمع، وكذلك الطبقات الحرفية والمهنية، فهناك طبقة النجارين وطبقة التجار وطبقة الزراع... إلخ، ولكل طبقة من هذه الطبقات لهجة خاصة بها حتى إن اللصوص وطريدي القانون لهم لهجة واصطلاحات خاصة بهم، وتختلف في بعض خواصّها عن بقية اللهجات؛ ولذا نرى أن فندريس في كتابه "اللغة" يقرر أنه يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يُحدّ، وأنها في تغير دائم تبعاً للظروف والأمكنة، فكل جماعة خاصة وكل هيئة من أرباب المهن لها عاميتها الخاصة<sup>(١)</sup>.

(١) اللغة لفندريس ترجمة الدواحي والقصاص (ص ٣٢٥).

ثالثاً: اتصال الشعوب لتبادل المنافع أو الهجرة:

فالشعوب البشرية لا يمكنها أن تستقل عن بعضها؛ وذلك لأن لكل شعب مميزات وخصائص، ولذلك نرى أن بعض البلاد تروج فيها التجارة والأخرى الصناعة، ونظام الحياة يتطلب أن تستفيد الشعوب بمزايا بعضها، وهذا بدوره يؤدي إلى توثيق الصلة التامة بينها وتسود العلاقات الوطيدة بينها؛ ليمكن الجميع من تبادل المنافع، وهذا الاتصال يتطلب معرفة كل فريق لغة الفريق الآخر، وهذا يقتضي تحويراً في النطق في بعض الأحيان، وإحلاله في الأداء يؤدي على مر الزمن إلى نشوء لهجات جديدة في هذه اللغة كما أن الشعوب قد تتصل ببعضها نتيجة ارتحال فريق من موطنه الأصلي إلى مكان آخر؛ طلباً للعيش وسعيًا وراء الرزق، وقد يكون الفريق المهاجر ذا جاه ونفوذ يفوق سكان البلاد الأصليين فيؤدي هذا إلى تغلب لغته. والتاريخ يحدّثنا أن الجماعة التي رحلت إلى بلاد العراق وكونت مملكة بابل وأشور على أنقاض سومريين أصحاب البلاد الأصلية، قد تغلبت لغتهم على لغة السومريين ومحتتها بعد أن تأثرت بما إلى حد التفاوت بينها وبين أحوالها من اللغات السامية الأخرى، وهناك نوع آخر من اتصال الشعوب ببعضها، وهذا النوع هو ما يعرف بالصراع بين الشعوب نتيجة غزو، فالصلة التي بين الشعوب بعضها وبعض صورة لما يجري من العلاقات بين الأفراد، وقد يعتري هذه العلاقات فتورٌ يؤدي إلى قيام الحروب بين الأمم لأسباب تقتضي ذلك، والأمم التي يكون لها الفوز والغلبة تحظى لغتها بالذيع والانتشار والتأثير في لغة البلاد التي غلبت على أمرها؛ لأن من شأن الضعيف تقليد القوي، ولهذا قد تمحى لغة البلاد المهزومة أو يضعف شأنها وفي التاريخ شواهد كثيرة على أثر لصراع اللغوي، فاللهجات العربية التي نشرت في البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه، وهذا الاحتكاك أو الصراع اللغوي نتيجة المحررات أو التحاور أو الغزو يعدّ من

أهم العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى وجود اللهجات ونشأتها؛ ولذلك نرى فندريس يقرر أن "تطور اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق في أية لغة بل على العكس من ذلك فإن الأثر الذي يقع على لغة من لغات مجاورة لها كثيراً ما يلعب دوراً هاماً في التطور اللغوي"<sup>(١)</sup>.

رابعاً: عوامل ترجع إلى الأفراد وكيفية نطقهم للألفاظ والخطأ في الأقيسة:

من الحقائق الثابتة والمقررة أن اللغة إذا كانت واحدة فهي متعددة بتعدد الأفراد الذين يتكلمونها ومن المسلم به أنه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفرق، والاختلاف الواقع بين الأفراد في كيفية النطق يؤدي مع مضي الزمن إلى أن تتطور لهجتهم هذه أو تنشأ لهجات أخرى.

وأكثر من هذا فإننا نرى أن "سابير" يذهب إلى أن اللهجات تنشأ من الميل العام إلى الاختلاف الفردي في الكلام.

ومما له أثر بالغ في نشوء اللهجات وجود ما يسمى بخطأ الأطفال والقياس الخاطيء فنحن نشاهد أن بعض الأطفال يقول: أحمره وأخضره في مؤنث أحمر وأخضر، فإذا عاش هؤلاء الأطفال في معزل عنم يقوم لهم ألسنتهم كأن يكون آباؤهم مشغولين في الغزو، أو في طلب الرزق أصبحت هذه الأخطاء بعد مضي فترة من الزمن عادات لهجية.

ويخيل لنا أن الظاهرة المنسوبة إلى قبيلة تميم في تصحيح اسم المفعول من الأجوف حينما يقولون: "مبيوع ومديون" قياساً على الفعل الصحيح - من هذا القبيل. وبالجملة فإن تكوّن اللهجات يمكن أن يعزى إلى عاملين رئيسين، هما:

١- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

٢- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

(١) اللغة لفندريس (ص ٢٤٨).

ولقد شهد التاريخ نشوء عدة لغات مستقلة من اللغة الواحدة نتيجة أحد هذين العاملين أو كليهما معاً.

فإذا اتسعت رقعة اللغة وفصلت بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية - استطعنا أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات مختلفة، فقد تفصل جبال أو أنهار أو صحارى أو نحو ذلك بين بيئات اللغة الواحدة، وبالتالي يترتب على هذا الانعزال والانفصال والاحتكاك بين أبناء الأمة الواحدة بعضهم ببعض أو انعزالهم بعضهم عن بعض، ومن هنا - ونتيجة لذلك - تنشأ مجموعات صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة، والتي لا تلبث بعد مضي قرن من الزمن أو قرنين أن تتطور تطوراً مستقلاً، يباعد بين صفتها ويكون سبباً في تشعبها إلى لهجات مختلفة؛ وذلك لأنه من الضروري أن يتطور الكلام ويتغير على مرور الزمن، ولكننا نجد أن الطريق الذي يسلكه الكلام في هذا التطور يختلف من بيئة إلى أخرى؛ لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات ولا يأخذ طريقاً واحداً في تطوره وشكلاً واحداً في تغيره، والواقع والمشهد أنه متى اختلفت البيئات اتخذت أشكالاً متغايرة ومتباينة في تطور لهجاتها فليس للانعزال الجغرافي وحده كل الأثر في تكوين اللهجات بل الضروري والواجب أن يضم إليه الانعزال الاجتماعي أيضاً، ومن الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة ما تتخذ فيه العلاقة بين أفراد الأسرة شكلاً خاصاً ونظاماً معيناً ومنها ما قد تشتهر فيه مهنة خاصة أو تتصف بطبيعة معينة في تربيتها، تصلح لنوع خاص من الزراعة أو الصناعة؛ ولذلك نرى أن أبناء البيئات الزراعية لهم من الظروف الاجتماعية ما يخالف ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية أو الملاحية وصيد الأسماك وما إلى ذلك.

فهذه الظروف الاجتماعية والتي لا تكاد تقع تحت عددهم التي تكون عاملاً مساعداً لعامل الانعزال الجغرافي على اختلاف الطريق الذي يسلكه الكلام

في تطوره، وكما يوجد اختلاف بين الظروف الاجتماعية في البيئات المنعزلة من الأمة الواحدة -توجد من جهة ثانية عوامل اشتراك بينها جميعاً ترجع إلى نعمة قومية أو رابطة سياسية أو اتجاه خاص في التفكير وهذه العوامل المشتركة بين البيئات المختلفة للأمة الواحدة هي التي تحافظ على استمرار نوع من الوحدة بينهما، ولا يزال الأمر في صراع عنيف بين عوامل الاتصال وعوامل الانفصال، هذه تباعد بين اللهجات وتلك تقرب بينها، ولكن في النهاية تكون الغلبة في جميع الأمثلة التاريخية دائماً لعوامل الانفصال؛ ولذلك تشعبت اللغات إلى لهجات واستقلت هذه اللهجات وتميزت بعضها من بعض، ولكن لا بد لهذا التشعب من زمن طويل حتى يتحقق وجوده بعد مرور عدة أجيال مختلفة.

وخير مثل يمكن أن يضرب لهذا الانعزال الذي يكون سبباً في تشعب اللغة الواحدة إلى لهجات: تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام، فالبيئة الجغرافية ممتدة واسعة، وعلى هذا تختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الآخر ففيها التهام والنحود، والمسائل والوديان وفيها المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البدو، وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شيء من زراعة أو نصيب من تجارة.

وأحدث الأمثلة لهذا الانعزال ما حدث للأسبانية والإنجليزية؛ حيث انتشرت اللغة الأسبانية في أمريكا الجنوبية وانتشرت اللغة الإنجليزية في أمريكا الشمالية، وبدأنا نلمس فروقاً بين إنجليزية أوروبا وإنجليزية أمريكا وأسبانية أمريكا وأسبانية أوروبا، وهذا الخلاف وذلك التباين يرجع إلى الانعزال بين البيئات من الناحية الجغرافية والظروف الاجتماعية.

مما سبق يتبين لنا بوضوح أن انتشار اللغة الواحدة في بيئات منعزلة يكون لهجات لا تلبث أن تستقل وتتميز بصفات خاصة.

أما العامل الرئيسي الثاني لتكوين اللهجات فهو الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة، فقد يغزو شعب من الشعوب أرضًا يتكلم أهلها لغة أخرى غير لغة الغازين، ومن هنا يقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة، وتكون النتيجة في النهاية إما القضاء على إحدى هاتين اللغتين قضاء يكاد يكون تامًا، أو أن ينشأ من هذا الصراع لغة مشتركة ومشتقة من كلتا اللغتين الغازية والمغزوة، تشتمل على عناصر مأخوذة من هذه وأخرى مأخوذة من تلك.

ونظرة واحدة في التاريخ نرى أن العرب قد غزوا جهات كثيرة ومتعددة ذات لغات مختلفة، واستطاعت اللغة العربية في نهاية المطاف أن تقضي على اللغات وتصرعها في مهدها، وأن تحل محلها فلقد تغلبت اللغة العربية على الآرامية في الشام والعراق وعلى القبطية في مصر وعلى البربرية في بلاد المغرب، والفارسية في بعض بقاع مملكة فارس القديمة.

ويذكر لنا التاريخ أن الرومان قد غزوا جهات كثيرة في أوروبا، وأن لغتهم الرومانية قد حلت محل اللغات التي كان يُتكلم بها في تلك البقاع والأماكن. وقد استعرض المحدثون من علماء اللغات الأمثلة التاريخية للصراع اللغوي فرأوها أنواعًا، وقد رأوا أن نتيجة الصراع تختلف حسب كل نوع وظروفه.

١- فهناك غزو كان الغزاة فيه قليلي العدد اقتصر على جيش قوي كامل العدة، ظهر تفوقه ساعة القتال، فلما وضعت الحرب أوزارها، وبدأ المستوطنون منهم يهجرون لغتهم الأصلية متأثرين بلغة البيئة الجديدة، غير أن اللغة المغزوة قد تستعير من مثل هذه الحالة بعض الكلمات والأساليب من اللغة الغازية كتلك التي تعبر عن نظام الحكم وأمور الجيش، ونحو ذلك وخير مثل لهذا غزو النورمندين لإنجلترا في القرن الحادي عشر، إذ تغلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة بعد زمن ما، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثارًا ضئيلة باللغة الإنجليزية.

ويطول زمن الصراع أو يقصر في مثل هذه الحالة على حسب قرب اللغتين الغازية والمغزوة إحداهما من الأخرى، وعلى قدر اعتزاز الغزاة بموطنهم الأصلي وتمسكهم بتقاليدهم وعاداتهم ومقدار اختلاطهم بالشعب المغزوة.

٢- وهناك غزو كثر الغزاة فيه، وتبعه موجات من هجرات لذلك الشعب الغازي جاءت بطوائف كثيرة من الناس، يستعمرون الأرض ويشتركون في مهمتها وحرقتها، ويلتمسون الرزق من مواردها، زراعة أو صناعة، فلا يدعون مجالاً لاجتلاب الخير إلا طرقوه، ولا مورداً للحصول على نفع إلا أسرعوا إليه.

وفي مثل هذه الحالة نرى الغزاة يكوّنون الطبقة العليا والوسطى، في حين أن من قُهرُوا في عقر دارهم يكونون الطبقة الدنيا؛ تلك الطبقة الضعيفة المقلّدة، التي تعتز بصفات الغالب وبكل ما جاء به، ومن بين ذلك اللغة، فلا تلبس اللغة المغزوة في صراعها إلا زمناً قصيراً بعده تمزم تاركة آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الغازية التي تشيع بين الناس وتصبح لغة الخاص العام، وتكاد تنحصر تلك الآثار التي تخلفها اللغة المغزوة في صفات صوتية خاصة أو بضع كلمات تعبر عن مهن حقيرة، أو عن أشياء اختصت بها البيئة المغزوة من حيوان أو نبات.

وخير مثال لهذا: الغزو الأنجلوساكسوني لبلاد الإنجليز قديماً، ذلك الغزو الذي قضى على اللغة "الكلتية" القديمة التي تركت آثاراً ضئيلة جداً في اللغة الإنجليزية الغازية.

٣- أما هجرة شعب إلى أرض معمورة دون غزو منظم تقوم به جيوش محاربة وإنما أمر منافسة في طلب العيش فقد حدث له أمثلة في العصور التاريخية: حين هاجر قوم من الساميين إلى بلاد ما بين النهرين وكونوا على أنقاض السومريين تلك المملكة التي عرفت فيما بعد بمملكة البابليين والآشوريين، وقد قضت هذه الهجرة السامية على اللغة السومرية، بعد أن تركت في اللغة السامية

آثاراً، وأحدثت بها أحداثاً جعلتها تباين أحوالها السامية في جهات أخرى<sup>(١)</sup>.  
واللهجات العربية التي كانت منتشرة في شبه الجزيرة قبل الإسلام لا تختلف عن غيرها في العامل الرئيسي، ففي الجزيرة حدثت هجرات بشرية حدثت عنها كتب التاريخ والأنساب: هاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط الجزيرة وشرقيها وشماليها، وهاجر من هاجر من أهل الحجاز إلى اليمن، ولقد تجاوزت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى، فلهجات القبائل لعربية التي تنزل بادية الشام أو العراق مثلاً كانت تجاور لغات كالآرامية والعبرية، وهذا الاحتكاك أدى إلى ظواهر لهجية سوف نتعرض إليها فيما بعد - إن شاء الله تعالى.

وبعد: فهذه هي الأسباب والعوامل التي إن وجدت كانت سبباً في وجود اللهجات وتنطبق على جميع اللغات مهما اختلفت في انتمائها إلى فصائل لغوية متباينة، فهذه العوامل متى وجدت تفعل فعلها في اللغتين، فيبدأون بتحويلات في نطقهم، تؤدي في كثير من الأحيان إلى وجود لهجات تنفرع من لغتهم.

### هل البلبلة سبب في اختلاف اللهجات؟

ومع ما سبق من الأسباب والعوامل التي تكون اللهجات، ووضوح ذلك وضوحاً ظاهراً، ومسايرة ذلك للحقيقة والواقع - نجد أن فريقاً من العلماء قد حاد عن شاكلة الصواب ورأى أن اختلاف الألسنة يرجع إلى حادث برج بابل، والذي أقامه البابليون ظناً منهم أنهم سيصعدون بواسطته إلى السماء فغضب الرب عليهم وصدع هذه البنية، وتجم عن هذا التصدع بلبلة الألسنة لشدة هول هذا الحادث، وقد استندوا في دعواهم إلى ما ورد في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين، وعزوا إطلاق بابل على المدينة المعروفة لهذه المناسبة.

(١) سبق أن تعرضت لهذه اللهجة أثناء الكلام عن عوامل نشوء اللهجات قبل قليل في هذا المكان نفسه.

وهذا القول ظاهر الفساد لا سند له من الواقع أو التاريخ؛ لأن الألسنة إذا كان قد نالها تأثير من أثر هذا الحادث العظيم على رأيهم فما الذي يجعل الألسنة تختلف على اختلاف الأزمنة وتفاوت الأمكنة؟

ودعوى أن بابل أطلق عليها هذا الاسم لهذه المناسبة غير حقيقي لفقدانه الأدلة التاريخية على هذا، بل على العكس من ذلك تماماً فالتاريخ خير شاهد على كذب هذا الادعاء المختلق من أساسه؛ فالتاريخ يحدثنا أن إطلاق هذا الاسم على هذه المدينة هو من عمل الملك سرجون الأول سنة ٢٧٠٠ قبل الميلاد حين بنى معبداً لعبودهم مردوك، وهي من المركب الإضافي فأصلها في اللغة العبرية باب أيل أي: باب الله ونسبها إلى الله تشریفاً.

من هذا يتبين لنا بوضوح بطلان هذا الرأي وفساده، إذ لا أثر له في تفرع اللغة إلى لهجات كما يظن القائلون به، ولكن إذا وجدت العوامل السابقة بدأت تؤثر في اللاغين، وتبعث في ألسنة المتكلمين أوجه الخلاف التي تبدأ في الناحية المتعلقة بالصوت، فتختلف الحروف التي تتألف منها الكلمة، ويتبعها اختلاف نطق هذه الحروف ويشتد الخلاف على مر الزمن وينتقل هذا الخلاف إلى وجود تباين بين معاني الكلمات، وفي نهاية الأمر ينال القواعد التغييرات.

## الفصل الثالث: عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة

الأهداف التعليمية للفصل الثالث:

- عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:
  - ١- تعرف ما تتخلص به اللهجات من السمات الخاصة بها.
  - ٢- تذكر الخصائص اللغوية التي تتميز بها اللهجة عما عداها من لهجات اللغة الواحدة.
  - ٣- تدرك أهمية الاختلاط والمشاركة في التوحيد اللغوي.
  - ٤- توضح أثر الحرب، والخدمة العسكرية، والمعارض والأسواق العامة -في تحقيق الوحدة اللغوية بين العرب جميعًا.
  - ٥- تذكر أهمية الوحدة السياسية في وحدة لغوية مأمولة نقضي من خلالها على اللهجات الإقليمية والمحلية.
  - ٦- تقيم الدليل على أن التوحيد اللغوي التام بين لهجات اللغة أمرٌ محالٌ ومتعذر.
  - ٧- تبرهن على استحالة تكوين لغة عالمية يجتمع عليها بنو البشر جميعًا.
  - ٨- تعلق للصراع اللغوي قوة وضعفاً.
  - ٩- تعلق لبقاء اللغة العربية سليمة وموحدة في بيئاتها الجديدة زمنًا طويلاً.
  - ١٠- تصف لغة الكلام العادي، وأحاديث الناس في مختلف شؤونهم العامة.
  - ١١- تقف على أسباب اختلاف اللهجات العامية فيما بينها اختلافًا بيّنًا.
  - ١٢- تحصر عناصر اختلاف النطق في العالم العربي، كالاختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة، وأصوات اللين، وموطن النبر من الكلمة.
  - ١٣- تتعرف على وسائل توحيد النطق في العالم العربي.

## الفصل الثالث: عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة

بعد أن عرفنا كيف تتكون اللهجات وعوامل نشأتها أو ما يسمى بظواهر اللغة - نريد أن نبين في هذا المبحث أن الوحدة اللغوية تعتمد دائماً على الاختلاط، وعلى أي نوع من أنواع المشاركة في أمور الحياة، وعن طريق هذا الاختلاط وتلك المشاركة تتخلص اللهجات من السمات الخاصة بها والخصائص اللغوية التي تتميز بها عما عداها من لهجات اللغة الواحدة، والتي لم تألفها الآذان العربية عنها، والتي قد يميل من لا يعرفها إلى التهكم بها والسخرية منها. ومما تجدر الإشارة إليه أن لهذا الاختلاط وتلك المشاركة عوامل كثيرة مختلفة تساعد على تحقيقها، نذكر منها ما يلي:

### ١- الاجتماعات الدينية:

إذ للاجتماعات الدينية أثر هام في التقريب بين اللهجات المختلفة والتخلي عن الصفات والسمات والظواهر اللغوية الخاصة بهذه اللهجات واللجوء إلى التحدث باللغة المشتركة التي يفهمها الجميع كالحج إلى بيت الله الحرام والجمع والأعياد، في كل هذه الاجتماعات تحقيق لغة مشتركة وتخلُّ عن الظواهر اللغوية الخاصة باللهجات.

### ٢- الحرب:

والتي يترتب عليها اندماج السكان وتلاقيهم بطرق مختلفة، أهمها الهجرة إلى أماكن بعيدة عن مواقع العمليات العسكرية ومسرحة القتال.

### ٣- الخدمة العسكرية:

فالجنود من مختلف الأقاليم يتقابلون ويختلطون فيلجأون إلى التحدث باللغة المشتركة والتخلي عن الصفات الخاصة بلهجاتهم حتى لا يكونوا موطن سخرية من الغير، وأيضاً أداة التفاهم بينهم وبين قوادهم ومدريهم واحدة، وهذا واضح

جليّ لنا جميعاً؛ فالجندي الذي يأتي من إقليم يعطش الجيم - في مصر مثلاً - بجده يتخلى عن هذه الظواهر وينطقها نطقاً قاهرياً، ويظل هذا النطق عالماً به فترة من الزمن حتى بعد انتهاء مدة خدمته العسكرية.

٤- تأسيس المعارض والأسواق العامة: وإقامة المباريات الرياضية المختلفة بين الأندية الكبرى، حيث يجتمع الناس على اختلاف لهجاتهم من مختلف الأقاليم، ويلجأون إلى التحدث باللغة المشتركة، ويتخلون عن صفات لهجاتهم.

٥- للأدب دور كبير في تكوين اللغة المشتركة والتخلي عن صفات اللهجات المختلفة، وليس المقصود هنا بالأدب أدب شاعر أو كاتب خاص؛ بل المقصود هنا مجتمع أدبي، سواء كان أدبه مكتوباً أم غير مكتوب، ولا يغيب عن أذهاننا ما كان للرواة في العصرين الجاهلي والإسلامي من فضل في نشر اللغة الأدبية المشتركة، أو ما يسمى بالأدبية النموذجية، والتخلي عن صفات اللهجات الخاصة.

#### ٦- الزواج المختلط:

يرى بعض علماء اللغة أن الزواج المختلط له أثر كبير في إيجاد لغة مشتركة حيث يتحدث الآباء والأمهات بلغة يفهمها أطفالهم ويحاول كل منهم التخلي عن صفاتهم اللهجية.

وهذا عامل كأحد العوامل المؤدية إلى توحيد اللغة وتكوين اللغة المشتركة والتخلي عن الصفات اللهجية المختلفة، وليس بأقوى العوامل أو أحسنها كما يتصور هذا الباحث.

#### ٧- الإذاعة والتلفزيون:

وهذا العامل له أثر كبير في نشر اللغة المشتركة والتخلي عن الصفات المحلية للهجات؛ حيث يلجأ المذيع إلى التحدث باللغة النموذجية المفهومة لدى الجميع.

٨- الصحافة:

الجرائد اليومية والمجلات الدورية عامل له أثر كبير في توحيد اللغة وتكوين اللغة المشتركة التي يفهمها الجميع؛ حيث يكتب بها الصحفيون، ويتخلون عن لهجاتهم المحلية.

٩- الوحدة السياسية:

والوحدة السياسية عامل من عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة؛ لأنها تؤدي إلى الاختلاط والاجتماع بين سكان الأقاليم المختلفة، والاتصال الدائم وبشكل قوي، وهذا يؤدي إلى توحيد اللغة والتخلي عن الصفات اللغوية الخاصة باللهجات الإقليمية.

ولاشك أن الوحدة السياسية تستلزم وجود حكومة مركزية، وهذه الحكومة تعمل جاهدة بمباشرة مهامها واستعمال لغة عامة مفهومة لدى الجميع، وعدم استعمال صفات خاصة لأي لهجة من اللهجات الإقليمية.

ومن جهة أخرى فرعايا هذه الحكومة على اختلاف أقاليمهم عند قضاء حاجتهم لدى الحكومة المركزية يستعملون اللغة العامة المشتركة المفهومة لدى الجميع، ولا يستعملون صفات لهجاتهم المحلية، وهذا بدوره يؤدي بمرور الزمن إلى توحيد اللغة، وتكوين اللغة المشتركة والقضاء على اللهجات الإقليمية.

١٠- ظهور المدن الكبرى:

وهذا عامل من عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة، فإلى هذه المدن يلجأ السكان وينزحون إليها من مختلف الأقاليم، وفي هذه المدن يندمج بعضهم ببعض فتذهب خصائص لهجاتهم تدريجياً، ويحاولون استعمال اللغة العامة المشتركة لدى الجميع، وهي لغة المدينة المعروفة بها، وهذا واضح جداً.

هذه هي بعض عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة وهي عوامل معقدة

ومتشابهة، وتعمل مع بعضها في اتجاه واحد في الوقت نفسه، وليس من الدقة أن تنسب الفضل إلى عامل واحد أو عاملين بالذات، اللهم إلا إذا أردنا تلخيص كل العوامل تحت قاعدة عامة تضم كل الاحتمالات والظروف المختلفة هذه القاعدة هي: أن الظروف الاجتماعية وما يترتب عليها من اتصال واجتماع واختلاط بين الناس هي العوامل الأساسية في إزالة الفروق اللغوية المختلفة والخاصة باللهجات الإقليمية وتكوين اللغة المشتركة المفهومة لدى الجميع وتوطيد أركانها.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن التوحيد التام بين لهجات اللغة الواحدة أمر محال ومتعذر؛ إذ من الثابت أن الظروف الاجتماعية مهما زالت الفروق الطبقية، ومهما كثرت عوامل الاختلاط والاتصال لا يمكن أن تتحد اتحاداً كاملاً، كما أنه لا بد أن تحتفظ كل بيئة من البيئات وكل طائفة من الطوائف ببعض الخصائص اللغوية الخاصة بلهجاتهم الإقليمية، ويرجع ذلك إلى نوع من العصبية أو الافتخار بمذه اللهجات.

ومن هنا يتضح لنا أنه من العبث أن يضني العلماء أنفسهم في تكوين لغة عالمية يجتمع عليها بنو البشر جميعاً، وإن كان هذا من الغايات التي فكر فيها كثير من العلماء. ومع ذلك فقد حاول بعض العلماء المحدثين وضع لغة عامة يجتمع عليها الناس جميعاً من مختلف الجنسيات واللغات وأطلقوا عليها اسم (الاسيراتنو) وتؤلف هذه من (٢٢٠٠) مادة مأخوذة من جميع لغات أوروبا، وكان الهدف من وراء هذه الفكرة هو إيجاد لغة صناعية يمكن عن طريقها التفاهم بين مختلف الجنسيات في المجتمعات الدولية فقط، فهذه اللغة لا تخضع للقوانين نفسها التي تخضع لها اللغات الطبيعية، فهي أساساً لغة قراءة وكتابة فقط لا لغة حديث عام يستعملها الأفراد العاديون كاستعمالهم للغات الطبيعية، وهي أيضاً تخضع لإشراف علمي يزيد كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وأيضاً ينقص كلماتها

حين تفقد هذه الكلمات دلالاتها ومعانيها الموضوعية لها.  
ورغم هذا فلم يكتب لهذه الفكرة النجاح حتى وقتنا الحاضر.

### وحدة النطق في العالم العربي

انتقلت اللغة العربية من شبه الجزيرة العربية مع الفتوح الإسلامية إلى مناطق كان لسانها يختلف عن اللغة العربية اختلافاً شديداً في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى كان قريب الشبه بلغة الفاتحين من العرب.

وبدأ الصراع اللغوي يتخذ صوراً مختلفة في تلك البيئات المغزوة، وكان هذا الصراع يقوى ويشتد حيناً ويضعف ويقل حيناً آخر ويقوى ويشتد في الأماكن البعيدة عن شبه الجزيرة العربية، ويضعف ويقل في الأماكن القريبة منها، وكانت نتيجة هذا الصراع تختلف فيما بينها.

فعندما يكون الصراع عنيفاً تخرج اللغة العربية الغازية وعندما يكون ضعيفاً تخرج منه اللغة الغازية، وهي اللغة العربية السليمة لا ينالها سوى أمور ضعيفة وتعبيرات لا تذكر بعكس حالها في الصورة الأولى، والتي تكاد فيها أن تخفى على سامعيها ومما تجدر الإشارة إليه أن اللغة العربية انتقلت إلى البيئات الجديدة في صورتين:

الأولى: موحدة منسجمة وهي اللغة الأدبية النموذجية أو ما يسمى باللغة الفصحى أو اللغة المشتركة، وتلك هي لغة الآثار الأدبية من نثر وشعر ولغة القرآن الكريم، ولقد نمت هذه اللغة في بيئة مكة والحجاز قبل الإسلام.

الثانية: تشتمل على الصفات اللغوية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة من تميم وقيس وأسد وحمدان وطى وعقيل وكنانة وأزد شنوعة إبان الفتوح الإسلامية.

ولقد ظلت اللغة العربية موحدة في البيئات العربية الجديدة زمنًا طويلاً، ولم يصبها إلا النزر اليسير من التغيير حين استقلت هذه البيئات بعضها من بعض، ولكنها كانت دائماً مفهومة وفي متناول المثقفين من مختلف هذه الأقاليم، وظلت

الآثار الأدبية القديمة نماذج تختذى وترأثاً يُعتر به ويدرس في جميع هذه البيئات المفتوحة في جميع عصورنا التاريخية، وكانت هذه الآثار الأدبية من نثر وشعر، والتي خلفها القدماء العرب بمثابة الحراس لهذه اللغة ولا ننسى في هذا المجال أن ننسب الفضل كل الفضل للقرآن الكريم كتاب العربية المقدس؛ فلولاها لما بقيت هذه الوحدة اللغوية للغة الأدبية النموذجية، ورغم الاستقلال السياسي الذي أصاب الأقاليم العربية في عصور الانحلال فلقد ظل التوحد الثقافي بين الأقاليم العربية فيكتب المصري للسوري والسوري للجزائري، والعراقي للمغربي فيقرأ بعضهم لبعض؛ لأن أداة الكتابة واحدة، وثقافتهم واحدة، وتقاليدهم متحدة، ودينهم واحد.

هذا عن اللغة الأدبية النموذجية، أو اللغة الفصحى أو إن شئت قلت: اللغة المشتركة بين العالم العربي.

أما لغة الكلام العادي وأحاديث الناس في مختلف شئونهم العامة والتامة من القول والغث من الكلام، فقد اتخذ صوراً متباينة في كل بيئة من البيئات العربية، فالناس في أسواقهم وفي متاجرهم وفي حقولهم وفي مصانعهم وفي منازلهم ومع أطفالهم - يتخذون لهجات مختلفة باختلاف الأقاليم، وهو ما يعرف بالعامية أو الدارجة، ومنشأ هذه اللهجات أن اللغة العربية في صورتها الثانية التي وفدت بها إلى هذه الأقاليم كانت تشمل لهجات متباينة، حيث كانت الجيوش الإسلامية الفاتحة تضم جنوداً من مختلف القبائل في شبه الجزيرة العربية من أسد وقيس وتميم وقريش وهوازن والأوس والخزرج... إلخ.

قد جاءوا جميعاً باللهجات عربية قديمة تختلف عن بعضها في صفاتها اللغوية، وهذه اللهجات هي التي صرعت لغات الكلام في البيئات المفتوحة وحلت محلها بعد زمن ليس قصيراً، قد يصل إلى حوالي قرن أو قرنين من الزمان، ولكن هذه اللهجات لم تبق في صورتها الأصلية التي قَدِمَتْ بها من شبه الجزيرة، بل أصابها بعض التغير،

وحلت محل غيرها في صورة جديدة نتيجة للصراع اللغوي بينها وبين تلك اللغات المغزوة، والتي لم تترك المجال للغة الغازية، بل اشتبكت معها في صراع لغوي يقوى ويشتد حيناً ويضعف ويذول حيناً آخر، وحين كان يشتد تخرج منه اللغة الغازية مشوهة لا تكاد نفهمها، وحين كان يضعف تخرج اللغة الغازية سليمة، لم ينلها سوى النزر القليل، وهذا في الأماكن القريبة في شبه الجزيرة العربية.

أضف إلى ذلك أن هذه الأقاليم حين استقلت وانفصلت عن بعضها بعد سقوط الدولة العباسية - أهملت لهجات الكلام فيها وأخذت تتطور تطوراً مستقلاً يبعدها عن أحوالها.

وفوق هذا وذاك: نجد أن العامية في البلاد العربية أخذت بعض الألفاظ والمفردات من الغزاة المستعمرين من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين، مما كان سبباً في زيادة بعدها عن بعض.

وعلى أية حال فإن اللهجات العامية في مختلف بلدان الوطن العربي تختلف فيما بينها اختلافاً بيناً، سببه أن اللغة العربية الغازية بلهجاتها المختلفة اشتبكت في صراع بين لغات مغزوة مختلفة في الأقاليم، فكانت نتيجة هذا الصراع أيضاً مختلفة ومتباينة. تلك هي الحقيقة ولا نستطيع الفرار منها، ويجب علينا أن نواجهها بشجاعة، ونعمل جاهدين على التقريب بين اللهجات العامية في مختلف بلدان الوطن العربي حتى ينطق الجميع الفصحى (لغة القرآن الكريم).

عناصر اختلاف النطق في العالم العربي ووسائل توحيده

من الممكن أن نحصر نواحي الاختلاف الصوتي بين لهجات العالم العربي في الأمور التالية:

١- اختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة:

فالذال والثاء والظاء في هذه الأصوات اللغوية يميل - حتى المتعلمون - إلى

نطقها زايًا وسينا وزايًا مفحمة على الترتيب.

وصوت الضاد بحسب نطقنا الحالي توصف بأنها:

صوت أسناني لثوي انفجاري مطبق، ونظيره في المخرج وجميع صفاته ماعدا الإطباق هو صوت الدال، فلا فرق بين الضاد والدال إلا أن الأول مطبق -أي: مفخم، والثاني: مرقق لا إصباق فيه.

ولكن صوت الضاد القديمة قد جاء وصفه في كتب القدماء مخالفًا لوصفه السابق، فهو عندهم:

صوت مخرجه يقرب من وسط الحنك رخو بمجهور مطبق، وليس له نظير من حيث المخرج، فالفرق بين الضاد الحديثة والقديمة في المخرج وأيضًا في بعض الصفات، حيث إن الحديثة شديدة والقديمة رخوة، والقديمة ليس لها نظير في المخرج، والحديثة لها نظير في المخرج وهو الدال.

ولا نجد للقديمة أثرًا في الأفواه إلا ربما في نطق بعض العراقيين لها وبعض البلاد العربية الأخرى، وخاصة عند البدو؛ لذا نجد أن الطفل العراقي يخلط في إملائه بين صوت الضاد وصوت الظاء تمامًا كما عندنا في مصر، يخلط بين هذا الصوت وهو صوت الضاد وصوت الدال نتيجة تطور النطق عندنا، وعدم تطوره عندهم، فهو عندهم مطبق ليس له نظير في المخرج، أما عندنا فأصبح صوت الدال نظيره في المخرج.

وصوت القاف في نطقنا للعربية الفصحى المعاصرة: صوت لهوي انفجاري (شديد)، مهموس.

أما عند القدماء: فهو صوت من أقصى الحنك شديد (انفجاري) مجهور. فهذا الصوت أصبح في نطقنا مهموسًا بعد أن كان مجهورًا وتغير مخرجه عما كان عليه قديمًا، ونجد أن السودانيون ينطقون هذا الصوت نطقًا قريبًا من

صوت الغين، مما جعل الطفل السوداني يخلط في إملائه بين الصوتين.  
وصوت الكاف في النطق الفصيح صوتٌ شديد وفي بعض اللهجات الحديثة  
صوت أميلٌ إلى الرخاوة، كما نئين ذلك في بعض لهجات سوريا وفلسطين.  
والضاد كما تنطقها اليوم تعرف بأنهما:

صوت أسناني -لثوي انفجاري مهموس مطبق ونظيره في المخرج وفي  
صفاته -ماعدا صفة الإطباق- صوت التاء.

أما عند القدماء فالضاد:

صوت أسناني -لثوي انفجاري مجهور مطبق ونظيره في المخرج وفي كل  
صفاته -ماعدا الإطباق- صوت الدال.

وعند القدماء الطاء:

صوت أسناني -لثوي انفجاري مجهور مطبق، ونظيره في المخرج وفي كل  
صفاته - ماعدا الإطباق- صوت الدال.

ومن هنا يتبين لنا: أن صوت الطاء القديم مجهورٌ على حين أنه مهموس في  
نطقنا الحالي، أي: أن الأوتار الصوتية في القدم تمتاز وفي الحديث لا تمتاز حال  
نطقه، فلا يحدث ذبذبات.

وكان نتيجة ذلك أن عدّوا الدال نظيرها التاء وكأن التاء عندنا هي النظير المرقق.  
والجيم: اختلفت اللهجات الحديثة في نطق هذا الصوت، فهو شديد في  
النطق المصري وكثير الرخاوة في لهجة المغرب وبعض السوريين.

أما في القدم فهو شديد أميل للرخاوة.

٢- اختلاف في نطق أصوات اللين:

وأصوات اللين عند المحدثين هي الحركات حين تكون قصيرة، وحروف  
المد حين تكون طويلة، فالفتحة والكسرة والضممة هي الأصوات القصيرة،

والألف والياء المسبوقة بكسر، والواو المسبوقة بضمه هي الأصوات الطويلة. وهذه جميعاً تسمى عند المحدثين بأصوات اللين، أما القدماء فأطلقوا على القصيرة الحركات وأطلقوا على الطويلة اسم حروف المد.

ولقد أهمل أمر أصوات اللين في العربية، وراحت تأخذ أشكالاً كثيرة في الأفواه حتى صارت إلى ما نشاهده الآن من فروق خطيرة في البلاد العربية.

وكان القدماء ظنوا خلّو الرسم العربي من هذه الأصوات القصيرة وهو ما يعرف عندهم بالحركات -ظنوا أنها ليست عنصراً من عناصر اللغة، فأعملوا شأنها، على حين أنها لكرتها وشيوعها في النطق أوضح وأبرز في تجسيم الفروق بين مختلف اللهجات.

لذا يجب العناية بأمر أصوات اللين هذه طوليلها وقصيرها، ووضع مقاييس لا تحيد عنها، مهما كلفنا ذلك من مشقة، فالفرق كبير بين نطق موسى بالفتح، وموسى بالإمالة، والفرق كبير بين نطق فاطمة بصوت لين طويل وهو الألف وبين نطقنا في العامية فطنة بصوت لين قصير وهو الفتحة.

### ٣- الاختلاف في موطن النبر من الكلمة:

وهذا هو العنصر الثالث الذي يفرق بين النطق في مختلف بلدان العالم العربي، بل يفرق بين الأقاليم للقطر الواحد، فكل منطقة وكل بيئة تضغط على مقطع يخالف البيئة الأخرى، ولنستمع القاهري يقرأ قول الله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةً﴾ [النساء: ٩٢]، ولنستمع بعد ذلك إلى أحد أبناء الوجه البحري أو القبلي فسندجد أن كلاماً يضغط على مقطع خاص يناسب ويلئم البيئة التي نشأ فيها.

هذه هي عناصر اختلاف النطق في العالم العربي أما وسائل توحيدده فيمكن إجمالها فيما يلي:

### وسائل توحيد النطق في العالم العربي

#### ١- المدرس:

تخير طبقة من المتعلمين ليكونوا رسل الوحدة في النطق والاتجاه بالعالم

العربي إلى التحدث باللغة الفصحى لغة القرآن الكريم، وهؤلاء الرسل أو ما يسمى بالمدرس الخاص، والذي يصلح للتدريس في بيئة معينة من البيئات العربية يكون قد درس دراسة علمية صحيحة عاداتها الصوتية والتي كونت لهجة الكلام فيها، وأصبح جميع أفراد هذه البيئة يتميزون بها من غيرهم ثم يكون بالإضافة إلى ذلك على علم تام بخصائص النطق النموذجي الذي تهدف إليه والذي نريد أن يكون موحدًا بين جميع أقطار العالم العربي ليحاول التوفيق بين صفات صوتية مصدرها الكلام العامي في هذه البيئة وبين الصفات الصوتية التي ستمت المواضعة عليها في النطق النموذجي للغة الفصحى.

فمتى عرف كل هذا سهل عليه اختيار النماذج التي يلقتها لتلاميذه ويدربهم عليها تدريجيًا سعيًا دون حاجة إلى إصلاح فني أو شرح علمي، فيردد الأطفال هذا ويكررونه فيصبح بالنسبة لهم عادة كلامية والأطفال وهبوا مقدرة خاصة في التقليد ومحاكاة الكبار، ويشترط في المدرس الخاص هذا أن يكون ذا أذن موسيقية مرهفة، وممن وهبوا القدرة على محاكاة الأصوات وتقليدها، حتى إذا اصطلحنا في النطق النموذجي الذي نرتضيه سجلناه ثم ندرسه دراسة علمية مفصلة لهؤلاء الرسل ثم ينطلقون إلى مختلف البيئات في أنحاء العالم العربي ناشرين المنطق النموذجي هذا في معاهد التعليم.

٢- وهناك وسيلة أعمّ نفعًا من هذا وهي الإذاعة فيجب تدريب المذيعين تدريجيًا صوتيًا على النطق النموذجي، بحيث يردده على آذان السامعين في جميع الأوقات، ولا تقتصر على البيئة المدرسية، بل الإذاعة يسمعها العام والخاص والكبير والصغير.

فيجب علينا على امتداد أنحاء الوطن العربي أن نعتني بالمذيعين الذين يقومون بهذه المهمة، وننشئهم تنشئة خاصة نراعي فيها العناية بنطقهم ونجعلهم أداة نافعة في هذا المجال.

## خلاصة الوحدة الأولى

الفصيلة اللغوية تسمى بمسميات آخر كالعائلة اللغوية والسلالة والأسرة.

وهي مجموعة اللغات التي تعزى لأصل لغوي واحد.

ومن الفصائل اللغوية الفصيلة السامية، نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام وهي تسمية منصوص عليها في سفر التكوين الفصل العاشر، وتسمية هذه الفصيلة بالسامية تسمية تحتاج إلى حجة بالغة وسلطان عظيم، وقبلها العلماء لشهرتها وسهولتها.

وقد تأكد للباحثين والدارسين أن بين لغات هذه الفصيلة صلة قوية واضحة، تعد أقوى من الصلة القائمة بين لغات ما يعرف بالأكدية أو المسمارية، وهو يشمل البابلية والآشورية، والقسم الغربي ينقسم بدوره إلى: شمالي وجنوبي، والشمالي يضم الكنعانية والآرامية، بينما يضم القسم الجنوبي: العربية الشمالية والعربية الجنوبية.

ولا تزال العربية الشريفة تنبأ موقعها في قلب الجزيرة العربية الموطن الأصلي للغات السامية، وانتشرت العربية منذ الفتح الإسلامي العظيم في بيئات جديدة متعددة في الشرق والغرب وتغلّت هذه اللغة العظيمة على ما كان لتلك البيئات من لغات.

وظلت العربية الفصحى لغة علم وأدب بفضل القرآن الكريم، ولولاه لأصبحت اللهجات العربية الحديثة كاللهجات اللاتينية ولنسي المسلمون عربيتهم الفصحى مثلما نسيت الأمم الرومانية اللغة اللاتينية.

وتعد اللغة خاصة من خواص الإنسان، فهو حيوان ناطق كما قال "ديكارت" فيلسوف العصر الحديث، ويعني بكلمة ناطق مفكر، وهذا ما يميزه من غيره، حيث إنه يتناول الأشياء تناولاً مختلفاً عن تناول الحيوان لها.

واللغة وسيلة المرء وأداته لمعرفة نفسه وكشف ما فيها من أسرار، ووسيلته كذلك لمعرفة العالم الكبير من حوله وكشف ما به من أسرار. ولا ريب في أن

اللغة تحقق ناطقية الإنسان الحقيقية بشقيها: الفكر والعمل، وتؤهله لأن يكون خيفة الله على الأرض.

واللغة شيء خطير في حياتنا؛ لأنها تأكيد لماهيتنا، وتزكية لذواتنا في الحياة الاجتماعية، ومهمتها في حياتنا أكبر وأخطر مما يبدو للنظرة السريعة.

إنها تلازم الفرد في حياته، وتمتد إلى أعماقه، وتبلغ إلى أخفى رغباته وخطراته، وتجعل من الأمة الناطقة بما كلاً متراصاً، وهي الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.

وتؤكد المصادر القديمة -وبخاصة المعجمات اللغوية- أصالة عروبة كلمة "لغة"، وهي لدى بعض المحدثين مأخوذة من "اللهاة" للتشابه بين الكلمتين: لغة، لهاة، وهذا القول يعززه -فوق ما سبق- أن الكلمة الدالة على لغة في كثير من اللغات تدل هي أيضاً على عضو من أعضاء التكلم.

كما يرى بعض العلماء أن كلمة (لغة) ليست بالعربية الأصيلة فهي تعريب لكلمة **lagos** الإغريقية، وهذا الرأي يؤيده ويعززه ما بين الكلمتين من تشابه كبير، كما يؤيده عدم ورود كلمة لغة بمعناها المعروف لدى اللغويين في القرآن الكريم، وفي الشعر الجاهلي الذي يحتج به ويعتمد عليه.

وللغة تعريفات مختلفة فهي لدى علماء النفس أية وسيلة للتعبير عما في النفس، وهي لديهم لغة حركية وصوتية ورسمية أو خطية، وهي لدى المدرسة الاجتماعية المعينة.

وحصر الناطقة وظيفتها في كونها وسيلة لتوصيل الرغبات والعواطف والأفكار، وفي كونها مساعداً آلياً للتفكير، وأداة للتسجيل والرجوع.

وعرفت المدرسة الفلسفية بأنها: استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الأفكار، ونقلها من شخص لآخر.

كما قيل في تعريفها بأنها: العمل الفكري المتكرر دائماً لإبراز الفكر الإنساني في أصوات منظمة أو أصوات مختلفة.

وهي لدى فقيه العربية ابن جني: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" ولكل من هذه التعريفات طبيعته وخاصته، وما يميزه من الآخر، وكلمة اللهجة مأخوذة من لهج. بمعنى امتص، كما يصح أخذها من لهج بمعنى أولع وأغرم، وكلا الاشتقاقين يناسب المقام واللهجة في مفهومها العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة معينة، ويشارك فيها جميع أفراد هذه البيئة.

وتمثل اللهجة قيوداً صوتية خاصة تُلاحظ عند أداء الألفاظ في بيئة معينة، تعدّ جزءاً من بيئة أوسع وأشمل، تتظم طائفة من اللهجات، لكل منها مميزات وخصائصها. ولقد كشفت الدراسة اللغوية عن علاقة اللهجة بالغة، فهي علاقة العامّ بالخاص، حيث إن اللهجة بعض اللغة.

ولكل لهجة من لهجات اللغة ما يميزها من أخواتها، وأهم ما يميزها الاختلاف الصوتي بصوره وأشكاله المختلفة، مما حفلت به كتب اللغة والأدب والقراءات والتفسير.

ويميزها كذلك الاختلاف النحوي، والدلالي، ولكل من هذه المميزات أمثلتها وشواهدا التي دوتها مصادرنا اللغوية القديمة، ويشترط في المخالفة الخاصة بنية الكلمة ونسجها والمعنى أن تكون قليلة، بحيث لا يترتب على ذلك أن تكون اللهجة غريبة على أخواتها بعيدة عنها، عسرة الفهم على أبناء اللهجات الأخرى التي تنسب إلى نفس اللغة.

ويشترط اشتراك لهجات اللغة الواحدة في الكثرة الغالبة من الكلمات ودلالاتها وقواعد البنية والتركيب.

ويؤكد واقع اللغات أنه إذا اختلفت معاني الكلمات واتخذت أسساً خاصة

في بنية الكلمات وتركيب الجمل لا تسمى عندئذ لهجة بل لغة مستقلة، وإن ظلت تتصل ببعضها بظواهر لغوية تجعلها تنتمي إلى فصيلة لغوية واحدة.

وقد تجلّى للغويين أن هناك صفات صوتية تؤدي إلى اختلاف لهجات اللغة الواحدة، ويتمثل أهمها في اختلاف مخرج بعض الأصوات الساكنة، والاختلاف في وضع أعضاء النطق مع بعض الأصوات، وفي مقاييس أصوات اللين، وفي اختلاف تباين النغمة المصاحبة للكلام، وفي قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين تتأثر ببعضها.

وتتباعد اللهجات أو تتقارب بعضها من بعض بقدر اشتغالها على الصفات المشار إليها، وإنه لمن العسير وضع حدٍّ أدنى للفروق بين لهجات اللغة الواحدة.

ويؤكد الدرس اللغوي أنه لا رابط بين اللهجة ككتلة متميزة وبين سعة بيئتها أو عدد سكانها، ولكل من اللغة واللهجة صلة بالصوت، وجهة ارتباطهما به مختلفة. وتغدو اللهجة لغة إذا تمّيات لها أسباب النمو والاكتمال وأصبحت قادرة على الوفاء بمحاجات المجتمع الذي تعيش فيه، وهي بهذا أضحت لغة مستقلة عن غيرها لا لهجة.

وتحتفظ الفصيلة اللغوية بعناصر لغوية لا يصيبها إلا قليل من التغير وبقاء الاتحاد أو التشابه في بعض الأصول اللغوية التي ترجع إلى أصل واحد يتوقف على ما يكون بين الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات من صلوات وروابط جغرافية أو اجتماعية.

وإذا باعد الزمان أو المكان بين بعضها وبعض أو انعدم ما بينها من صلوات اجتماعية أو ثقافية فإنها تتحول إلى لغات ولهجات، تشق كل منها طريقها في الحياة بعيدة عن أختها أو أخواتها، وبهذا يقل ما كان بينها من مظاهر الاتحاد، ويضعف ما كان بينها من مظاهر التشابه، وقد تأكد لعلماء اللغة أن اختلاف البيئات الزمانية أو المكانية وضعف الصلوات الاجتماعية هي الأسباب الأساسية

في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات، وكذلك في اختلاف اللهجات المتفرعة من أصل واحد بعضها عن بعض في المظاهر اللغوية.

وقد وقف اللغويون على الظواهر اللغوية التي تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل لغوي واحد، وعلى ما بينها من قرابة أو علاقة لغوية، وقد حصروها في اشتراك اللغات الفرعية في عدد كبير من المفردات التي تتحد أو تتقارب معانيها في تلك اللغات شريطة ألا تدل دلائل تاريخية على أن تلك المفردات المشتركة قد نقلت من لغة إلى أخرى بطريقة المهاجرة أو الاستعارة، وتشابه هذه اللغات في طرائق الاستقاق والتصريف وطرائق تكوين الجمل والتراكيب، وكذلك اطراد التبادل الصوتي في تلك اللغات.

ويقرر الواقع اللغوي للغات أن الوحدة اللغوية المطلقة لا يمكن أن تكون كاملة حتى بين طوائف الشعب الواحد، فلهجة البيئة الزراعية تختلف عن لهجة أرباب البيئة الصناعية، واللغة ما هي إلا لهجة في أصل ثم بمرور الزمن نمت واهتلفت بيئاتها وأصبحت لغة مستقلة لها قواعدها الخاصة بها وانقصوره عليها.

ولا ريب في أن لكل من اللغة واللهجة حدوداً جغرافية يسهل تحديدها مع اللغة، ويصعب مع اللهجة وذلك نظراً للتداخل القوي بينهما كما هو مشاهد معروف، وقد نشاهد أمكنة لا فواصل بينها ولا حدود ويتكلم بعضها لغة وبعضها الآخر لغة أخرى، كما هو واقع في القرى الشمالية الواقعة على الحدود السورية التركية، إنه ليس علينا تحديد المعالم الجغرافية بين اللغات المختلفة، فلغتنا العربية يسهل علينا تحديد جغرافيتها، وكذلك يمكننا تحديد جغرافية الإنجليزية والفرنسية والصينية والروسية واليابانية والهندية... ويصعب تحديد جغرافية اللغة إذا كان أبنائها يتكلمون أكثر من لغة كما في سويسرا مثلاً، ففيها لغات أربع قومية، هي: الألمانية والإيطالية والفرنسية والرومانية، ولكل لغة منها منطقة

خاصة بما إلا أن الاختلاط الاجتماعي والوحدة السياسية قد أدت إلى تداخل الحدود الجغرافية بين هذه اللغات الأربع؛ لذلك صعب في مثل هذا رسم خطوط جغرافية لكل لغة من هذه اللغات تميز بين حدودها.

وقد ترتب على تلك الصعوبات اختلاف العلماء في إثبات اللهجات ونفيها، لقد قال بعضهم إنه لا توجد ظواهر لغوية صوتية ونحوية ومعجمية تميز تمييزاً تاماً بين منطقة وأخرى؛ وذلك لصعوبة التمييز بين تلك اللهجات المختلفة وصعوبة رسم خط جغرافي لكل منها على حدة ومن بين هؤلاء اللغويين "جاسون باري"، وهذه الفكرة فكرة نفي وجود لهجات في اللغة الواحدة يؤيدها "جوهان شميدت" صاحب نظرية "الموجة" وعارض هذه الفكرة وقال بإمكان وجودها العالم اللغوي "ميه" وذلك عن طريق التعرف على السمات والخصائص لكل لهجة.

وما ذهب إليه "ميه" هو الرأي الأول بالأخذ والاعتماد عليه في التعرف على اللهجات المختلفة وتحديدتها تحديداً واضحاً بناء على ما اشتملت عليه من مميزات خاصة وسمات معينة لا توجد في غيرها من بقية اللهجات؛ وقد أخذ بهذا الرأي جمهور اللغويين في التفرقة بين اللهجات.

ولنشوء اللهجات عوامل ذكرها درس اللغوي وحصرها في العوامل الجغرافية، فاختلاف البيئة الطبيعية له كبير الأثر في اختلاف اللهجات وتنوعها، تبعاً لاختلاف المنازل والمشارب، كما أن له أثراً في أجسام السكان وأشكالهم وقودهم واختلاف أدوات الكلام عندهم، وهذا يؤدي إلى اختلاف اللهجات وتعددتها.

وللعوامل الاجتماعية أثرها في تفرع اللغة الواحدة إلى طائفة من اللهجات العربية المتميزة، فمعلوم أن لكل فريق أو طائفة أو طبقة من طبقات المجتمع عاداتها وتقاليدها وعاداتها الكلامية، فالطبقة الأرستقراطية لها لهجتها الخاصة بها، وللطبقة الدنيا لهجتها المقصورة عليها، وللبيئة الزراعية لهجتها وللصناعية لهجتها كذلك؛

ولذلك يقرر فندريس في كتابه: "اللغة" أنه يوجد من العاميات الخاصة بقدر ما يوجد من جماعات متخصصة، والعامية الخاصة تتميز بتنوعها الذي لا يُحد، وأنها في تغير دائم تبعاً للظروف والأمكنة، فكل جماعة خاصة، وكل هيئة من أرباب المهنة لها عاميتها الخاصة.

ومن عوامل نشأة اللهجات اتصال الشعوب بعضها ببعض لتبادل المنافع أو الهجرة. واتصال الشعوب بعضها ببعض ذو أشكال مختلفة وصور متباينة فقد يرتحل فريق من موطنه الأصلي إلى مكان آخر طلباً للرزق وسعيًا للنفع، وقد يكون لهذا الفريق جاه ونفوذ يترتب عليه تغلب لغته على لغة سكان البلاد الأصليين.

ومن عوامل نشوء اللهجات وتفرع اللغة الواحدة إلى مجموعة من اللهجات عوامل ترجع إلى الأفراد أنفسهم وكيفية نطقهم للألفاظ والخطأ في القياس.

والصراع اللغوي تختلف نتيجته تبعاً لنوعه وظروفه، وهذا ما يؤكد تاريخ اللغات، فالعربية تمكنت من غلبتها للغة الآرامية في الشام والعراق وصرعها وقهرها، كما انتصرت على القبطية في مصر وحلت محلها، كما قهرت البربرية في بلاد المغرب وحلت محلها، كما قهرت الفارسية في أماكن مختلفة من مملكة فارس القديمة وحلت محلها.

وإذا كثرت الغزاة وتبعتهن موجات من هجرات لذلك الشعب الغازي ابتغاء الرزق - فإن الغزاة يكونون ما يسمى بالطبقة العليا والوسطى والمغزوين يكونون الطبقة الدنيا، وهي الطبقة الضعيفة المتقلدة للطبقة العليا والوسطى، وفي هذه الحالة تُغلب اللغة المغزوة وتُهزم، وتترك في اللغة الغازية آثاراً ضئيلة جداً، وتتحوّل لغة الغزاة إلى لغة اخاص والعام.

وقد تكون هجرة شعب إلى أرض معمورة آهلة بالسكان بغية طلب العيش

ولهذا أمثلته في العصور التاريخية تراجع بمواضعها بالوحدة.

هذه هي عوامل تفرع اللغة الواحدة إلى مجموعة من اللهجات المتميزة وهي

عوامل تخضع لها جميع اللغات، مهما اختلفت في انتمائها إلى فصائل لغوية متباينة.

وللتوحيد اللغوي للهجات العربية وتكوين اللغة المشتركة التي تجمع شتات

الأمة ووحدة آمالها ومصيرها -عوامل ذكرها اللغويون، أهمها الاختلاط والمشاركة

في أمور الحياة المختلفة، ولهذا الاختلاط صور كثيرة مختلفة تساعد على تحقيقها

كالاتحادات الدينية والحرب، والخدمة العسكرية والمعارض العامة والأسواق

والمباريات الرياضية بين الأندية الكبرى والأدب بمختلف صورته وأشكاله، والزواج

المختلط، والإذاعة والتلفاز والصحافة، والوحدة السياسية، وظهور المدن الكبرى.

ولا شك في أن عوامل التوحيد اللغوي واللغة المشتركة عوامل معقدة

ومتشابكة وتعمل جميعها مع بعضها في اتجاه واحد في الوقت نفسه.

لقد انتقلت لغتنا العربية من شبه الجزيرة العربية مع الفتوحات الإسلامية

إلى بيئات جديدة في صورتين اثنتين: أولاهما موحدة، ويطلق عليها اللغة الأدبية،

أو اللغة الفصحى أو اللغة النموذجية أو اللغة المشتركة.

أما عن الصورة الأخرى والمتمثلة في لغة الكلام العادي وأحاديث الناس

في مختلف شئوهم، فقد اتخذت صوراً متباينة في كل بيئة من البيئات العربية،

ومنشأ هذه اللهجات في صورتها الثانية التي وفدت بها إلى هذه الأقاليم اشتغالها

على لهجات متباينة حيث كانت الجيوش الإسلامية الفاتحة تنتظم جنوداً من

مختلف القبائل في شبه الجزيرة العربية، من أسد وقيس وتميم وهوازن وقريش

وهذيل، والأوس والخزرج.

يضاف إلى ذلك استقلال هذه الأقاليم وانفصال بعضها عن بعض وسقوط الدولة العباسية وما ترتب عليه من إهمال للهجات الكلام فيها، وتطورها تطوراً مستقلاً يبعدها عن أحواتها.

يضاف إلى هذا وذاك أن اللغة العامة في عالمنا العربي أخذت بعض المفردات والأساليب من أفواه الغزاة المستعمرين، مما كان سبباً في زيادة بعد بعضها عن بعض.

ولتوحيد النطق في عالمنا العربي وسائله المتمثلة في المدرس الخاص الكفاء المعد إعداداً علمياً صحيحاً، يتمثل في دراسة العادات الصوتية للبيئة التي يقوم بالتدريس لبنها بالإضافة إلى ذلك أن يكون على علم تام بخصائص النطق النموذجي الذي تُهدف إليه واختياره النماذج التي يلقنها لتلاميذه، ويدربهم عليها تدريباً سمعياً يقوم التلاميذ بتكريره وتقليده ومحاكاته ويشترط في المدرس الخاص أن يكون موهوباً وذا أذن موسيقية مرهفة تحقيقاً للفائدة.

ومن وسائل توحيد النطق وتكوين اللغة المشتركة الإذاعة ويتحقق دورها الخطير في ذلك بإعداد المذيعين إعداداً نموذجياً مثالياً؛ حتى لا يصدر من أفواههم إلا الصحيح من النطق، ويتعين تعميم ذلك في جميع وطننا العربي الكبير.

## اختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

- ١- الفصيحة التي تنسب إليها اللغة العربية تسمى الفصيحة الحامية.
- ٢- التسمية بالفصيحة السامية تنسب بالدقة العلمية.
- ٣- أجمع كل اللغويين على أن كلمة لغة معربة.
- ٤- يرى بعض العلماء أن كلمة لغة ليست عربية أصيلة؛ بل إنها تعريب لكلمة **Lagos** الإغريقية التي تعني كلمة أو نكرة.
- ٥- جاءت كلمة "لغة" في الشعر الجاهلي وأدب ما قبل عصر الترجمة عن الإغريقية بالمعنى المعروف لنا.
- ٦- أول صور اللغة ظهوراً اللغة الحركية، وآخرها التدوينية وتوسطتهما اللغة الصوتية.
- ٧- اهتمت المدرسة الاجتماعية في تعريفها للغة بوظيفتها الاجتماعية وإهمالها ما سواها من وظائف أخرى.
- ٨- اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة معينة يشترك فيها جميع أفراد هذه البيئة.
- ٩- مما يمثل الاختلاف الدلالي بين اللهجات دلالة "وثب" عند حمير على الجلوس، وعلى القفز عند جمهور العرب.
- ١٠- التباين في النغمة المصاحبة للكلام مؤد إلى اختلاف لهجات اللغة الواحدة.
- ١١- من المقرر أن كل الظواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات المنحدرة من أصل واحد تظل ماثلة لا يلحقها فناء، وإن اعترأها شيء من التعديل أو التغيير.
- ١٢- يعد تشابه اللغات في طرائق الاشتقاق والتصريف، وأساليب تكوين الجمل -دليلاً على انحدارها من أصل لغوي واحد.

- ١٣- نظرية الموجة مستخلصة من دراسة أجريت على اللغات الهندية الأوروبية، ومفادها أنه لا يوجد اتحاد بين خطوط توزيع الظواهر اللغوية المختلفة بدرجة تسمح بالقول بوجود هجات مختلفة.
- ١٤- يعد سوء المواصلات أو صعوتها، وعدم الاختلاط الاجتماعي لأي سبب من الأسباب أهم عامل في نشأة اللهجات وانقسام اللغة الواحدة إلى عدة لهجات.
- ١٥- لا شك أن اختلاف البيئة الطبيعية له أثر كبير في اختلاف اللهجات وتووعها تبعاً لاختلاف المنازل والمشارب.
- ١٦- الطبقات المهنية لهجاتها واحدة.
- ١٧- ليس لاتصال الشعوب بعضها ببعض لتبادل المنافع أو لشيء آخر -أثر في نشوء اللهجات ووجودها.
- ١٨- إن الطريق الذي يسلكه الكلام في تطوره يختلف من بيئة إلى أخرى؛ لأن ظروف الكلام تختلف بين البيئات، ولا يأخذ صريقاً واحداً في تطوره، وشكلاً واحداً في تغيره.
- ١٩- يرجع الاختلاف بين إنجليزية أوروبا وإنجليزية أمريكا إلى الانعزال بين البيئات من الناحية الجغرافية والظروف الاجتماعية.
- ٢٠- تغلبت اللغة العربية على اللغة القبطية في مصر فقهرتها وحلت محلها.
- ٢١- تغلبت اللغة الإنجليزية على لغة الغزاة النورمنديين لإنجلترا في القرن الحادي عشر، وقد تركت النورماندية الفرنسية آثاراً ضئيلة باللغة الإنجليزية.
- ٢٢- المعارض والأسواق العامة، وإقامة المباريات الرياضية بين الأندية الكبرى مما يسهم في التوحيد اللغوي وتكوين اللغة الأدبية.
- ٢٣- للكلمة في الصحف اليومية دورها الخطير في الحد من اللهجات واتساعها.
- ٢٤- لولا القرآن الكريم لما بقيت هذه الوحدة اللغوية للغة الأدبية النموذجية.

٢٥- لم تبق هذه اللهجات في صورتها الأصلية التي قَدِمَتْ بها من شبه الجزيرة، بل أصابها بعض التغير، وحلت محل غيرها في صورة جديدة، نتيجة للصراع اللغوي بينها وبين تلك اللغات المغزوة.

٢٦- لا فرق بين الضاد القديمة والحديثة في المخرج والصفات.

٢٧- لا يمثل الاختلاف في نطق بعض الأصوات الساكنة أحد عناصر اختلاف النطق في العالم العربي.

٢٨- للمذيعين دور ذو خطير عظيم في النطق الصحيح وتوحيده في العالم العربي الكبير.  
ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- نطق اللغة على:

أ- النطق. ب- التكلم. ج- الألفاظ. د- جميع ما سبق.

٢- من الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات:

أ- اختلاف مخرج بعض الأصوات اللغوية.

ب- التباين في النغمة المصاحبة للكلام.

ج- اختلاف في مقاييس أصوات اللين.

د- جميع ما سبق.

٣- من عوامل اللغة الواحدة:

أ- وحدة الزمان.

ب- وحدة المكان.

ج- وحدة التقاليد.

د- جميع ما سبق.

٤- الدولة الأورمية التي يوجد فيها أربع لغات هي:

أ- أمريكا. ب- فرنسا. ج- بريطانيا. د- سويسرا.

- ٥- تنقسم اللغات السامية إلى:  
 أ- قسمين. ب- ثلاث أقسام. ج- أربعة أقسام.
- ٦- تَكُونُ اللهجات يمكن أن يرجع إلى:  
 أ- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.  
 ب- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.  
 ج- كلا الرأيين.
- ٧- كان الغزو الأنجلوساكسوني لبلاد:  
 أ- الإنجيز. ب- الفرنسيين. ج- الألمان.
- ٨- قضى الغزو الأنجلوساكسوني على اللغة:  
 أ- الفرنسية. ب- الكلتية. ج- العبرية.
- ٩- البلبلة في النطق سبب في اختلاف :  
 أ- اللهجات. ب- اللغات. ج- الأسلوب.
- ١٠- من عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة:  
 أ- الاجتماعات الدينية. ب- الظروف الاقتصادية.  
 ج- الحرب. د- (أ، ج) فقط.
- ١١- المقصود باللغة النموذجية:  
 أ- الفصحى. ب- العامية. ج- الفلكورية.
- ١٢- من وسائل توحيد النطق في العالم العربي:  
 أ- المدرس. ب- الإذاعة والتلفزيون. ج- كلاهما.
- ١٣- كلمة Lagos إغريقية معناها:  
 أ- أسلوب. ب- لهجة. ج- لغة.

١٤- أنواع اللغة من حيث الترتيب في الظهور في حياة الفرد إلى:

أ- اللغة الحركية. ب- اللغة الصوتية.

ج- اللغة التدوينية. د- جميع ما سبق.

١٥- اختلاف اللهجات بين سكان الوجهين القبلي والبحري في مصر سببه:

أ- عدم الاختلاط الاجتماعي.

ب- صعوبة المواصلات.

ج- الظروف السياسية.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

١- ما الفصيحة التي تنسب العربية إليها؟ وما دليل ذلك؟ وبم تصف تسميتها؟

وما علة قبول العلماء إياها؟

٢- يقولون اللغة شيء خطير في حياة الإنسان. وضح ذلك.

٣- لمفهوم اللغة لدى علماء الاجتماع طبيعته وملاحظه، وضح ذلك على هدى مما درسته.

٤- للغة في مفهوم ابن جني طبيعتها وملاحظها، بيّن ذلك وجّهه في ضوء نظرك

لتعريفه إياها وتأمله تأملاً موضوعياً.

٥- اللهجة مفهومها في اللغة والاصطلاح، تناول هذا القول بالتفصيل.

٦- وضع اللغويون ضوابط لاختلاف اللهجات في أصوات الكلمة وبنيتها

ومعناها ونظمها داخل الجمل والتراكيب، اشرح هذا في ضوء ما درسته.

٧- لكل من اللغة واللهجة حدود معلومة لديك وضح ذلك.

٨- تظل بعض الظواهر اللغوية المشتركة بين اللهجات المنحدرة من أصل واحد

-ماثلة لا يلحقها فناء، وإن اعترها شيء من التعديل أو التغيير، وضح ذلك.

٩- علل لصعوبة تحديد البيئة الجغرافية لكل اللغات القومية التي يتكلم بها السومريون.

١٠- للعوامل الجغرافية أثرها البين في تفرع اللغة الواحدة إلى طائفة من اللهجات

المختلفة، اذكر المراد منها وبين أثر كل منها في نشوء اللغة "اللهجة" مع ذكر ما يوضح إجابتك من أمثلة حيّة لواقع اللغة.

١١- يرى جمع من اللغويين المحدثين أن الخطأ في القياس من أسباب نشوء اللهجات، ناقش هذا القول في ضوء ما درسته ثم اكشف عن أثره في ذلك، مع بيان رأيك في الوسيلة المثلى التي تمكننا من التغلب على أثر الخطأ في القياس على وحدتنا اللغوية.

١٢- تعتمد الوحدة اللغوية على الاختلاط، وعلى أي نوع من أنواع المشاركة في أمور الحياة، ناقش هذا القول في ضوء ما درسته.

١٣- لكل من الحرب والخدمة العسكرية دورٌ عظيم في التقريب بين اللهجات، وتكوين ما يسمى باللغة المشتركة، بيّن هذا الدور واكشف عن قيمته.

١٤- للأدب بمختلف صورته وألوانه عظيم الأثر في تحقيق وحدة لغوية شاملة، أبرز هذا الدور واذكر كيفية تحقيقه.

١٥- يؤكد الواقع أن للإذاعة والتلفاز دوراً عظيم الأثر في تحقيق الوحدة اللغوية بين بني العرب جميعاً، بيّن هذا الدور، ثم اكشف عن وسائل تحقيقه.

١٦- عوامل التوحيد، وتكوين اللغة المشتركة عوامل معقدة ومتشابكة، وتعمل مع بعضها في اتجاه واحد في الوقت نفسه، ناقش هذا القول وأثبت صحته وسلامته.

١٧- يرى اللغويون المحدثون أن التوحيد التام بيّن لهجات اللغة الواحدة أمر محال ومتعذر، اكشف عن أسباب استحالته وتعدّره.

١٨- لقد كان للعربية الفصحى الموحدة في بيئاتها الجديدة سماتها وملامحها. تناول هذا القول على هدي مما درست، ووضحه بالأمثلة.

١٩- حصّر اللغويون صور اختلاف النطق في العالم العربي، اذكرها موضحة بالأمثلة.

٢٠- اختلف نطق صوت القاف في العربية الفصحى المعاصرة عنه لدى القدامى.

عللّ لاختلاف نطقه لديهما، ثم صنفه لدى كل منهما، واكشف عن دلالة اختلاف نطقه لديهما.

٢١- الاختلاف في موطن النبر من الكلمة من عناصر اختلاف النطق في عالما العربي. وضح حقيقة هذا القول بالأمثلة واكشف عن علته ودلالاته.

٢٢- للإذاعة دورها في تحقيق الوحدة اللغوية. اكشف عن هذا الدور ووسائل تحقيقه.

٢٣- هل هناك وسائل أخرى يمكنها أن تلعب دوراً محورياً في تحقيق وحدة لغوية تجمع بما شتاتنا؟

رابعاً: بم تعلق ما يأتي:

١- تسمية الفصيصة السامية بالسامية؟

٢- انتشار فصيصة الساميات في آسيا وبعض من إفريقيا.

٣- علاقة اللغة باللهجة علاقة العام بالخاص.

٤- الاتحاد أو التشابه في بعض الأصول اللغوية التي ترجع لأصل واحد.

٥- قول فريق من العلماء بنفي وجود لهجات في اللغة الواحدة.

٦- تطوّر اللغة المستمر في معزل عن كل تأثير خارجي يعد أمراً مثالياً.

٧- طول زمن الصراع اللغوي وقصره.

٨- اختلاف اللغات الصناعية عن اللغات الطبيعية.

٩- اختلاف النطق المعاصر لصوت الضاد عنه في نطق القدامى.

١٠- إهمال دراسات القدامى الصوتية لأصوات اللين.

## النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- ادع زملائك إلى ندوة علمية "حول الساميات" يحاضر فيها أساتذة التاريخ وبخاصة التاريخ القديم.

- اكتب بحثاً عن مفهوم كلمة لغة في المفهوم اللغوي، ومفهومها في الاصطلاح، ثم تناول في بحثك: بحث عروبة هذه الكلمة وبيان رأي القدامى والمحدثين في ذلك مع بيان الآراء الأخرى التي تباين هذا الرأي.

- ناقش مع زملائك دور المعلم، والمذيع والداعية والتلفاز، والكتاب والأدباء، والهيئات المتخصصة في تعظيم الفصحى وضرورة العناية بها، وبعثها من جديد على ألسنة بنينا في مختلف أنحاء الوطن العربي الكبير.



## الوحدة الثانية

### القبائل العربية وصراع اللهجات

مبررات دراسة الوحدة:

هذه هي الوحدة الثانية، وهي -لاشك- وحدة مهمة سوف تعالج قضايا ومسائل وموضوعات تلزم دارس اللهجات معرفتها ووقوف عليها وتأملها وكشف ما وراءها، ففي هذه الوحدة تتعرف على الأصول الأولى للعرب والمتمثلة في القحطانية والعدنانية، وذلك بمعرفتك لمنازل وديار كل منهما، والطبيعة الجغرافية لكل منها للوقوف على أثر المكان والطبيعة في لغة قاطنيه كما تتعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين العدنانية والقحطانية، وفائدة ذلك في الدرس اللغوي.

وفي هذه الوحدة المهمة تتعرف على آراء العلماء في طفولة العربية الباقية بُعْية الوقوف على الرأي السديد فيها، وما لذلك من أثر في فهم الأصول الأولى للغة، وفي الوحدة الثانية تتعرف على اشتباك اللهجات العربية بعضها مع بعض، وصراع كل منها مع الأخرى. وأسباب ذلك الصراع وبواعثه، كما تتعرف على غلبة اللهجة القرشية لشقيقاتها، وأسباب سيادتها على شقيقاتها، وما أفادته اللهجة القرشية من صراعتها على مستوى الصوت والبنية والدلالة والتركيب.

وفي هذه الوحدة البالغة الأهمية لدارس اللهجات العربية تقف على نظرة قدامى اللغويين للدرس اللهجي وعلة ذلك، كما تقف على منهج هؤلاء اللغويين القدامى في معالجتهم لظاهرة اللهجات العربية، كما تتعرف على مقياس الفصاحة لدى هؤلاء الأئمة وآراء المحدثين في ذلك، وفيها تلم بموقف علماء اللغة القدامى من الاحتجاج بالحديث النبوي والرأي السديد في ذلك، كما تتعرف فيها على

الضوابط الزمانية والمكانية التي وضعها العلماء الأئمة للاحتجاج بكلام العرب شعره ونثره، والوقوف على أسرار هذه الضوابط وفلسفة اشتراطها. ومما هو بالغ الأهمية في هذه الوحدة ذكرها لمظاهر اختلاف اللهجات العربية، ومعالجة ذلك بطريقة ميسرة، يسهل عليك فهمها واستيعابها، وإيقافك على حل هذه المظاهر وعزو كل ظاهرة منها لبيئتها والتعليل لذلك. كما تتعرف على آراء المحدثين في الترادف، وتقف على علة قوته وسداده. وفي هذه الوحدة تتعرف على الخصائص الصوتية والبنية والدالية والتركيبية (النحوية) اللهجة تميم وأسد؛ لتتمكن من الوقوف على ملامحها وسماتها. وفيها - كذلك - دراسة اللهجة المصرية، وذلك بتحديد ما يمثلها وهو اللهجة القاهرية، وبيان خصائصها الصوتية والبنية والدالية والتركيبية. وما تم عرّضه في هذه الوحدة معرفته مهمة وفهمه ضرورة لدراسة الظاهرة اللهجية دراسة علمية موضوعية. لذلك كله كانت دراسة هذه الوحدة واجبة لتؤتي الدراسة ثمرتها، ويتحقق القصد من ورائها.

### الفصل الأول: القبائل العربية

- بين العدنانية والحميرية.
- صراع اللهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قريش.
- معالجة القدامى للهجات.
- أدلة تعدد اللهجات.
- مصادر اللهجات العربية.

### الفصل الثاني: مظاهر اختلاف اللهجات

- أولاً: الفتح والإمالة.
- ثانياً: الفك والإدغام.
- ثالثاً: الإبدال: - أنواع الإبدال.

### الفصل الثالث: تعدد المعنى للفظ واحد،

- والترادف اللغوي، القلب
- أولاً: المشترك اللفظي. ثانياً: التضاد.
- ثالثاً: الترادف. رابعاً: القلب.

### الفصل الرابع: لهجة بني أسد، اللهجة

المصرية

- أولاً: الأصوات الساكنة.
- ثانياً: الأصوات الصائتة.

## الوحدة الثانية القبائل العربية وصراع اللهجات

## الفصل الأول: القبائل العربية وصراع اللهجات

الأهداف التعليمية للفصل الأول:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعرف أن اللهجات العربية تعددت بتعدد القبائل العربية.
- ٢- تستطيع الوقوف على أسباب الخلاف القوي بين لغة حمير (وهم العرب العاربة) ولغة عدنان (وهم العرب المستعربة).
- ٣- تعرف طبيعة كل منهما وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.
- ٤- تفهم طبيعة الصراع اللهجي بين لهجات العربية الباقية.
- ٥- تضع يديك على أسباب الصراع بين اللهجات.
- ٦- تعلق لسيادة اللهجة القرشية وغلبتها وقهرها لما سواها من اللهجات العربية.
- ٧- تقف على أسباب اختلاف نظرة العلماء إلى اللهجات العربية عبر الأزمان المختلفة.
- ٨- تفهم مقياس الفصاحة لدى العلماء وتقف على ضوابطه.
- ٩- تقف على آراء العلماء من الاحتجاج بالحديث الشريف.
- ١٠- تفهم أن الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام العظيم حين ظهوره، وقوّاهم القرآن الكريم بعد نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عملياً قبل الإسلام وبقائها بعده.
- ١١- تعلق لضعفها، وترسم السبيل لتقوية دراستها والنهوض بها.



اليمنية القديمة وتشمل (المعينية والسبئية والحضرية والقبتانية والحميرية القديمة) فتختلف عن العربية العدنانية اختلافاً كبيراً يدل عليه ما بين النقوش اليمنية واللغة العدنانية من فروق جوهريّة من عدة نواح.

ومن ثمّ كان هذا القول صحيحاً، وكان قول من يرى أن اتحاد اللغتين أو تقاربهما -صحيحاً أيضاً، فمن نظر إلى الحميرية القديمة رأى الرأي الأول كأبي عمرو بن العلاء وابن جني ومن تبعهما، ومن نظر إلى الحميرية الحديثة التي كانت وليدة تطور اللغة اليمنية القديمة رأى الرأي الثاني.

ومن الممكن أن نلخص ما بين العدنانية والحميرية القديمة من فروق فيما يأتي:  
أولاً: من حيث التنكير والتعريف:

تستعمل الحميرية القديمة الميم للدلالة على التنكير بدلاً من التنوين فيقال: ملكم أي: ملك، ولم تظهر أداة التعريف في الحميرية القديمة ولكنها ظهرت في عصور متأخرة، وهى الألف والميم بدلاً من الألف واللام، وقد ظلت كذلك إلى أن جاء عصر الإسلام، ففي الحديث عن الرسول ﷺ: "ليس من امر امصيام في امسفر".

ثانياً: من حيث التثنية والجمع:

فعلامه الجمع في الحميرية هي الميم كعلامة التنكير، والسياق يفرق بينهما، فيقال ملكم أي: ملوك.

ويبدو أن الحميرية قد تأثرت هنا بالعبرية التي علامة الجمع فيها الميم المسبوقة بياء المد.

ويصاغ المثني في الحميرية بإضافة نون فياء إلى المفرد، عكس ما هو متبع في العربية الشمالية، فيقال في تثنية ملك: ملكني.

ثالثاً: من حيث ضمائر الغياب:

الحميرية تستعمل ضميراً واحداً للغائب متصلاً كان أو منفصلاً وهو "هو".

فيقال: مكهوه بمعنى ملكه، وتضاف الميم إلى آخر الضمير المتصل الدال على جماعة الغائبين فيقال: ملكهوم بمعنى ملكهم.

رابعاً: في بعض صيغ الزيادة في الأفعال:

فالهاء في الحميرية تحل محل همزة التعدية في العربية فيقال: هقنى بمعنى أقنى، وهذه ظاهرة تشترك فيها الحميرية والعبرية.

خامساً: من حيث إسناد الفعل الناقص إلى واو الجماعة:

فالحميرية لا تحذف لام الفعل الناقص قبل واو الجماعة، مثل هقنيوا أما المضرية فتحذفها كما هو معروف "أقنوا".

من هنا يتبين لنا بجلاء أن ما اشتهر وتداول عند الباحثين من العرب من أن اللغة اليمنية واللغة العربية تمثلان لهجتين للغة واحدة، وأن الخلاف بينهما لا يعدو أموراً يسيرة يبدو بعضها في الأصوات والمفردات وبعضها في القواعد؛ لذلك كانوا يقسمون العربية قسمين

١- العربية العدنانية أو المضرية، وهي لغة الشمال والحجاز ونجد وما إليها.

٢- الحميرية والقحطانية وهي لغة أهل اليمن.

وهذا الرأي صحيح فيما يتعلق بلهجات أهل اليمن بعد أن تغلبت العربية على ألسنتهم، ولكنه غير صحيح فيما يتعلق باللغات اليمنية القديمة التي بينا مدى الفرق الواضح بينها وبين العربية الشمالية.

ولقد فطن بعض باحثي العرب إلى ذلك كأبي عمرو بن العلاء، وابن جني

كما ذكرنا وتتميمًا للفائدة نذكر بعض قبائل عرب الشمال وعرب الجنوب.

فالعدنانيون وهم عرب الشمال كانوا يقيمون في تهامة، ونجد، والحجاز وبادية العرب فيما بينها، ويرجعون إلى فريق يلتقيان في عدنان وهما: عك ومعد فأما عك فقد بقيت منهم بقية إلى ظهور الإسلام، وأما معد فهم الدوحة الكبيرة

والبطن العظيم الذي تناسلوا منه، وقد كانت قبيلة واحدة كبيرة ثم تفرعت إلى فرعين هما: نزار وقتص، ثم تفرعت نزار إلى: أغار، ومضر، وربيعة، وإياد وقضاعة عند من بعدها عدنانية، وتحت كل فرع من هذه الفروع قبائل كثيرة غير أن مضر اشتهرت بالفصاحة حتى صاروا يسمون هذه اللغة بالمضرية، ومن أشهر قبائل مضر كنانة التي تعد قريش إحدى بطونها ثم تميم وقيس وأسد وهزبل وضبة ومزينة.

وأما القحطانيون:

فكانوا يسكنون كما قدمنا جنوب الجزيرة العربية، اليمن وما حولها، ومنهم حمير الباقية وغسان ولخم والأزد وكندة وطيبى ومذحج وقضاعة عند من بعدها منهم، وتحت كل قبيلة من قبائل العدنانيين والقحطانيين بطونٌ وأفخاذ وعشائر وفصائل، لا داعي لذكرها في هذا المقام.

### العربية الباقية

وهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها، والتي لا تزال تستخدم عندنا وعند الأمم العربية الأخرى لغةً أدب وكتابة، وانتشرت هذه اللغة ببلاد نجد والحجاز، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أحواتها السامية والحامية. طفولتها:

لا يعلم شيء عن طفولة هذه اللغة؛ إذ لم يعثر للآن على آثار منقوشة أو مكتوبة في مواطنها الأولى بنجد والحجاز لتفصح لنا عن حالتها الأولى، وما كانت عليه من سعة أو ضيق بل حين تفكر في حال هذه اللغة قبل ظهور المسيحية مثلاً نجد أننا في ظلام دامس؛ وذلك راجع إلى أنه ليس بين أيدينا - كما قلت - نصوصٌ عربية ترجع إلى تلك الحقبة من الزمن؛ إذ أقدم ما عثر عليه من نصوصها لا يكاد يتعدى القرن الثالث الميلادي، وليس معنى هذا أن اللغة العربية

أحدث من أخواتها السامية، أو أنه لم توجد قبل المسيحية، بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المألوفة لنا، والمعروفة لدينا، والمثلة في الأدب الجاهلي والقرآن الكريم احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأولى أو السامية الأصلية أكثر من أخواتها من اللغات السامية الأخرى؛ إذ فيها ظاهرة الإعراب ونظامه الكامل، وصيغ كثيرة لجموع التكسير وغير ذلك من الظواهر اللغوية الكثيرة، والتي احتفظت بما انعربية دون ما عداها من أخواتها السامية، والتي يؤكد لنا الباحثون اللغويون أنها منحدرة من اللغة السامية، والذي يؤكد لنا أن لغة كاللغة العبرية قد مرت بمراحل التطور والتغير أكثر من المراحل التي مرت بما لغتنا العربية، وأما ندرة النصوص العربية التي يمكن أن ترجع إلى ما قبل ظهور المسيحية فبسبب شيوع الأمية في شبه الجزيرة العربية.

ومع ذلك يصرّ المستشرقون أن كثيراً من النقوش التي عثر عليها في شمال الجزيرة العربية يمثل اللغة العربية قبل المرحلة التي تشملها نصوص الأدب الجاهلي. ونرى أنه لا مانع أن نتندي بهذه النقوش ولغتها حتى يمكن إلقاء الضوء على تلك المرحلة المظلمة في هذا العصر، مع الاحتراس وعدم الانسياق وراء المستشرقين إلا إذا كشف لنا ما يرجّح كفتهم في هذا الموضوع الدقيق. من هنا يتضح لنا أن الأدب الجاهلي لا يعد الامتداد الطبيعي لهذه النقوش، ولكن هناك فجوة لم نصل إليها بعد.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها القرآن الكريم بعد نزوله -لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات قبل الإسلام وبقائها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب لم يكونوا يعبرون بلهجاتهم الخاصة، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم وخصائص ألسنتهم.

## صراع اللهجات العربية الباقية

### وسيادة لهجة قريش

لم يكن المتكلمون بالعربية الباقية طائفة واحدة رغم انسابهم إلى العرب، ولكنهم كانوا قبائل كثيرة متفرقة في أنحاء الجزيرة تختلف كل منها عما عداها في البيئة الجغرافية وما يكتفها من ظروف اجتماعية وما تمتاز به نواحي التفكير والوجدان وما أتيح لكل منها من سبل الثقافة والمعرفة.

ومن المعلوم أن اللغات إذا انتشرت في مساحة كبيرة من الأرض واستعملتها طوائف من الناس ذات أنماط مختلفة -استحال عليها حينئذ الاحتفاظ بوحدها الأولى أمدًا طويلًا، حتى تصبح لهجات عدة، تختلف كل منها عن الأخرى في كثير من مظاهر الأصوات والدلالة والقواعد والمفردات.

اللغة العربية الباقية والتي نحن بصدد الحديث عنها ينطبق عليها هذا القانون العام كما ينطبق على غيرها؛ فقد تشعبت منذ أقدم العصور إلى لهجات متنوعة يختلف كل منها عن الأخرى في المظاهر الصوتية والقواعد والمفردات والدلالة وما إلى ذلك.

وأصبحت كل قبيلة متحدة في الظروف الاجتماعية والطبيعية تختص بلهجة من هذه اللهجات، وأصبحت تعرف بما وتنسب إليها مميزاتهما وصفاتهما، إلا أنه مع ذلك أتيح لهذه اللهجات المختلفة فرص كثيرة للاحتكاك لتبادل المنافع، من تجارة وغيرها، فاجتمعت في الأسواق واتصلت عند شن الغارات والحروب، فهذه الاتصالات أوجدت سبيلًا لتصارع اللهجات، فباد الضعيف وانتشر القوي، وما زالت اللهجات تتصارع على مر الأيام وتوالي السنين حتى كتب للقرشية التغلب آخر الأمر، فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة، واستأثرت بميادين الأدب شعرًا ونثرًا وخطابة في مختلف القبائل العربية. وكان لأسباب هيأت لها سبيل النصر، أهمها:

## ١- السلطان الديني:

فقد كان لقريش مكانة دينية ممتازة؛ لقيامهم بسدانة لبيت الحرام، والذي تُفدُ إليه معظم القبائل لتقدم قرابينهم وتقديس آلهتهم وشهود منافع لهم، فكان لقريش بذلك السلطان الديني على بقية القبائل العربية.

## ٢- السلطان الاقتصادي:

لقد كان لقريش بجانب السلطان الديني سلطان اقتصادي كبير؛ إذ كان زمام التجارة بأيديهم، فكانوا يجلبون البضائع من الشام صيفاً واليمن شتاءً، ويوزعوها على القبائل العربية الأخرى، فأصبحوا بذلك قبلة أنظار العرب جميعاً، وبفضل هذا النشاط التجاري أصبح زمام الثروة في هذه البلاد بيد قريش ومصداقاً لهذا كله قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤].

## ٣- السلطان السياسي:

وهذا النفوذ نتيجة طبيعية للعاملين السابقين الديني والاقتصادي، وأيضاً لموقع بلادهم وما كانت تمتاز به، فأصبح لهم نفوذ عند العرب جميعاً، ويرشدنا إلى ذلك ما قاله سيدنا أبو بكر في رده على الأنصار الذين طمعوا في الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ: "لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش فلا تنفسوا على إخوانكم ما جباهم الله به من فضله".

## ٤- السلطان اللغوي:

إن القرشيين لم يقفوا حجر عثرة في سبيل تقدم لغتهم بل عملوا على نموها فأضافوا إليها ما هي في حاجة إليه وما رأوه أخف على أسماعهم وأيسر على ألسنتهم؛ لهذا كانت لهجة قريش أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة، وأرقها أسلوباً، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في فنون القول المختلفة.

وقد تم لها ذلك بفضل ما أُتيح لأهلها من وسائل الثقافة والنهوض، وما أُتيح لها من فرص كبيرة للاحتكاك بمختلف اللهجات العربية انتقل إليها من هذه اللهجات من عناصر زادت ثروة وأكملت النقص الذي كان موجوداً بها. فهذه العوامل مجتمعة هيأت للقرشية سبيل الفوز والغلبة، ومكنتها من أن تصبح لغة العرب جميعاً؛ بفضل ما كان لأهلها من سلطان ديني واقتصادي وسياسي وما كان لها من تفوق على أحوالها؛ إذ كانت أكثرها ثروة وأغزرها مادة وأوسعها ثقافة، وأقدرها على التعبير عن فنون القول المختلفة وليس في تغلب اللغة القرشية أو اللهجة -إذن- ظاهرة فذة في تاريخ اللغات، أو يرجع سبب ذلك إلى إرهاب أو إعجاز بل هذه ظاهرة عامة في كل لغات بني الإنسان. ما استفادته القرشية من هذا الصراع:

ولقد استفادت القرشية من صراعها هذا مع اللهجات الأخرى أموراً كثيرة، أهمها:

١- استفادت كثيراً من المفردات والأساليب، ولا سيما النواحي التي كانت تنقصها فتنوّعت فنون القول، وتمكنت من التعبير عن جميع الأغراض المختلفة، وقد غنيت بالترادف والمشارك والمتضاد، كما سيتبين لنا عند الحديث على هذه الظواهر وغير ذلك من الأمور التي كانت سبباً في نمو اللغة.

٢- أصبحت اللغة القومية للعرب جميعاً بلا استثناء؛ وهذا راجع إلى أن اللغات إذا تصارعت نتيجة احتكاكها ببعضها وكتب لإحداها الفوز اتجه الجميع إلى التكلم بها، ولذلك أصبحت القرشية لغة الشعراء في أشعارهم والخطباء في خطبهم؛ لأنه لكي يؤدي الخطيب رسالته كاملة واضحة وليترك سامعيه مشدوهين معجيين بقوله ولياقتة كان عليه أن يتحاشى تلك الصفات المحلية التي تتصل بلهجة من اللهجات، وأن يتحدث إلى القوم بلغة تواضعوا عليها وألفوها

جميعاً، وهي اللغة الأدبية النموذجية، والمتمثلة في لغة قريش ولهجاتها. كذلك كان لابد لأولئك الشعراء الذين جاءوا من بيئات متباينة أن ينظموا شعرهم بلغة خالية من عنعنة أو عجججة أو كشكشة؛ لينال الشاعر إعجاب سامعيه، ولا يكون موضع سخريتهم وهزئهم، وإلا فكيف كان من الممكن تفضيل شاعر على شاعر آخر في المناظرات التي كانت تعقد بين الشعراء إذا كانت اللغة وأداة القول بينهم متفاوتة؛ لذا كانت اللغة موحدة إلا في القليل النادر، وهو الذي كان عليه الاعتماد في التعرف على اللهجات المختلفة.

٣- نزول القرآن الكريم، فقد بعث النبي ﷺ للعرب خاصة وللأمم عامة؛ لذلك أنزل الله كتابه باللغة القومية السائدة عند العرب وهي لغة قريش، وقد أكسبها كثيراً من الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة والصوم والحج بمعانيها الشرعية.

٤- تقوية سلطاتها: فقد كان لنزول القرآن الكريم بها وهو مصدر عبادتهم ومنهاج شريعتهم أثر كبير في تقوية سلطاتها؛ لأن العرب وقد دخلوا هذا الدين الحنيف لابد أن ينظروا إلى هذه اللغة التي نزل بها كتاب الله نظرة رعاية وتقديس، فتوطدت أركانها، وثبتت دعائمها.

### معالجة القدامى للهجات

اختلفت النظرة إلى اللهجات العربية باختلاف العصور والعوامل الاجتماعية والسياسية في كل عصر من هذه العصور.

فإذا نظرنا قبل الإسلام وجدنا أن كل قبيلة قد تمسكت بصفاتها الكلامية في حديثها العادي، وفي لهجات التخاطب فيما بينها، هذا من جهة العامة من القوم، ولكن الخاصة من الناس في هذه القبائل كانوا يلجأون إلى اللغة النموذجية والتي نشأت في مكة في شئوهم الجديدة، فينظمون الشعر بها ويخطبون ويتناظرون بها، ويستعملونها في الأسواق العامة للعرب كسوق عكاظ مثلاً، وكانوا ينفرون

من صفات اللهجات في مثل هذه الميادين؛ لئلا تنفر منهم النفوس فكان رؤساء القبائل يرون عيباً أن يخاطبوا في سوق عكاظ بتلك اللهجة الخاصة بهم كما كانوا يرونه عيباً أن يتحدثوا إلى قبائلهم بغير تلك اللهجات، وهذه الحال كانت معروفة ومتواضعاً عليها بين القبائل بلا استثناء؛ ولذلك لم نجد روايات جاهلية تسخر من الصفات الكلامية لقبيلة من القبائل أو تقدرح فيها.

ولما جاء الإسلام رسالة عامة لكل البشر في أنحاء المعمورة، وأراد أن يتألف قلوب العامة والخاصة معاً أباح أن يقرأ القرآن الكريم ببعض الصفات اللهجية الخاصة ببعض القبائل إذا لم يكن في مقدور العامة غيرها، وهذا ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"<sup>(١)</sup>. تيسيراً على عامة العرب وتأليفاً لقلوبهم.

فالقرآن الكريم وإن نزل بلهجة موحدة ولغة أدبية أبيض في قراءاته الخروج عن تلك اللغة الموحدة، وهذا معروف ومقرر لدى الباحثين.

ثم اتسعت الدولة العربية حتى شملت دواً كثيرة، فكان لابد لضمان وحدتها والقضاء على عوامل الفرقة فيها ألا تعطى اللهجات العربية من العناية والأهمية ما يكون سبباً في زيادة العصبية بين القبائل ويباعد بينها، ويوهن من قوتها ويشتت جمعها ويقلل من عزمها، فأهمل أمر هذه اللهجات والصفات الخاصة بها، ولم يرد عنها إلا القليل في ثنايا كتب اللغة والأدب والتاريخ.

#### مقاييس الفصاحة لدى العلماء

من الأمور التي استقر عليها الرأي بين جمهور العلماء القدامى أن القرآن الكريم يحتج به في إرساء قواعد اللغة، ولا خلاف بين جمهور العلماء في هذا. أما من ناحية المروي من الشعر العربي فقد أجمعوا أيضاً على الاحتجاج

(١) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وأحمد وابن جرير.

بالشعر الجاهلي، كشعر طرفة وامرئ القيس وأمثالهم، وكذلك أجمعوا على الاحتجاج بشعر المخضرمين، وهم الذين عاشوا في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام، ونظموا شعراً في المرحلتين كحسان بن ثابت وكذلك بشعر الإسلاميين حتى منتصف القرن الثاني الهجري أمثال جرير والفرزدق والأخطل، وإن كان بعض المتشددین من علماء العربية كأبي عمرو بن العلاء كان يرفض الاستشهاد بالشعر الإسلامي، فقد روي عنه أنه كان يقول: لقد حسن هذا المولد - يقصد بهذا شعر الفرزدق وجرير - حتى كدت أمر صبياننا بروايته.

يقول عنه تلميذه الأصمعي: "لقد لزمته عشر حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامي قط".  
أما الحديث وموقف العلماء من الاستشهاد بنصوصه في قواعد اللغة فقد انقسموا إلى فريقين:

الفريق الأول: وهم معظم العلماء فيمنعون الاستشهاد بالحديث في قواعد اللغة وحتهم في هذا أن الأحاديث تجوز روايتها بالمعنى، وأيضاً أن الرواة كانوا من المولدين عاشوا بعد عصور الاحتجاج، وهم يجوز عليهم اللحن.  
الفريق الثاني: وهم قليلون، وهؤلاء أجازوا الاحتجاج بالحديث؛ لأنه إذا جاز اللحن في الحديث فمن باب أولى يجوز في الشعر، والوازع الديني يساعد على تذكر الأحاديث دون الشعر.

ولقد اشتد الخلاف بين النحاة المتأخرين وخاصة في القرنين السابع والثامن من الهجرة، فعلى رأس المانعين من الاستشهاد بالأحاديث في مسائل اللغة ابن الضائع الإشبيلي وأبو حيان.

وعلى رأس الفريق المقابل ابن مالك وابن هشام.

وذهب بعض المحدثين إلى تقسيم الأحاديث إلى قسمين، قسم يستشهد به، وقسم آخر لا يحتج به.

فيستشهد بالأحاديث التالية:

١- ما يروى بقصد الاستدلال على فصاحة الرسول ﷺ مثل "مات حتف أنفه" و "هي الوطيس".

٢- ألفاظ القنوت والتحيات والأدعية وغير ذلك من ألفاظ التعبد.

٣- أحاديث من مصادر متعددة بلفظ واحد.

٤- أحاديث يرويها أولئك الذين ربوا في بيئة عربية كأئس بن مالك، والشافعي. أما القسم الثاني من الأحاديث فلا يحتج به كذلك التي دوت متأخراً أو التي شذت روايتها أو التي غمزت في صحتها.

وهذا الرأي أعدل الآراء وأرجحها في نظري.

أما ما يسمع من القبائل من كلام منشور، فقد وجدنا العلماء يفرقون بين

القبائل، فيأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر.

فقد أورد السيوطي في كتاب المزهري: "أن أبا إبراهيم الفارابي قد حدد في

أول كتابه المسمى: "الألفاظ والحروف" أسماء القبائل التي يحتج بكلامها وأسماء

القبائل التي لا يستشهد بما يُسمع منهم، فيقول السيوطي نقلاً عنه: "لقد كانت

قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق

وأحسنها مسموعاً وأبينها إبانة عما في النفس والذين، عنهم نقلت اللغة العربية

وبهم اقتدي و عنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس و تميم

وأسد، كان هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم أُنكل في

الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين، ولم

يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم.

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن كان

يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم. فإنه لم يؤخذ لا من لحم

ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والنقب، ولا من قضاة وغسان وأياد؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب والنمر؛ فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لمجاورتهم للنقب والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهنود والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة حين صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من أمم فسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيها علماً وصناعة هم أهل البصرة والكوفة من بين أمصار العرب<sup>(١)</sup>.

ومن هنا يظهر لنا أن أساس النصاحة دعامتان:

الأولى: مقدار قرب أماكنها من مكة وما حولها.

الثانية: مقدار توغلها في البادية.

### أدلة تعدد اللهجات

والذي يدلنا على أن اللغة العربية بها لهجات متعددة:

- ١- أنه قد وصل إلينا عن العرب كلمات متحدة الأصوات إلا في صوت واحد قد حصل فيه التغير، تدل على معنى واحد، وذلك مثل قولهم في مستقبل وحل: يوجل وياجل ويجل، ومثل قولهم: أراق وهراق، وكذلك وردت كلمات تتحد جميع أصواتها إلا في الترتيب، وهي ما يسمى بالقلب المكاني مثل جذب وجذب وأيس وييس، والمعنى متحد، ولكن اختلف الترتيب.
- ٢- أنه قد وصل إلينا بعض ألفاظ يدل الواحد منها على أكثر من معنى ولكنها غير متضادة، وهي ما يسمى بالمشترك اللفظي مثل العين؛ فإنها تدل على معان كثيرة منها الباصرة وعين الماء والذهب والجاوس.

(١) الزهر للسيوطي (٢١٢/١).

٣- وصل إلينا بعض الألفاظ التي تدل على المعنى وضده، وهو ما يعرف بالتضاد مثل الجون للأسود والأبيض، والسدفة للضوء والظلمة، والجلل للعظيم والحقير.

٤- وصل إلينا ألفاظ مختلفة في حروفها متحدة في معانيها، وهو ما يعرف بالترادف كريب وشك، وقعد وجلس، وذهب وسار ومشى.

ومثل هذه الأشياء لا تأتي إلا إذا كان قائلوها مختلفة بيئاتهم ومتعددة لهجاتهم، فلا معنى لأن تنطق الأمة بعدة ألفاظ للدلالة على معنى واحد، فاللغة وجدت للتفاهم وسد الحاجة إلى ذلك، فيصبح هذا التعدد عبثاً.

وأدخل في باب الغرابة أن تنطق الأمة باللفظ للمعنى وضده؛ إذ يستحيل ذلك فلا يبقى إلا تعدد اللهجات.

ومما يؤكد هذا ما ذكره ابن خالويه في شرح الفصيح حيث قال: "أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال: اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما: السقر بالسين، وقال الآخر: الصقر بالصاد، فتحاكما إلى أول قادم عليهما فقال الأعرابي الثالث أما أنا فأقول: الزقر بالزاي، ثم قال ابن خالويه: فدل على أنها ثلاث لغات أي: ثلاث لهجات"<sup>(١)</sup>.

ومثل ذلك ما ذكره ابن السكيت حيث قال: "حضرتي أعرابيان من بني كلاب، فقال أحدهما: إنفحة، وقال الآخر: منفحة، ثم افترقا على أن يسألا جماعة من أشياخ بني كلاب، فاتفق جماعة على قول ذا وجماعة على قول ذا" فهما لغتان، أي: لهجتان"<sup>(٢)</sup>.

وليس هذا غريباً أن تكون قبيلة كلاب ذات لهجتين مختلفتين في بعض الظواهر اللغوية التي قد يكون بعضها منقولاً إليها بطريق الاستعارة أو المهاجرة،

(١) الخصائص لابن جني (٣/٣٠٥).

(٢) الزهر (٢/٤٧٥)، ولسان العرب مادة (ن ف ح).

ثم يمضي الزمن تنوسي هذا الأصل وأصبح عنصراً معترفاً به في اللهجة، يقول ابن سيده في محصّصه: "إن أبا عبيد روى عن الكسائي النحوي أن المضارع من نما إنما هو ينمي بالياء، وقال الكسائي لم أسمع ينمو بالواو إلا من أخوين من بني سليم، ثم سألت عنه جماعة من بني سليم فلم يعرفوه بالواو.

فهذه الرواية أيضاً تدل على تعدد اللهجات، ليس بين القبائل المختلفة فحسب بل أيضاً أحياناً بين الفخذين أو أبناء القبيلة الواحدة، ومرجعه كما قلت هو الاستعارة من قبائل أخرى أو المهاجرة.

ومما يدل على اللهجات - أيضاً: ما روى أبو هريرة أنه لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبي ﷺ وقد وقعت من يده ﷺ السكين فقال له: "ناولني السكين"، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ولم يفهم المراد من اللفظ، فكرر له الرسول القول ثانية وثالثة، وهو يكرر ما بدأه أولاً من الالتفات يمنة ويسرة، ثم قال: المدية تريد؟ وأشار إليها فقال له: "نعم" فقال له: أوتسمى عندكم سكيناً؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ. وأيضاً مما يدل دلالة قاطعة على تعدد اللهجات أن رسول الله ﷺ كان يخاطب الوفود العربية بلهجاتهم حتى إن علياً عليه السلام، قال له حين سمعه يخاطب وفد بني همدان، وهي قبيلة باليمن، يا رسول الله نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره".

فهذه النصوص وتلك الأدلة قاطعة على أن العرب كانوا يتكلمون لهجات مختلفة وإن تقاربت، وألفاظ مختلفة وأن اتحد مدلولها، وكلمات متباينة للمعاني وإن اتحدت أبنية كل منها.

والوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره وقواها القرآن الكريم بعد نزوله - كما قلت سابقاً - لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عملياً قبل الإسلام وبقائها بعده، بل من المؤكد أن عامة العرب كانوا في بيئاتهم يعبرون بلهجاتهم الخاصة بهم، وتظهر على تعابيرهم صفات لهجاتهم، وخصائص ألسنتهم، وكان الخاصة منهم عندما يذهبون إلى الأسواق الأدبية يلجأون إلى التحدث باللغة المثالية الموحدة.

وأقرب مثل لهذا في وقتنا الحاضر المثقفون منا، والذين نشأوا في القرى يلجأون إلى اللغة الفصحى في المجالات الأدبية والندوات العلمية، وحينما يرجع إلى قريته يتكلم بلهجته التي تعودها في صغره حتى لا يُرمى بالتكبر والتعالي على أهله وعشيرته.

ولكن كيف نقف على خصائص هذه اللهجات وأي المصادر توصلنا إلى ذلك، ورغم أننا أشرنا إلى ذلك منذ قليل إنه من الأفضل أن نجمل هذه المصادر في:

١- المصدر الأول:

القراءات القرآنية المروية عن أئمة القراء التي نقلت إلينا قراءتهم من طريق لا يتسرب إليها شك.

٢- المصدر الثاني:

ما نقله إلينا الثقات في كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ من آثار تلك اللهجات وصفاتها وخصائصها، إلا أن هذه الآثار مبعثرة هنا وهناك كما بينا ذلك سابقاً.

## الفصل الثاني: مظاهر اختلاف اللهجات

### الأهداف التعليمية للفصل الثاني:

- عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:
- ١- تفهم أن اللهجات العربية مختلفة فيما بينها، ولهذا الاختلاف مظاهر التي تؤكد.
  - ٢- تقف على الملامح والسمات المختلفة للهجات العربية، كل منها على حدة.
  - ٣- تعين ما يكون الاختلاف فيه اختلافاً بنياً وذلك نحو الاختلاف في أوجه البناء والبنية، والزيادة والنقصان، تقدم بعض حروف الكلمة على بعض والتصحيح والإعلال، وغير ذلك كثير مما يمثل فيه الاختلاف اختلافاً بنياً.
  - ٤- تذكر ما يكون الاختلاف فيه بين اللهجات اختلافاً في التركيب (النحو) كإعمال "ما" لدى الحجازيين وإهمالها لدى تميم، ونصب المثني بالياء وجره بها، ورفع الألف عند عمّة العرب، وإلزامه الألف في جميع أحواله عند بعض القبائل العربية، والنصب بلعل والجر بها، وغير ذلك كثير مما يمثل الاختلاف فيه اختلافاً تركيبياً (نحوياً).
  - ٥- تفرق بين الإبدال الصرفي والإبدال اللغوي.
  - ٦- تقف على مصطلحات الإبدال اللغوي في الصوامت، كما تقف -كذلك- على مصطلحاته في الحركات.
  - ٧- تقف على مفهوم كل من: الوكم، والوهم، وبيئة كل منهما.
  - ٨- تفرق بين العننة والاستنطاء.

## الفصل الثاني: مظاهر اختلاف اللهجات

الاختلاف بين اللهجات العربية متعدد النواحي مختلف الجهات، فبعضه يتعلق بالحروف وبعضه يتعلق بالحركات، وبعضه يتعلق بالهيكل النطقي، وبعضه يتعلق بالخصائص التركيبية، وبعضه يتعلق بالتردد بين الإعراب والبناء وبعضه يتعلق بالزيادة والنقصان.

وعلى الجملة فإن ما وصل إلينا من اللهجات يمكن أن نحصر مظاهر اختلافه تحت الأنواع التالية:

- ١- الفتح والإمالة.
- ٢- الفك والإدغام.
- ٣- الإبدال في الحروف والإبدال في الحركات.
- ٤- الخصائص التركيبية في اللهجات العربية.
- ٥- الاختلاف في أوجه البناء والبنية.
- ٦- الزيادة والنقصان.
- ٧- الهيكل النطقي.
- ٨- تعدد المعنى للفظ واحد.
- ٩- تعدد الألفاظ لمعنى واحد.
- ١٠- تقدم بعض حروف الكلمة على بعض.
- ١١- التصحيح والإعلال.

وستتناول بمشيئة الله تعالى هذه الظواهر بالشرح والإيضاح؛ حتى تكون على بينة من أمر ما فيها من لهجات مع التعرض لنسبة هذه اللهجات لقائلها ما أمكن ذلك.

## أولاً: الفتح والإمالة:

الفتح كما بينه ابن الجزري في كتابه النشر عبارة عن: فتح القارئ لقيه بلفظ الحرف، ويقال له أحياناً النصب.

وأما الإمالة فهي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض، ويقال له: الإضجاع.

وتنقسم الإمالة إلى شديدة وإمالة متوسطة.

والذي يعنينا في هذا المبحث هو إلى أي القبائل ينسب الفتح وإلى أيها تنسب الإمالة.

وبالرجوع إلى المصادر التي تعرضت لعلاج هذه الظاهرة نجد أن العلماء قد

أجمعوا على نسبة الفتح لأهل الحجاز، ونسبة الإمالة لعامة أهل نجد (تميم وأسد وقيس).

يقول ابن الجزري في كتابه النشر نقلاً عن الداني<sup>(١)</sup>: "والإمالة والفتح لغتان

(أي لهجتان) مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن

بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، وإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس".

فمن هذا النص والنصوص المناظرة له يتبين لنا أن القبائل قبل الإسلام

وبعده قد انقسمت إلى قسمين:

القسم الأول: وهو بصفة عامة جميع القبائل التي كانت مساكنها غربي

الجزيرة، بما في ذلك قبائل الحجاز، أمثال: قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد

بن بكر وكنانة، وهذا القسم ينسب إليه الفتح.

القسم الثاني: هو جميع القبائل التي عاشت في وسط الجزيرة وشرقيها،

ومن أشهرها: تميم وأسد وطئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب.

وهذا القسم ينسب إليه الإمالة:

(١) الشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٢٩-٣٠).

وبالنظر إلى هذا التقسيم ودراسة البيئة التي كانت تنتظم كلاً من هؤلاء وهؤلاء نستطيع القول بأن الإمالة كانت شائعة بين القبائل البدوية في وسط شبه الجزيرة العربية وشرقها، كما أن الفتح كان شائعاً بين القبائل التي كانت في غربي الجزيرة، وهذه القبائل كانت يبيتها بيئة متحضرة كانوا يميلون في كلامهم للاقتصاد في المجهود لما فيها من الانسجام بين الأصوات؛ وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، ولا شك أن الانحدار أخف من الارتفاع، ولقد تنبه إلى ذلك ابن الجزري حيث يقول في كتابه النشر<sup>(١)</sup>: "وأما فائدة الإمالة فهي سهولة اللفظ؛ وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والانهيار أخف على اللسان من الارتفاع" والذي يخيل إلينا أن الإمالة كانت مرحلة سابقة على الفتح، والفتح مرحلة حديثة متطورة؛ نظراً لشيوع الإمالة بين القبائل التي كانت تسكن وسط الجزيرة وشرقها، وهذه القبائل يغلب عليها البداوة، وأما الفتح فكان شائعاً بين القبائل التي كانت تقطن غربي الجزيرة، وهذه القبائل يغلب عليها طابع التحضر.

بقي لنا في علاج ظاهرة الفتح والإمالة ما ذكره ابن جني من أن هناك نوعاً من الإمالة وهو الإمالة من الكسر إلى الضم من الفعل الثلاثي الذي قلبت عينه ألفاً في الماضي إذا بني للمجهول.

وفيه ثلاث لهجات:

- ١- إخلاص كسر أوله وسكون عينه ياء في لهجة قريش ومجاورهم من بني كنانة.
- ٢- إمالة الكسر نحو الضم وهي لهجة كثير من قيس وعقيل ومن جاورهم وعامة بني أسد.
- ٣- إخلاص الضم وهي لهجة هذيل.

وبالنظر في هذه الأقسام يتبين لنا إخلاص الكسر عند قريش ومن لف لفهم

(١) النشر في القراءات العشر (٢/٢٩-٣٠).

من مجاوريهم يناسب الفتح عندهم.

والقبائل التي تميل الكسرة نحو الضمة هي القبائل التي ثبت لديهم الإمالة، وعقيل التي ذكرت في هذا القسم أو ضمن هذا الفريق كانت تسكن البحرين، أي أن هذا الفريق هم وسط الجزيرة العربية وشرقها كما ذكرنا آنفاً في الإمالة وأما الفريق الثالث أو الظاهرة الثالثة التي تنسب إلى لهجة هذيل فليس هذا غريباً عليها، فلقد خالفوا غيرهم من الحجازيين في ألف القصير، كما هو معروف في كتب النحو.

ثانياً: الفك والإدغام:

**الإدغام:** هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً، هذا عند القدماء، وأما المحدثون فيطلقون على هذه الظاهرة كلمة "المماثلة".

والإدغام ضرب من ضروب التأثير الصوتي الذي يقع في الأصوات المتجاورة، إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة.

والذي يعيننا في هذا المبحث: أيّ القبائل تُدغمُ وأيهما يُظهر؟

القبائل التي كانت تميل إلى السرعة في النطق والخفة في اللفظ هي القبائل التي كانت تميل إلى الإدغام، والقبائل التي تمنح إلى الإظهار هي التي تميل إلى التأنّي والوضوح، وتكاد تجمع المصادر القديمة التي بين أيدينا على أن الإظهار لهجة الحجازيين أي غربي الجزيرة العربية، وأن الإدغام لهجة تميم، وهذه القبيلة أي: قبيلة تميم هي التي كانت تُتخذ مثلاً لقبائل وسط الجزيرة وشرقها، فالقبائل العربية إذاً قد انقسمت إلى طائفتين - بالنسبة لهذه الظاهرة: طائفة تؤثر الإظهار وهي قبائل غربي الجزيرة أي: البيئة المتحضرة، وهي: قريش والأنصار وثقيف وكنانة وهذيل.

ويجدر بنا أن نذكر بعض الأمثلة التي اختلفت فيها اللهجات حتى تكون على بينة من الأمر تجاه هذه الظاهرة اللغوية، والتي نحن بصدد الحديث عنها في هذا المبحث.

أولاً: الفعل المضعف في حالة الجزم أو سكون اللام، فيه لهجات كثيرة:

أ- الإدغام مع التحريك بالفتح على كل حال، وهي لهجة بني أسد وغيرهم من بني تميم فيقولون: إن ترد.

ب- الإدغام مع الكسر على كل حال، وهي لهجة كعب وغير، ولهجة أهل الحجاز فكّ المثلين في الفعل المضارع المضعف المجزوم بالسكون، وفي فعل الأمر المبني عليه. عكس ما سبق، قال تعالى: ﴿وَأَغْضَضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

ج- إذا اتصل بالفعل المضعف واو الجمع نحو ردوا، أو ياء مخاطبة نحو ردي، أو نون توكيد نحو ردن.

في هذه الحالة تنفق لهجة الحجازيين والتميميين في الإدغام، فهو واجب لدى الجميع.

د- إذا أدغم في الأمر على لهجة تميم وجب طرح همزة الوصل، إلا أن الكسائي نسب الإدغام إلى عبد القيس مع همزة الوصل مثل: أرد، وأغضض، وأفر<sup>(١)</sup>.

هـ- من المشهور فك الإدغام إذا اتصل بآخر الكلمة ضمير رفع بارز نحو: ضللت وظللت؛ وذلك لأنه يجب تسكين آخر الفعل لدفع كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة، وعلى هذا فلا يمكن التسكين إلا بالفك ولغة بكر بن وائل إبقاء الإدغام في هذه الحالة فيقولون: ردنا ومدنا أي رددنا ومددنا.

ثانياً: الأشهر في "هلم" أن تلزم حالة واحدة سواء أسندت لمذكر أو لمؤنث، وسواء كان مفرداً أو مثنى أو جمعاً.

فيقال: هلم يا زيد أو يا زيدان أو يا زيدون، وبها جاء التنزيل، قال تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقال تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨].

وهي حينئذ مدغمة دائماً لثقلها بالتركيب، ومن ثم التزموا في آخرها الفتح، وزعموا أنها في الأصل مركبة من هاء التنبيه ولمَّ أي: ضم نفسك إلينا.

(١) شرح التصريح على التوضيح (٢/٤٠٥).

ولهجة نجد من بني تميم تعير هذه الكلمة بحسب ما تسند إليه وحينئذ يدخلها الفك.

فعلى لهجتهم نقول: هلم يا زيد، وهلمي يا هند، وهلما يا زيدان، وهلموا يا رجال وهلمن يا نساء.

مما سبق عرضه نستطيع أن نقول: إن القبائل التي تقطن غربي الجزيرة العربية وهم الحجاز ينسب إليهم الإظهار؛ لأنها قبائل تميل إلى التأنى والتؤدة في الأداء بحيث تظهر كل الأصوات.

كما أن القبائل التي تسكن وسط وشرق الجزيرة العربية ينسب إليها الإدغام؛ لأنها قبائل بدوية تميل إلى التخفيف والسرعة في الكلام.

على أن هذا لا يمنع لجوء هؤلاء وهؤلاء إلى ظاهرة الإدغام أو الإظهار معاً، ولكن هذا في مواطن قليلة كما رأينا في (هلم) مثلاً لجوء بني تميم إلى الفك في هذه الكلمة كما شاهدنا.

### ثالثاً: الإبدال:

ينقسم الإبدال إلى:

١- إبدال مطرد عند جميع لعرب، وهذا إذا استوفى شروطه وجب تنفيذه، وهو الخاص بحروف هذأت موطئاً.

٢- إبدال غير مطرد، وهذا لا يكون مطرداً لدى العرب جميعاً، بل يتنوع بتنوع القبائل المختلفة، وهذا هو ما يعيننا في اللهجات يقول أبو الطيب اللغوي في هذا النوع: "ليس المراد من الإبدال أن تتعمد العرب تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات (أي لهجات) مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان لمعنى واحد... والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طوراً مهموزة وطوراً غير مهموزة، ولا بالصاد مرة وبالسين أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً،

والهمزة المصدرية عيناً كقولهم في نحو "أن": عن، لا تشترك العرب في شيء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون.

وينقسم هذا النوع إلى:

١- إبدال في الحركات.

٢- إبدال الحروف.

وإذن تعريف الإبدال عند اللغويين هو: إبدال حرف من حرف أو حركة من حركة:

أولاً: الإبدال في الحركات:

والإبدال في الحركات نوعان:

١- إبدال حركة من أخرى في بنية الكلمة، وهي الحركات التي تكون

على الحرف الأخير وسنكتفي بالنوع الأول هنا وسنعقد للثاني مبحثاً خاصاً به.

إبدال حركة من أخرى في بنية الكلمة:

أ- بعض القبائل تميل إلى فتح الأصوات الحلقية، وتنسب هذه الظاهرة إلى

قبيلتي عقيل، وبعض بكر بن وائل، وهما من قبائل شرق الجزيرة، وعلى هذه

اللهجة جاء قول الشاعر كثير:

وإن جعلت وسط المجالس شمت

له نعل لا تطى الكلب ريجها

وقول الشاعر:

لذو بخل كل على من يصاحب

وإن امرأ يرتجى الخير عنده

وعلى هذه اللهجة قراءة "جهرة":

ب- كسر حروف المضارعة:

من المعروف أن حرف المضارعة تحرك بالفتحة إلا إذا كان الماضي رباعياً فإنه

يضم ولكن بعض القبائل العربية تكسر حروف المضارعة، وهذه الظاهرة تعرف عند

القدماء بالثلاثة، وتنسب إلى براء، وهي بطن من تميم، فيقال: تلتلة براء. وتنسب أيضًا إلى تميم إذ يعلق ابن جني على قراءة: "فتمسكم النار" بأنها لهجة تميم حيث تكسر أول مضارع ما ثاني ماضيه مكسور نحو: تعلم وأنا أعلم، وينسب سيوية هذه الظاهرة إلى جميع العرب ما عدا الحجازيين.

من هنا يتبين أن هذه الظاهرة من الظواهر التي انقسمت فيها اللهجات بين قسميها الرئيسيين، وهما: اللهجات في شرق ووسط الجزيرة من ناحية، واللهجات في غربها من ناحية أخرى، أي بين قبائل البدو وقبائل الحضرة.

### ج- تفريعات تميم:

ينطق الحجازيون الكلمات على أوزانها دون مبالاة بثقل أو خفة، ولكن التميميين يلمحون نوعًا من الثقل، ويحاولون إيراد اللفظ عمى وجه خفيف، وقد ذكر هذه الظاهرة سيوية في كتابه تحت عنوان: "باب ما يسكن استخفافاً"<sup>(١)</sup> وهو في الأصل عندهم متحرك، فيقول: "وذلك قولهم في فخذ: فخذ، وفي كبذ: كبذ، وفي عضد: عضد: وفي الرجل: رجل وفي كرم لرجل كرم، وفي علم: علم، وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم، ومما لا شك فيه أن نطق الحجازيين الكلمات على أوزانها دون مبالاة بثقل أو خفة يلائم البيئة الحضرية التي تميل إلى التأي في الكلام بحيث تعطي كل صوت حقه.

كما أن التخفيف في لهجة تميم -وهي كما هو معروف قبيلة بدوية- يلائم تلك الطبيعة التي تميل إلى السرعة في النطق، والاقتصاد في الجهد العقلي.

### ثانيًا: الإبدال في الحروف:

يدخل تحت هذا النوع عدة ظواهر، تشعبت فيها اللهجات العربية القديمة

(١) الكتاب لسوية (٢/٢٥٥).

تشعباً كبيراً، وتباينت تبايناً واضحاً، وإليك بعض هذه الظواهر:

#### ١- العننة:

تنسب العننة إلى تميم وأسد وقيس ومن جاورهم أي: أن هذه الظاهرة تنسب إلى القبائل البدوية التي تقطن وسط وشرقي الجزيرة.

والعننة هي: قلب الهمزة المبدوء بها عيناً، وهو نوع من الجهر بالصوت؛ لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة؛ لأن مخرجها من المزمار، ولا عمل للوترين الصوتيين معها.

وهذه الظاهرة تناسب وتلائم البيئة البدوية؛ لأن هذه القبائل تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع؛ لأنهم يتحدثون في الصحراء حيث يفنى الصوت في جو لا آخر له، عكس البيئة الحضرية، وإليك أمثلة هذه الظاهرة، يقول جران العود:

فما أبن حتى قلن ياليت عننا تراب وعن الأرض بالناس تحسف

وكقول الشاعر:

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسحوم

وكقول الشاعر:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل لآخر لا بد عن ستصير

#### ٢- الفحفة:

تنسب إلى هذيل وهو قلب حاء (حتى) عيناً، وبلهجتهم قرأ ابن مسعود "عنى حين" فأرسل إليه عمر رضي الله عنه أن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة قريش.

وسميت هذه الظاهرة فحفة هزيل، أي تردد صوتها في حلقها مشابهاً للبحة.

ونقل بعضهم عنه هذه الظاهرة أنها قلب الحاء عينا، ولم يقيدتها بحاء (حتى)، وهذا النقل ضعيف.

وهذه الظاهرة غير مناسبة لبيئة هزيل؛ إذ كما تعرف أن بيئتها حضرية، وهي بيئة الحجاز، وهذه يناسبها ويلائمها همس الأصوات لا جهرها. ولكن اللهجات لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتحلف.

### ٣- الكشكشة:

وهي إبدال كاف المؤنثة شيئا في لهجة ربيعة ومضر وتميم وأسد في حال الوقف، ومنهم من يبدل هذا الإبدال في حال الوصل أيضا فيقولون: منش وعليش أي: منك وعليك، وقد روي قول الشاعر يخاطب الظبية:

فعيناك عيناها وجيدك جيدها ولكن عظم الساق منك دقيق

بإبدال كافات الخطاب شيئا، هكذا:

فعيناش عيناها وجيدش جيدها ولكن عظم الساق منش دقيق

وحكي عن أعرابية تقول لجارتها: ارجعي وراءش فإن مولاش يناديش، أي: وراءك ومولاك يناديك.

وفي فقه اللغة للثعالبي وقرأ بعضهم -شذوذا-: "قد جعل ريش تحتش سريرا"

في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيْرًا﴾ [مرم: ٢٤].

### ٤- الكسكسة:

وهي قلب الكاف في المذكر شيئا للفرق كما يذكر السيوطي، ولكن بعض العلماء يخصها بالمؤنث كالظاهرة السابقة، وهي تنسب إلى ربيعة ومضر وتميم وبكر بن وائل، وفسرها بعضهم بأنها زيادة سين مهملة بعد الكاف.

ونسبها ابن جني لقبيلة هوازن، فيقولون: أعطيتكس ومنكس وعنكس،

وهذا في الوقف دون الوصل<sup>(١)</sup>.

٥- الشنشنة:

تنسب لأهل اليمن، وهي قلب الكاف مطلقاً شيئاً، سُمع أحدهم في عرفة يقول: "لبيش لبيش".

وليست الشنشنة هذه إلا كشكشة ربيعة، ومضر أي: مثلها تماماً وينبغي نسبتها إلى القبائل البدوية اليمنية كما ينبغي نسبة ظاهرة الكشكشة أيضاً إلى تلك القبائل المتوغلة في البداوة من ربيعة كبكر بن وائل.

٦- الوتم:

ذكر اللغويون أن أهل اليمن تبدل السين المهملة تاء فوقية، فيقولون في الناس النات، وعليها قول الشاعر:

يا قاتل الله بني السعلات  
عمرو بن يربوع شرار النا  
غير أعفاء ولا أكيات

يريد: الناس وأكياس.

٧- الطمطمانية:

وهي إبدال لام التعريف ميماً في لهجة حمير، يقولون: طاب امهواء وصفا اججو، أي: طاب المهواء وصفا الججو.

وقد سبق أن تعرضنا لأصل هذه الظاهرة.

٨- العجعة:

هي كما يقول السيوطي: جعل الياء المشددة جيماً وتنسب إلى قضاة وإلى فقيم دارم من تميم، وعلى هذه اللهجة جاء قول الشاعر:

(١) الخصائص لابن جني (١٢/٢).

عمي عوييف أبو علج المطعمان اللحم بالعشج

٩- ومن العرب من يعكس الإبدال السابق في الظاهرة السابقة، فيبدل

الجيم ياء، يقول الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات

أي: شجرات.

١٠- الاستنطاء:

وهي إبدال العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء مثل حديث الدعاء: "ولا

مانع لما انطيت"، "إنا أنطيناك الكوثر" قراءة شاذة.

وتنسب إلى هزيل وسعد بن بكر والأزد وقيس والأنصار.

رابعاً: ما يتعلق بالإعراب:

ومن المعروف أن أوجه الإعراب هي الرفع والنصب والخفض والجزم،

ولكل منها مواضع معينة لا يكون في غيرها.

ولقد تكفل علم النحو ببيان ذلك، غير أن منها ما هو شائع بين جميع

العرب ومنها ما هو عند البعض دون الآخر، وهو المعني لنا دون النوع الأول

وإليك بعض أمثلة هذا النوع:

١- إعمال "ما" عمل "ليس":

تتفق الروايات على أن إعمال (ما) عمل ليس هو لهجة الحجازيين، وأن

إهمالها لهجة التميميين.

وبلغة الحجازيين نزل القرآن الكريم: "ما هذا بشراً".

٢- خبر ليس:

الحجازيون ينصبونه مطلقاً، وبنو تميم يرفعونه إذا اقترن بإيلا، حملاً لها على ما.

لبس الطيب إلا المسك

٣- نصب الخبر بعد إن النافية:

ينصب الخبر بعد إن النافية في لمحة أهل العالية، وهي ما فوق نجد إلى تامة  
والي مكة وما والاها، كقول الشاعر:

إن هو مستولياً على أحد  
إلا على أضعف المحانين  
وقوله:

إن المرء ميتاً بانقضاء حياته  
ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا  
وقراءة سعيد بن جبير -وهي شاذة-: "إن الذين تدعون من دون الله عبادة  
أمثالكم" بأن النافية ونصب عباد وأمثال.

والقراء السبعة: "إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم" بأن المؤكدة  
ورفع عباد وأمثال.

٤- جر اسم لعل:

عقيل تجر اسم لعل بها كقول كعب بن سعد الغنوي:  
فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة  
لعل أبي المغوار منك قريب  
وقول الشاعر:

لعل الله فضلكم علينا  
بشيء أن أمكم شريم  
٥- المثني:

من المعروف أن المثني يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء، ولكن تذكر  
الروايات أن المثني لم يلزم تلك الحالة دائماً، فلقد كان بنو الحارث بن كعب  
وكنانة وبنو العنبر وبطون من ربيعة وبكر بن وائل وختعم وزبيد، وهمدان وعذرة  
يلزمون المثني الألف دائماً، وعليه قول الشاعر:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مساعاً لناباه الشجاع لصمما

وخرج عليها قوله صَلَّى: "لا وِثْرانِ في ليلة"، وعليه قول الشاعر:

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

وقول الشاعر:

إن أباهما وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها

٦- استعمال "متى" استعمال "من":

تستعمل "متى" استعمال "من" في لهجة هذيل فيجرّون بها، نقل عن بعضهم

"أخرجها متى كمه" أي: منه، وقول أبي ذؤيب الهزلي:

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لبحج خضر لمن نئيج

٧- تمييز "كم" الخيرية منصوب وجوباً في لهجة تميم فهم يقولون: كم

فارساً جندلت، وكم حرباً خضت.

بينما يقول الحجازيون: كم فارس، وكم حرب، وهذه الظاهرة اللغوية من

ظواهر الخلف بين اللهجتين، وهذه الظاهرة كانت السبب في الجدل النحوي

العقيم حول بيت الفرزدق - وهو كما نعرف من قبيلة تميم -.

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

فمن رواه بالنصب لاحظ أن الفرزدق قد لحن بلحن قومه، ومن رواه بالجر

أراد أن يؤكد أن جميع الشعراء يلتزمون النطق بلهجة قريش لإيمانهم بأنها أفصح

اللهجات العربية.

وبعضهم خرّج النصب على أن "كم" استفهامية، والاستفهام للتهكم، ولا

ضرورة إلى هذا التخرّيج، ما دام يروى عن تميم.

خامساً: الاختلاف في أوجه البناء والبنية:

١- نعت النداء:

المشهور في: "يا أيها الرجل" و"يا أيها الناس"، في بناء الهاء على الفتح ووصلها بألف تظهر عند الوقف.

وعند بني أسد يجوز أن تحذف ألفها، وأن تضم هاؤها اتباعاً، وعلّة قراءة ابن عامر: أيه المؤمنون، أيه الثقلان، أيه الساحر بضم الهاء في الوصل، أما إذا تلاها اسم إشارة فتفتح عند الجميع نحو يأيهاذا.

والضم في هذه الظاهرة مناسب لطبيعة قبيلة أسد البدوية إذ الضم مظهر من مظاهر الخشونة مما يناسب أهل البادية كبني أسد.

٢- الوكم:

المشهور في كاف الخطاب المتلوة بالميم الضم، قال تعالى: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ" [التوبة: ١٢٨].

وناس من بكر بن وائل تكسر هذه الكاف، وعليها جاء قول الخطيئة: وإن قال مولاهم على جل حادث وإن من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا ونسب الكسر -أيضاً- إلى ربيعة كما يذكر ذلك السيوطي، وهذه الظاهرة تعرف بالوكم.

٣- الوهم:

والمشهور أيضاً عند جمهرة العرب في هاء الغيبة المتلوة بالميم أن تبني على الضم، ما لم يقع قبلها ياء ولا كسرة، فتكسر، ولكن ربيعة تكسرهما مطلقاً، وتُعرف هذه الظاهرة بالوهم، فيقولون في منهُم: منهم.

## ٤ - شين عشرة:

المشهور في شين عشرة التسكين في لغة الحجاز، قال تعالى: ﴿فَأَفْجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠].

ولكن من بني تميم من يكسرهما فيقولون: عشرة.

## ٥ - بناء "مع" على السكون:

المشهور في "مع" البناء على الفتح، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: "يا بني اركب معنا".

ولكن تميمًا وربيعة تسكن أي: تبنيتها على السكون.

## ٦ - ضمير الرفع المنفصل للمتكلم "أنا":

في الوقف يلزم الألف وتحذف وصلًا، وهذا عند قريش، وبنو تميم يلزمون الألف وقفًا ووصلًا.

وفي الوقف لغة بماء السكت، وهي لهجة طيبي يقولون: أنه.

## ٧ - ضمير الغائب المفرد المتصل:

يقول الشاعر:

فظلت لدى البيت العتيق أخيلهو ومطواي مشتاقان له أرقان

فإثبات الواو في أخيلهو للحجازيين وتسكين الهاء في له لهجة أزد السراة

وعلى الأول جاءت قراءة: "فخسفنا بهو وبدارهو الأرض".

## ٨ - كسر ياء التكلم: في هذه الحالة، ولكن بني يربوع يكسرون، وعليها

قراءة حمزة: "وما أنتم بمصرخي" بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح كما ذكر ذلك

صاحب النشر<sup>(١)</sup>.

(١) وانظر شرح التصريح (٦٠/٢).

٩- فتح همزة "إما" التي للتفصيل:

الشائع فيها الكسر: "فإما منا بعد وإما فداء"، ولكن بني تميم وأسد وقيس تفتح الهمزة فتكون صورتها في لهجتهم كصورة أما الشرطية قال شاعرهم:

يأليتما أمنا شالت نعامتها      أما إلى جنة أما إلى نار

١٠- من ضمائر الرفع المنفصلة "هو وهي":

المشهور في هذين الضميرين فتح الواو والياء، ولكن قيساً وأسدًا تسكن

الواو والياء، كقول الشاعر:

إن سلمى هي التي لو تراءت      حبذا هي من خلة لو تحاي

وقول الآخر:

أدعوته بالله ثم قتلته      لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وهمدان تشدد الواو والياء من هذين الضميرين، من ذلك قول الشاعر:

والنفس ما أمرت بالعنف أبية      وهي ما أمرت باللطف تأمر

وكقول الشاعر:

وإن لساني شهدة يُشتفى بها      وهو على من صبه الله علقم

ولو أضفنا إلى هذين الضميرين على لهجة همدان هاء السكت لكان النطق الدارج

عندنا في مصر مما يوقفنا على صلة اللهجات الحديثة باللهجات العربية القديمة.

سادساً: بين الإعراب والبناء:

١- من الظواهر اللغوية التي اختلفت فيها تميم والحجازيون: الأعلام التي

على وزن فعال كحذام وقطام.

فالحجازيون يبنونها على الكسر، ويقولون في امرأة اسمها حذام هذه حذام

ورأيت حذام ومررت بحزام بالبناء على الكسر في الجميع.

وأما بنو تميم فترفع ذلك وتنصبه، تجريه مجرى اسم لا ينصرف، هذا وإذا كان آخره راء فالحجازيون والتميميون متفقون في البناء على الكسر.

## ٢- إعراب "الذين" إعراب جمع المذكر السالم:

المشهور في جمع اسم الموصول "الذي" أن تقول: الذين، بالياء في الرفع والنصب والجر؛ لأنه مبني كالواحد، ومنهم من يقول: اللذون في الرفع، والذين في النصب والخفض، وتنسب إلى طيئ وعقيل وهذيل.

فهم إذن يعربون "الذين" إعراب جمع المذكر السالم، قال رؤبة:

نحن اللذون صبوحوا الصباحا      يوم النخيل غارة ملحاحا

## ٣- حيث:

"حيث" من الظروف المبنية، والذي أوجب بناءها أنها تقع على الجهات الست وهي: "خلف- قدام- يمين- شمال- فوق- تحت"، وعلى كل مكان، فأجمت ووقعت عليها جميعاً.

ولحجة فقهاء<sup>(١)</sup> كما يذكر السيوطي في معجم المصنف إعرابها، وقرئ:

"ستترجمهم من حيث لا يعلمون" بالكسر، فيحتمل الإعراب، ولغة البناء على الكسر.

## ٤- "لذن" الظرفية:

من الظروف المبنية "لذن"، وهي لأول غاية زمان أو مكان، وعلّة بنائها شبهها بالحروف في لزومها استعمالاً واحداً، وهي كونها مبتدأ غاية، وامتناع الإخبار بها أو عنها.

ولكن قيساً تعربها تشبيهاً لها بعند، وبه قرأ عاصم: "بأساً شديداً من لذنه"

بالجر، وإشمام الدال الساكنة الضم.

(١) لسان العرب (ص ٢).

سابعاً: الزيادة والنقصان:

من مظاهر اختلاف اللهجات أيضاً نطق بعض القبائل العربية الكلمة بحذف حرف فيها ونطق بعض القبائل أحرف الكلمة بحذف حرف من حروفها، وإليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

١- "اللدان" و"اللتان":

اسم الموصول للمثنى المذكر "اللدان" والمثنى المؤنث "اللتان" المشهور فيهما إثبات النون ولكن لهجة بني الحارث بن كعب وبعض بني ربيعة يحذفون النون في حالة الرفع، تقصيراً للموصول لطوله بالصلة؛ لكونها كالشيء الواحد، وعليها جاء قول الفرزدق في هجاء جرير:

أبني كليب إن عمي اللدان  
و كقول الأخطل:

هما اللتان لو ولدت تميم  
لقيل فخر لهم عميم

٣- تطابق الفعل وفاعله أو نائبه:

إذا أسند الفعل إلى الفاعل الظاهر فالمشهور تجريده من علامة التثنية والجمع، ويكون الفعل حينئذ بصيغة واحدة للفاعل المفرد، والفاعل المثنى والجمع، وهي صيغة المفرد الغائب، تقول: قال رجل، قال رجلان، قال رجال، قال نسوة، ولكن في لهجة طيء وأزد شنوءة وبالحرث بن كعب تلحق الفعل علامة التثنية والجمع أي: تطابق الفعل وفاعله، وعلى اللهجة جاء قول الشاعر:

تولى قتال المارقين بنفسه  
وقد أسلماه مبعد وحميم

وقول الفرزدق: بحوارن يعصرن السليط أقرابه.

وقول أمية بن أبي الصلت:

يلوموني في شراء النخيل أهلي فكلهم أوم  
ويظهر أن هذه اللهجة هي أسبق مما هو معروف، وهو أفراد الفعل إذا تقدم  
على فاعله الجمع أو المثني، فهي تمثل مرحلة تاريخية للغتنا العربية الفصحى، فهي  
-لاشك- تلقي الضوء على صيغة الفعل، وكيف تطورت فيما بعد.  
من هنا تظهر أهمية دراسة الظواهر اللهجية المتفرقة في كتب النحو واللغة،  
وما لها من قيمة في تاريخ قواعد العربية، وأيضاً في اللهجات العامية في البلاد  
العربية في العصر الحاضر.

### ٣- اللخلخانية:

في لهجة أعراب الشحر وعمان حذف بعض الحروف كقولهم: "مشا الله"  
أي: ما شاء الله، ولقد عرفت هذه الظاهرة باللخلخانية.  
وهذه الظاهرة تلائم البيئة البادية لهؤلاء الأعراب، الذين يميلون إلى السهولة  
في الكلام والسرعة في النطق والاقتصاد في المجهود العضلي.  
٤- القطعة:

الأصل في النطق أن يتفوه الناطق بجميع حروف الكلمة؛ ليكون السامع  
على بينة من أمر المنطوق، ولكن قبيلة طيبي كانت تميل إلى قطع اللفظ قبل تمامه،  
فيقولون: يا أبا الحكا، ويريدون يا أبا الحكم.

وهذه الظاهرة كما هو مشاهد تشارك الترخيم في أنها حذف آخر الكلمة  
إلا أن الحذف في الترخيم يرد على آخر الاسم المنادى، وهذا وارد على كل  
كلمة حرفاً كانت أو اسماً أو فعلاً، منادى أو غير منادى، والمحذوف في الترخيم  
حرف واحد، أو حرفان أولهما لين زائد ساكن مكمل أربعة أحرف فصاعداً،  
وهنا في هذه الظاهرة يكون المحذوف حرفاً واحداً أو حرفين بدون الشروط

المعروفة في الترخيم، كقول الشاعر:

درس المناجاة فأتبعه فأتبعه  
فتقادت بالحبس والسوبان

أي: المنازل.

هذا في لهجة طيبي، أما بنو عامر فيكون الحذف بجملة حروف فيقولون:

"سل عنك، أي: عما بدالك.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الظاهرة تلائم البيئة البادية التي تميل إلى

السهولة في النطق والاقتصاد في المجهود العضلي والحذف يحقق ذلك.

هذا وفي لغتنا العامية في بعض لهجات مصر ما يشبه لهجة طيبي في حذف

بعض الحروف كما هو واضح ومشاهد وخاصة عند أهل محافظة "بني سويف" وما يجاورها.

٥- حذف نون "من" الجارة:

حنعم وزيد من القبائل اليمنية يحذفون نون من إذا جرّت ما فيه أل القمرية،

وهي توافق لهجتنا العامية المنتشرة في مصر، وخاصة عند العوام، ويقول شاعرهم:

لقد ظفر الزوار أافية العدا  
بما جاوز الآمال ملاسر والقتل

ويقول الآخر:

أبلغ أبا دختنوس مألكة  
غير الذي قد يقال م الكذب

ويقول الآخر:

ألا أبلغ بنو عوف رسولاً  
فما م الآن في الطير اعتذار

هذا عن النقصان أما الزيادة فإليك بعض أمثلتها التي توضحها لديك:

١- إلحاق لام البعد لاسم الإشارة:

لا يلحق التميميون لام البعد لاسم الإشارة مطلقاً، ولكن أسداً وربيعاً وقيساً

يلحقون اسم الإشارة الذي للمفرد والجمع في حال القصر، ومنه قول الشاعر:

أولالك قومي لم يكونوا شابة وهل يعظ الضليل إلا أولالك

٢- زيادة ألف بين همزة الاستفهام إذا كان الأول مهموزاً:

إذا دخلت همزة الاستفهام على كلمة مهموزة فإن بعض العرب يزيد ألفاً

بين الهمزتين؛ كراهة التقاء همزتين، ومن ذلك قول ذي الرمة:

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل وبين النوى آنت أم أم سالم

ويمكن نسبتها إلى تميم ومن وليهم من القبائل البدوية والتي تميل إلى الهمز - كما

سبق بيان ذلك.

٣- إشباع حركتي التاء والكاف عند الخطاب:

من الضمائر المتصلة التي للرفع التاء والتي للنصب الكاف، وإذا كان

المخاطب بما مذكراً نُطِقاً مفتوحاً الآخر، وإذا كان مؤنثاً كانا مكسوري الآخر.

ولكن ربيعة تشبع الفتحة في حالة الخطاب فتصير ألفاً، وتشبع الكسرة

فتصير ياء في حالة خطاب المؤنثة.

ثامناً: هيئة النطق:

يختلف اللفظ في النطق عد القبائل المختلفة، فالعبارة الواحدة المركبة من

كلمات معينة وإن كانت متحدة مادة تختلف هيئتها تبعاً لعادات المتكلمين بها،

وهذا عام في سائر اللغات.

والاختلاف في هيئة النطق يكون بالشدة والرخاوة، والسرعة والبطء،

والتفخيم والترقيق، والوصل والقطع، والإمالة والفتح.

ولسوء الحظ أن نقلة اللغة العربية وجامعيها لم ينقلوا لنا الهيئة التي كان

عليها نطق العرب، ولم يضعوا لهيئات المختلفة أي إشارة تدل عليها في الكتاب،

رغم اختلاف هيئة نطق الألفاظ باختلاف القبائل.

ومما لا شك فيه أن هذا الخلف في النطق كان موجوداً؛ حيث إن القبائل البدوية بوجه عام قد مالت إلى أصوات التفخيم، واشتهر عنهم، وتمسكوا به، وتعصبوا له. ومن جهة أخرى فلقد مالت القبائل الحضرية أو المتأثرة بالحضر إلى الأصوات المرفقة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الترقيق هو جعل جسم الحرف نحيلاً، فلا يمتلئ النغم بصداه.

وأما التفخيم فهو جعل جسم الحرف سمياً، فيمتلئ النغم بصداه، وإليك بعض الأمثلة التي توضح لك ذلك.

#### ١- بين التاء والطاء:

من المعروف لك أن قبيلة تميم من القبائل البدوية؛ ولذا آثرت حرف الطاء للمفخم فعلى لهجتهم: أفلطنى الرجل إفلاطاً مثل: أفلتنى، وحصط برجلك أي: حصت.

#### ٢- بين السين والصاد:

ينسب -أيضاً- إلى تميم تفضيل الصاد على السين؛ إذ الصاد حرف مفخم، والسين حرف مرقق، فيقولون: الصماح في السماح.

#### ٣- بين القاف والكاف:

يستفاد أيضاً من روايات المعاجم أن البدو كانوا يؤثرون القاف على حين أن أهل الحضر كانوا يؤثرون الكاف، وهذا يتناسب مع طبيعة كل، إذ أن القاف من حروف الاستعلاء فهي مفخمة، والكاف ليست كذلك.

فقريش تقول: كشطت، وقيس وأسد تقول: قشطت.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المبحث الظاهرة التي تعزى إلى قبيلة قضاة، وهي المعروفة بغمغمة قضاة، فلقد نقل العلماء أن بني قضاة كانوا إذا

تكلموا لا تتميز كلماتهم، وعد ذلك من المعايير.

وكذلك يندرج تحت هذا المبحث ما نقل عن أهل مكة من أنهم يخفون إحدى التائين في الأخرى، وذلك إذا اجتمعنا في أول الكلمة كقولنا: تتخلى مقدرتك ومثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّجِرُوا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ [المجادلة: 9]، فقد كانوا يخفون إحدى التائين في الأخرى، فيرتفع بهما اللسان ارتفاعاً واحدة في النطق، كأنهما مدغمتان، والحقيقة أنه لا إدغام؛ لأنه لا بد من اعتبارها متحركة إذ جاء ذلك في بعض تفاعيل الشعر التي تقتضي التحريك، وأهل مكة يخالفون أكثر العرب الذين يوردون التائين على هذا الوضع.

وهذه الظاهرة لا تتفق وطبيعة البيئة الحضرية، التي هي بيئة مكة، والتي من أهم خصائصها التأني والتؤدة وإعطاء كل حرف حقه في النطق، بخلاف أهل البادية الذين يميلون إلى السرعة في النطق كما بينا ذلك سابقاً.

ولكن كما قلنا إن اللغة لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف.

ومما يندرج تحت هذا المبحث أيضاً أن التفعيل في العربية للتكثير، والمفاعلة للمشاركة.

ولكن وردت قراءات تجمع بين هذين الوزنين مثل قوله تعالى: "ربنا باعد"

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو "بَعْد" بتشديد العين، وقرأ نافع وعاصم وحمة

والكسائي "باعد" بألف وعين خفيفة.

وإذا تفق الوزنان في المعنى فأنفاعلة لهجة أهل الحجاز، وفعل لهجة تميم وكل مناسب

للبيئة التي ينسب لها؛ إذ - كما تعرف - أن تميماً تميل إلى التضعيف، عكس الحجازيين.

ولهجة تميم هنا تناسب مع المعنى في هذه الآية الكريمة؛ إذ المعنى للتكثير لا

للمشاركة، فهي إذن أقرب إلى دلالة البنية من لهجة أهل الحجاز. وهذا واضح.

## الفصل الثالث: تعدد المعنى للفظ واحد

### الترادف اللغوي، القلب

الأهداف التعليمية للفصل الثالث:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تقرر أن من مظاهر اختلاف اللهجات اختلافها الدلالي.
- ٢- تفهم حقيقة المشترك اللفظي، وتتعرف على أمثله وشواهد المنشورة والمبثوثة في كتب التراث، وبخاصة اللغوية منها.
- ٣- تذكر أن من صور الاختلاف الدلالي: التضاد.
- ٤- تقف على حقيقته وشواهد وأمثله التراثية.
- ٥- تقف على مفهوم الترادف اللغوي، وتقف على أمثله وشواهد.
- ٦- تعلم أن اللغويين مختلفون في ظاهرة الترادف اللغوي، فمنهم القائلون بإثباته، ولهم في ذلك حججهم وبرهانهم، ومنهم المنكرون لوقوعه، ولهم حججهم كذلك.
- ٧- تفرق بين الاشتراك والتضاد والمشارك والمتضاد.
- ٨- تقف على حقيقة القلب وصوره المختلفة.
- ٩- تفهم طبيعة القلب، وتقف على العلاقة بينه وبين ما يسمى بدوران المادة حول معنى واحد.
- ١٠- تقف على آراء العلماء في القلب وما احتج به كل فريق.

## الفصل الثالث: تعدد المعنى للفظ واحد

من مظاهر اختلاف اللهجات أن يجيء اللفظ واحداً لمعانٍ مختلفة، وإذا ما كان اللفظ واحداً وتعدد معناه كان صالحاً لأن يصدق على نوعين:

أ- المشترك اللفظي.  
ب- التضاد.

أولاً: المشترك اللفظي:

تعريفه: المشترك هو: اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة.

فهو باختصار: ما اتحدت صورته واختلف معناه.

ولولا تنوع الاستعمال لما تنوع معناه؛ لأن اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان ينتج إلا اتحاد معناه، ولكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك، بينما تغيرت طرائق استعمالها لتغاير البيئات في الغالب.

أمثلة المشترك:

أولاً: من الأسماء: إنسان: لفظ إنسان يطلق على الواحد من بني آدم وعلى

ناظر العين وعلى الأمتة، وعلى حد السيف، وعلى السهم وعلى الأرض التي لم ترزع.

ثانياً: من الأفعال: قضى: يأتي قضى بمعنى أمر، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويأتي بمعنى صنع، كقوله تعالى: ﴿فَأَقْضَىٰ

مَا أَلْتَّ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]، أي: اصنع ما أنت صانع، ويأتي بمعنى حكم، ويكون

بمعنى أعلم، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ [الإسراء: ٤]،

أي أعلمناهم، ويقال للميت: قضى إذا فرغ من الحياة، وقضاء الحاجة معروف، ومنه قوله

تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ [يوسف: ٦٨]، ويأتي بمعنى دفع الدين.

ثالثاً: من الحروف: "من" تأتي من للابتداء، والتبويض والتقليل.

## آراء العلماء وموقفهم من المشترك

لقد عرض اللغويون لهذا النوع من المباحث اللغوية، فأنكره بعضهم، وأثبته البعض الآخر، وإليك بيان ذلك:  
الرأي الأول: المنكرون للمشترك:

ذهب فريق من العلماء إلى إنكار وجود المشترك في اللغة العربية، وعلى رأس هذا الفريق: ابن درستويه في كتابه شرح الفصيح.

فإذا ظن الناس أن من قبيل المشترك لفظ (وجد) الذي لم يُفد معاني مختلفة إلا بسبب العوارض التصريفية فيقال: وجد الشيء وجداناً إذا عثر عليه، ووجد عليه موجدة إذا غضب، ووجد به وجداً إذا تفانى بحبه، لم يسلم ابن درستويه بأن هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنما هذه المعاني كلها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً.

ونفى وقوع المشترك أيضاً ثعلب اللغوي، وأبو بكر الأبهري من الفقهاء. وحجة هذا الفريق، أن اللغة موضوعة للإبانة، ووجود المشترك يعد تعمية وأولوا ألفاظ المشترك على أنها من باب الحقيقة والمجاز، بمعنى أن المشترك يدل على معنى واحد على سبيل الحقيقة، وأما باقي المعاني فدلالة لفظ المشترك عليها على سبيل المجاز. ومما لا شك فيه أن وقوع المشترك في الكلام عجيب؛ لأنه ينافي الغرض الذي من أجله وضعت اللغة، وهو غرض الإبانة.

ومما يزيل هذا العجب كون المشترك ناشئاً من اختلاف اللهجات بين القبائل، وأحسن ما روي في الاعتذار عن وقوع المشترك هو قول ابن درستويه نفسه، والذي يعد على رأس المنكرين، ولكنه يعترف صراحة بوقوع هذا اللون نادراً، انظر إليه حيث يقول: "اللغة موضوعة للإبانة والمشترك تعمية، ولكن جاء منه النادر لعل، فيتوهم من لا يعرف العلل أن اللفظ وضع لمعينين والسماع في ذلك صحيح عن

العرب، وإنما يجيء ذلك من لغتين أو لحذف واختصار وقع في الكلام"<sup>(١)</sup>.

الرأي الثاني: المبتون للمشترك:

ذهب هذا الفريق من اللغويين إلى إثبات المشترك وكثرة وروده، وضربوا له عدداً كبيراً من الأمثلة، ومن هؤلاء الأصمعي، والخليل وسيويه، وأبو عبيد وأبو زيد الأنصاري، وابن فارس والثعالبي والمبرد، وابن الأعرابي وابن الأنباري وابن دريد وأبو عبيد.

ورفض هذا الفريق من العلماء أداء المشترك إلى التعمية؛ لأن القرائن التي يقيمها المتكلم لإفهام المخاطب مؤداه - كقيلة بتعيين المراد والمطلوب، صارفة للذهن عما لا يراد.

وإذا نظرنا إلى هذين الرأيين نظرة فاحصة - تبين لنا أن هذا الخلاف نتيجة اختلاف نظرة كل فريق إلى الكلمات ومعانيها من زاوية خاصة.

فالفريق الأول - والذي أول أمثلة المشترك اللفظي على أنها كلها من الحقيقة والمجاز - نظر إليها نظرة تاريخية وتتبعها في عصوره المختلفة. أما الفريق الثاني فنظرته وصفية واقعية؛ إذ بحث هذا الفريق في الكلمات ومعانيها في عصر خاص.

والحق الذي لا مرية فيه أن كلا الفريقين قد حاد عن الطريق السوي، وأسرف فيما ذهب إليه، وابتعد عن جادة الحق في بحثه؛ وذلك لأنه لا معنى لإنكار المشترك اللفظي مع ما ورد في الأساليب العربية الصحيحة من أمثلة وشواهد كثيرة لا يتطرق إليها الشك، إذ أن إنكار المشترك منافي للمسموع عن العرب، واللغة مبنية على السماع الوارد عن الفصحاء والعرب الخالص.

فمن الشطط والتعسف إنكار المشترك إنكاراً تاماً، وتأويل جميع أمثله تأويلاً يخرجها من هذا البحث.

(١) المرهم في علوم اللغة وأنواعها (١/٣٨٥).

يدلنا على ذلك أنه في بعض الأمثلة لا توجد بين المعاني التي يطلق عليها اللفظ الواحد أية رابطة واضحة تسوغ هذا التأويل وتجعلها من باب الحقيقة والمجاز، فأبي رابطة أو علاقة بين الأكمة الصغيرة وبين أخي الأم الموضوع لكل منهما لفظ الخال، حتى يجعل أحدهما حقيقة للفظ والآخر مجازاً له.

هذا عن الرأي الأول: وأما الرأي الثاني فإن ادعاء هذا الفريق كثرة المشترك على الصورة التي تخيلها غير سديد؛ لأنه من الممكن تأويل بعض الأمثلة على وجه يخرجها من الاشتراك؛ وذلك لأن المعاني لا تبقى على حال واحدة، بل هي دائمة التغير وإن كان تغيرها بطيئاً يمر في أجيال قبل أن نشعر به أو نتعرف عليه، وكما يصيب التغيير بعض الأصوات دون البعض الآخر؛ كذلك نرى تغير المعاني مقصوراً على البعض دون البعض الآخر؛ وذلك لتلك الظروف اللغوية الخاصة التي قد تطرأ على بعض الكلمات فقط، وكما قد تحافظ بعض الكلمات على أصواتها ولفظها كذلك قد تحافظ بعض الكلمات على معانيها.

عوامل وجود المشترك:

من أهم أسباب وجود المشترك تعدد الوضع، ويمكن تقسيمه قسمين:

الوجه الأول: تعدد الوضع في اللغة العربية أصالة؛ لأن القبائل وإن اتحد معظمهم لغة إلا أنه مع ذلك يختص بعضها ببعض الألفاظ، ولاسيما الشعبان العظيمان عدنان وقحطان، وهذا مثل السدفة للظلمة في لهجة تميم، وللضوء في لهجة قيس، ومثل العجل وهو ضد البطيء في لهجة معظم العرب، وهو الطين في لهجة حمير.

ومن هنا يتبين لنا -بجلاء ووضوح- أن اختلاف المعنيين ينبغي ألا يكون قصداً في الوضع ولا أصلاً، ولكنه من لغات تداخلت، أو أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل.

الوجه الثاني: اشتراك يعرض من إدخال العرب في لغتهم لفظاً من غير لغتهم، ومن عادتهم تغيير اللفظ المعرب ليصير على وزن قريب من أوزانهم، فيصادف لفظاً شبيهاً له في العربية أصلاً، ولكن بمعنى آخر مثل: الشطر وهو النصف، والشطر بمعنى الجهة حشي دخل لغة العرب، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

ولا يتوقف وجود المشترك على هذا السبب وحده، بل هناك أسباب كثيرة تتضافر جميعها في وجود المشترك منها: الاشتراك العارض من المجازات التي تكثر في كلامهم حتى تساوي الحقيقة أو تقاربها، مثل البعل: السيد ثم صار بمعنى الذكر، فسمي به النبات الذي لا يسقى.

من أسباب وجوده أيضاً ما طرأ على اللغة من المصطلحات الشرعية كالإيمان والإسلام والصلاة، وكذلك من أسبابه ما يعرض من التخفيف مثل: قط ذكر المر وقط بالإدغام أصله قسط، وغير ذلك كثير من الأسباب الداعية إلى وجود المشترك غير أن السبب الرئيس في وجوده هو اختلاف لهجات القبائل العربية؛ نظراً لاختلاف بيئاتها، وتغاير أجوائها وتباين طباعها.

ثانياً: التضاد:

لا يتم الحديث عن المشترك إلا بالتعرض لتلك الكلمات التي رويت متضادة المعاني، والتي اصطاح القدماء على تسميتها بالأضداد.

تعريفه: دلالة اللفظ على معنيين متضادين دلالة متساوية عند أهل تلك اللغة، كالصارخ للمغيث والمستغيث، والقشيب للخلق والجديد، والأضداد نوع من المشترك.

وكما اختلف العلماء في وجود المشترك اختلفوا أيضاً في الأضداد ففريق يقول بالأضداد، وفريق آخر ينكرها.

على أن القائلين بوقوع التضاد في اللغة العربية اختلفوا في طريقة إثباته،  
وفيما يلي بيان ذلك على وجه الإجمال.

المشتون للأضداد:

أولاً: من العلماء من يقول بوجود الأضداد مطلقاً، سواء كان الواضع  
واحدًا أم متعددًا على أن يكون الضد مشتقًا من أصل الوضع؛ ولذلك يكون  
الأصل موضوعًا لمعنى واحد، ثم تداخل الضد على جهة الاتساع، ويعللون ذلك  
بإمكان رجوع الضديه إلى أصل واحد في الاشتقاق في بعض الأحيان مثل الصريم  
تطلق على الليل والنهار؛ لأن كل واحد منهما ينصرم أي: ينقطع من الآخر،  
وهذه نظرة فلسفية بعيدة عن الواقع.

ثانيًا: يرى ابن فارس أن أصل الأضداد كأصل الألفاظ الأخرى وضعها  
العرب بالوضع الأول للدلالة على المعنيين المتضادين إذ يذكر في كتابه الصاحبي  
أن من سنن العرب في الأسماء أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو:  
اللون للأسود والجون للأبيض.

ثالثًا: يرى ابن دريد أن التضاد موجود ولكن بشرط أن يكون اللفظ الذي  
أطلق على الضدين من وضع قبيلة واحدة، وهذا الرأي يناهج الحقيقة؛ لأن الواضع  
الواحد يهمل إيضاح المعنى لسامعه، ووضع اللفظ للمعنى وضده يؤدي إلى الإبهام؛  
ولذا كان هذا الرأي غير مقبول؛ لما فيه من الخلل.

رابعًا: والفريق الرابع يرى أن ألفاظ الأضداد لم يضعها العرب للمعاني المتضادة  
بالوضع الأول، وإنما استعملتها بعض القبائل في معنى من معانيها واستعملتها بعض  
القبائل في المعنى المضاد، ثم امتزجت اللهجات فظهرت الأضداد في اللغة.

مما سبق يتبين لنا رأي القائلين بالأضداد، ورغم ما بينهم من خلاف في  
طريقة إثباته إلا أن الجميع فريق واحد، وهو المثبت لهذا النوع.

## المنكرون للأضداد:

يرى بعض العلماء أنه لا وجود للأضداد وفي مقدمة هؤلاء ابن درستويه، فقد ذهب إلى جحد الأضداد، وكتب في ذلك تأليفاً خاصاً أسماه: "إبطال الأضداد" وإنا لنأسف لضياح هذا الكتاب مما ترتب على هذا عدم معرفتنا للمنهج والطريق الذي سلكه هذا العالم اللغوي في رد الأضداد وتقنيدها.

ويرى ابن سيده الأندلسي أن أحد شيوخه كان كذلك ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة للشيء وضده.

## بين المثبتين والمنكرين:

والحق أن كلاً من الجانبين (المثبت والمنكر) قد أسرفا فيما ذهبوا إليه من المبالغة في إثبات الأضداد أو إنكارها إنكاراً تاماً.

فأما الذين أبطلوا الأضداد فقد غلوا فيما ذهبوا إليه؛ لوجود الأمثلة والشواهد التي لا يمكن ردها، تشهد على وجود التضاد في الكتب اللغوية التي بين أيدينا، فمن التعسف إذاً إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثله جميعاً بتأويلات تخرجها عن هذا الباب كما فعل المنكرون؛ لأن بعض أمثله لا تحتل أي تأويل من هذا القبيل.

وأما الذين أثبتوا الأضداد فقد بالغوا في عددها أيضاً، وقد انحرفوا بذلك عن جادة الحق والصواب؛ وذلك لأن هناك ألفاظاً قد عدت من الأضداد بعد أن زيد في معناها زيادة لم تكن في أصل اللفظ مشتقاً، ولا استعماله المؤلف المأخوذ به إن كان غير مشتق أو غير ذلك من الأسباب.

وفي الحق أن التضاد موجود في اللغة، ولكن ليس بالكثرة التي نادى بها أصحاب هذا الرأي، ووجود التضاد راجع إلى تعدد اللهجات العربية في الجزيرة العربية، ويؤيد ذلك الشواهد الكثيرة المثبتة لذلك.

## ثالثاً: الترادف:

تعريفه: هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد. واحترز بالإفراد عن الاسم والحدّ فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين كالاسم والصفة، فإنهما دلاً على شيء واحد، ولكن باعتبارين: أحدهما على الذات والآخر على الصفة، والفرق بينه وبين التوكيد أن أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخر كالإنسان والبشر، وفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول، والفرق بينه وبين التابع أن التابع وحده لا يفيد شيئاً كقولنا: عطشان نطشان.

وهذا التعريف للإمام الرازي وهو من المعتدلين الذين قالوا بالترادف، ونلمس من تعريفه هذا أنه يرى وجوب تقييد الترادف بعدم التباين في المعنى وبعدم الاتباع، فليس من الترادف السيف والصارم كما سبق... إلخ، ولكنه مع ذلك اعترف بفكرة الترادف ونعى على الاشتقائيين تعسفاتهم، وعلى أية حال فإن ظاهرة الترادف في لغتنا ليست محل وفاق بين العلماء، بل على العكس؛ فلقد كان القرن الرابع الهجري شاهداً لخلافات كبيرة بين العلماء في هذا الشأن، فمنهم من ينادي بالترادف ويقول بوقوعه في الألفاظ، وذهب فريق من هؤلاء إلى المغالاة في رأيهم إلى حد أن أتوا بمئات الكلمات للمعنى الواحد في بعض الأوقات.

وذهب فريق آخر إلى إنكار هذه الظاهرة في ألفاظ اللغة، وذهبوا يلتمسون فروقاً دقيقة بين معاني الكلمات والتي لا تسلم في بعض الأحيان من التكلف.

وبالنظر إلى ما أورده السيوطي في كتابه المزهري يظهر لنا أن رواة اللغة وجامعيها كانوا في القرن الثاني الهجري، يقولون بظاهرة الترادف في ألفاظ اللغة العربية، ويرون ذلك ليس محل نزاع أو جدال، فلقد روي أن أبا زيد سأل أعرابياً وقال له ما المحبطني؟ قال الأعرابي: هو المتكأكي، فقال أبو زيد: وما المتكأكي؟ قال الأعرابي: هو المتأزف، قال أبو زيد: وما المتأزف؟ فسئم من ذلك الأعرابي،

وقال له: أنت أحق<sup>(١)</sup>.

فهذا عالم جليل، هو أبو زيد الأنصاري يرى أنه لا غضاضة في أن يعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ واحد، فهو إذن من القائلين بالترادف. وفي أواخر القرن الثالث الهجري بدأوا يلتمسون فروقا بين الكلمات التي قال عنها من سبقوهم إنهما مترادفة.

ثم جاء القرن الرابع الهجري فاشتد الخلاف بين المؤيدين والمنكرين وانتصر ابن فارس لرأي أستاذه وشيخه ثعلب وأنكر الترادف، وكذلك أنكره أبو علي الفارسي، ونرى في الجانب الآخر المؤيدين والقائلين بهذه الظاهرة أمثال ابن خالويه، ومؤيديه، ولقد ألف الفيروزآبادي كتيباً في أسماء العمل كما ذكر السيوطي أن الفيروزآبادي ألف كتاباً أسماه "الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف".

ولقد جمع الأستاذ دوهامر أكثر من (٥٦٤٤) لفظاً للجمل وما يتعلق بها، وليس من الغريب أن نجد باحثاً كريمان في دراسة اللغات السامية تأخذه الدهشة وهو ينقل عن الأستاذ دوهامر ما توصل إليه من هذه الكلمات التي تفوق كل تصور.

### أدلة القائلين بالترادف:

يروى أصحاب الترادف والقائلون به قصصاً وأحاديث تبرهن وتدلل على رأيهم، نذكر منها ما يأتي:

ذكر المفسرون في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَلِّتْ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]، أن الفاتح في لغة اليمن الماضي<sup>(٢)</sup>.

ويروى - كما سبق أن ذكرنا - أن أبا هريرة لقي النبي ﷺ، وقد وقعت من

(١) المزهر (١/٤١٣).

(٢) مميزات لغات العرب لحنفي ناصف (ص ٤٦).

يده السكين فقال له: "ناولني السكين" فالتفت أبو هريرة بمنة ويسرة ولم يفهم المراد بهذا اللفظ، فكرر له القول ثانية وثالثة - وهو يفعل ذلك - ثم قال أبو هريرة: ألمدية تريد؟ فقال له النبي ﷺ: "نعم" فقال أبو هريرة أوتسمى سكيناً عندكم، ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ<sup>(١)</sup>.

وكان من بين ما ساقه أنصار القائلين بالترادف قصة أخرى وهي أن رجلاً من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة خرج إلى ذي جدت من ملوك اليمن فاطلع على سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له: ثب يريد أعدد، فقال الرجل ليعلم الملك أني سامع مطيع ثم وثب من السطح فدقت عنقه فقال الملك: ما شأنه؟ فقالوا: أبيت اللعن إن الوثب في كلام نزار: الطمر، فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم، ثم قال: من دخل ظفار حمر<sup>(٢)</sup>.

وكان أيضاً فيما ساقوه من الأدلة الكتب والرسائل التي أرسلها النبي ﷺ إلى القبائل والملوك، فلقد كانت تحمل بعض الكلمات التي ليست مألوفة بينهم، وموطن الاستدلال أن هذه الكتب التي تحوي كلمات غريبة عليهم كان لتلك الكلمات ألفاظ مترادفة ومعروفة لديهم.

فمن تلك الكتب كتابه لوائل بن حجر أحد ملوك حمير "إلى الأقيال العباهلة والأرواح المشاييب... إلخ" فالأقيال: مترادفة مع الوزراء والأرواح: السادات، والمشاييب: الأذكياء.

فهذه الأدلة كلها متآزرة تدلنا على وجود الترادف في اللغة العربية، هذا إذا نظرنا إلى الجزيرة العربية على أنها بيئة واحدة وتمثل فيما بينها لغة مشتركة واحدة، وأن هذه الألفاظ المترادفة إنما أتت إلى اللغة المشتركة من لهجات متعددة.

(١) نفسه (ص ٤٥).

(٢) الزهر: (ص ٤١٣/١).

والقائلون بالترادف لاشك أنهم كانوا ينظرون تلك النظرة.

رأي المحدثين في الترادف:

يرى المحدثون أنه لكي نقول بوجود الترادف ونعترف به بين الألفاظ -لابد وأن تكون الكلمات التي توجد فيها هذه الظاهرة اللغوية في عصر واحد وفي زمن واحد؛ ولذا نرى أن بعض الكلمات المترادفة وإن كانت ترجع في الغالب إلى أزمان متفاوتة وقت نشأتها إلا أنها أصبحت تدل على شيء واحد، فمثلاً حين استعملت الألفاظ التي تدل على السيف مثلاً كالصارم والبتار والهندي واليماني... إلخ لم يكن الشاعر أي شاعر من شعراء العصر الإسلامي أو الأموي يقصد مثلاً من كلمة الهندي أي معنى آخر سوى السيف وكذلك اليماني... إلخ.

كذلك يرى المحدثون أنه لا بد من الاتحاد في البيئة اللغوية، بحيث تكون الكلمات المترادفة من لهجة واحدة أو مجموعة من اللهجات متحدة مع بعضها بحيث يكون المتكلم حراً في الاختيار بين الألفاظ المترادفة، فيختار لفظه حيناً ويختار لفظه أخرى حيناً آخر، دون حرج في هذا الاختيار.

وإذا طبقنا هذا الشرط على من قال بالترادف نرى أنهم اعتبروا أن اللهجات العربية وحدة متماسكة، وعدوا الجزيرة العربية بيئة واحدة، ولا خير في هذه النظرة فلقد كانت البيئة واحدة، ولا أدل على ذلك من الأسواق التي كانت تعقد في الجاهلية مثل عكاظ، وفي صدر الإسلام مثل ذي المجاز... وما إلى ذلك.

الشرط الثالث لدى المحدثين: أن تكون الكلمتان أو الكلمات المترادفة متفقة اتفاقاً تاماً في المعنى في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة، ويكتفي المحدثون بالفهم العادي لمتوسطي الأفراد حين ينظرون إلى تلك الكلمات.

الشرط الرابع: ألا يكون أحد اللفظيين المترادفين قد وُجد نتيجة تطور الألفاظ وما حدث لها.

ولكن ألا يعقل بعد أن تنوسي الأصل القديم أن يكون بين اللفظين ترادف بشرط ألا يكون معروفاً لدى الأفراد أن هذا اللفظ متطور عن لفظ آخر. تطبيق شروط المحدثين على اللغة العربية:

إذا نظرنا إلى اللغة العربية في ضوء الشروط التي وضعها المحدثون لوجود الترادف -نرى أنه لا يمكن الجزم بوجود المترادف بين اللهجات العربية القديمة؛ لأنه لا توجد لدينا معاجم لتلك اللهجات، بحيث تبين لنا ألفاظ هذه اللهجة أو تلك. أما إذا طبقنا هذه الشروط على اللغة الأدبية النموذجية والتي نزل بها القرآن الكريم -فنرى أنه يوجد الترادف في هذه اللغة، والظن الذي يغلب أن القائلين بالترادف كانوا يعنون ذلك، ولا أدل على هذا من ورود ألفاظ مترادفة في كتاب هذه الأمة ودستورها، وهو كتاب الله المنزل على رسوله ﷺ، ولا داعي للمغالاة التي يلجأ إليها بعض المفسرين حينما يلتمسون في كل لفظ شيئاً لا يجدونه في نظرائه من الألفاظ الأخرى.

تأمل الآيات الآتية والتي -لاشك- تدل على وجود الترادف في القرآن الكريم.

- ١- "تالله لقد آثرك الله علينا". "تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض".
- ٢- "حتى إذا حضر أحدهم الموت". "حتى إذا جاء أحدكم الموت".
- ٣- "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً". "فأرسلنا فيهم رسولاً".
- ٤- "البلد". "القرية".
- ٥- "وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين". "فإن الجحيم هي المأوى".
- ٦- "فلا تأس على القوم الكافرين". "ولا تحزن عليهم".
- ٧- "وأقسموا بالله جهد أيمانهم". "ثم جاءوك يخلفون".

وهذا قليل من كثير، وغيض من فيض من كتاب الله، الذي يحوي الكثير من هذا القبيل، وعلى هذا نقول بوجود الترادف في القرآن الكريم؛ لأنه نزل بلغة

قريش وهي اللغة الأدبية النموذجية المثالية، ويجري على أساليبها وطرق تعبيرها. فلا غضاضة حينئذ أن يستعمل القرآن الكريم الألفاظ الجديدة المقتبسة إلى جانب الألفاظ القرشية الأصلية والخاصة بما قديماً، فقريش كانت تستعمل أحد اللفظين، واكتسبت اللفظ الآخر من كثرة احتكاكها - في موسم الحج أو خلافه - بلهجة أخرى لها بيئتها اللغوية الخاصة بها والمستقلة في نفس الوقت. ولهذا نرى أنه لا مناص من التسليم بوجود الترادف، ولا مفر من الاعتراف بالفروق بين المترادفات، ولكن هذه الفروق - على ما يبدو لنا - قد تنوسيت فيما بعد، وأصبح من حق اللغة ضمها إليها وإضافتها إلى ثروتها اللفظية.

القلب:

وظاهرة القلب هذه ما هي إلا ضرب من الترادف، ولكن لما كان لها شيء واحد من الميزة عليه باتحاد الكلمتين في الحروف - كان من الأخرى أن يطلق على هذه الظاهرة اسم القلب.

وإذا نظرنا إلى الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة لوجدناه متعدد النواحي، فإنه يرجع إلى تقدم حرف من حروف الكلمة على غيره بالنظر لورود الكلمة على ترتيب آخر في هذه الحروف والمعنى واحد في الكلمتين كما في يئس وأيس، وجذب وجبذ.

كذلك قد يرجع إلى تقسيم بعض حروف المادة وتأخير الآخر على حين أن المعنى للكلمتين أو الكلمات ليس متفقاً، وإن كانت المعاني ترجع إلى معنى عام واحد، وهو ما يسمى بدوران المادة حول معنى واحد عند بعض علماء اللغة، كما في قولهم: جلا عن المكان. إذا ارتحل عنه، وجال فلان إذا دار فكل من المعنيين فيه معنى الحركة، فهما إذا رجعان إلى معنى عام واحد يجمعها، وهو الحركة.

وكذلك نجد أنه قد يرجع إلى تقديم بعض الجملة على بعض كما في قولهم:

عرضت الناقة على الحوض، والأصل: عرضت الحوض على الناقة، وكما في قولهم: أدخلت الخاتم في إصبعي، والأصل إدخال الإصبع في الخاتم<sup>(١)</sup>.

وقد يرجع أحياناً إلى تغيير حرف علة بحرف آخر من حروف العلة، كما في قال؛ فلقد قلبت الواو بعد أن تحركت وفتح ما قبلها -ألفاً.

والذي يعيننا من هذه الأنواع كلها -هنا- ما كان مظهرًا من مظاهر اختلاف اللهجات، وهو الأول وهو تقلب بعض حروف الكلمة على بعض، مع الاتحاد التام في المعنى، وهذا النوع هو بعض ما يطلق عليه علماء اللغة مصطلح "القلب المكاني".

وهو كثير في اللغة ويوجد في الأسماء والأفعال على السواء، وإليك بعض الأمثلة التي توضح هذا لديك:

١- الثلاثي المجرد: لبك الشيء وبلكه: إذا خلطه، وعاث في الأرض وعشى.

٢- مزيد الثلاثي: أحجمت على الأمر وأجمحت.

٣- الرباعي: كبكب الشيء، وبكبكه إذا طرحه، وطرشم الليل وطرمش إذا أظلم.

٤- مزيد الرباعي: اضمحل وامضحل.

آراء العلماء في القلب:

لم تتفق كلمة العلماء في ظاهرة القلب، بل اختلفوا فقال بعضهم إن هذه الظاهرة من باب القلب المكاني وليست نتيجة اختلاف اللهجات. بمعنى أن الأصل والمقلوب حدث عند قبيلة واحدة، أو عند العرب جميعاً أي أن القبيلة الواحدة أو العرب جميعاً تتكلم بالأصل والمقلوب معاً، وليست إحدى الصورتين لقبيلة والصورة الأخرى لقبيلة ثانية، ولكن إلى من ينسب هذا الرأي؟

يعزى هذا الرأي إلى علماء اللغة ونحاة الكوفة، فقد ذكر ابن دريد أن

(١) الزهر للسيوطي: (٤١٣/١).

علماء اللغة بصدد هذا النوع من الكلام مُجمعون على أنه قلب وليس بلغات<sup>(١)</sup> (لهجات) وكذلك يذكر النحاس في شرحه على المعلقة بصدد الكلام على هذا النوع، "وأهل اللغة يقولون: إن ذلك كله مقلوب"، بعد أن ذكر أن بعض النحويين يرى أن بعضه من قبيل اختلاف اللهجات.

وأما نحاة البصرة فيفصلون فالذي يكون من باب القلب عندهم ما تعسر فيه جعل اللفظين أصليين، وأما إذا كان اللفظان أصليين فهما من باب اختلاف اللهجات، بمعنى أن أحد اللفظين لقبيلة والثاني لقبيلة ثانية.

وبنوا الأصالة والفرعية على أحد أمرين:

الأول: أن يكون اللفظ قاصراً عن تصرف أخيه كما في آن وأنى، فإنهم يقولون: إن "آن" مقلوب "أنى"؛ لأنه قد وجد مصدر أنى، ولم يوجد مصدر آن، وكقولهم فلان شاكى السلاح وشائكك، فإنهم يقولون: إن شاكى مقلوب عن شائك؛ إذ أصله شاوك؛ لأنه من الشوكة أصل الاشتقاق، ويقولون بأن الواو مقدمة على الكاف.

وكذلك قولهم: امضحل واضمحل، فإن الأصل اضمحل؛ لأن المصدر الذي سمع الاضمحلال، وامضحل مقلوب عنه.

الأمر الثاني: أن يكون أحد اللفظين أوسع وأكثر استعمالاً من أخيه مثل: آرام وأرآم، فإن أرآم أوسع وأكثر استعمالاً من آرام؛ لذا كانت آرام مقلوب عن أرآم.

وأما إذا تساوى اللفظان في الاستعمال وفي التصريف فهما من لهجتين مختلفتين، ومما سبق يظهر لنا أن كلمات هذه الظاهرة اللغوية المعروفة بالقلب تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما لم تتساو في الكلمتان تصرفاً واستعمالاً، والآخر ما تساوى فيه

(١) المرمر (١/٤٧٦).

تصرفاً واستعمالاً.

فالأول لا خلاف فيه بين العلماء، فهو من باب القلب بمعنى أن أحد اللفظين أصل والآخر مقلوب عنه، وهو منطوق قبيلة واحدة أو العرب جميعاً، ولا دخل للهجات فيه.

وأما القسم الثاني: فعلماء اللغة ونحاة الكوفة يرونه أيضاً مثل القسم الأول، وأما نحاة البصرة فيقولون: إنه من اختلاف اللهجات، بمعنى أن أحد اللفظين لقبيلة من القبائل والثاني لقبيلة أخرى.

وإذا أنعمنا النظر في رأي اللغويين ونحاة الكوفة، وكذلك نحاة البصرة في القسم الأول - نجد أن ما ذكروا من أنه مقلوب إنما يعتمدون فيه على أنه مقول قبيلة واحدة، وقد استمرت عليه، أو من مقول العرب جميعاً، وليس من باب اختلاف اللهجات.

غير أننا نجد أن كثيراً من الألفاظ هذه والتي يزعمون أنها من باب القلب وليست من اختلاف اللهجات يقول صاحب اللسان: (١) "والمكرفه لغة في المكفهر أو مقلوب عنه" وهذه الكلمة سبق لهم أن قالوا فيها إنها مقلوب عن المكفهر؛ لقصور تصرفها، فهذا رجوع منهم في هذه الكلمة.

وأيضاً قيل إن امضحل مقلوب اضمحل، وعللوا ذلك بعدم وجود تصاريف اضمحل، ومعنى ذلك أن هاتين الكلمتين لقبيلة واحدة، وليستا من باب

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (ك ر ه ف)

اختلاف اللهجات.

وليس الأمر كذلك فامضحل لهجة بني كلاب واضمحل لغة جمهور العرب، قال ابن منظور: "وفي لغة الكلابيين امضحل بتقلب الميم، وقد حكى أبو زيد هذه اللغة"<sup>(١)</sup>.

وأما الرد على البصريين فنقول بأنه لا يلزم إذا كانت إحدى الكلمتين أكثر تصرفاً وأوسع استعمالاً - أن تكون أصلاً لأختها؛ لاحتمال أن تكون تصاريف الكلمة موجودة في شبه الجزيرة العربية ولم يصل إليها الرواة، أو كانت الكلمة تتصرف في بادئ الأمر تصرفاً كاملاً فلما احتكت القبائل بعضها ببعض وأخذ كلٌّ من كلِّ صارت لهجاتهم كوحدة واحدة يتعاورها كل منهم الكلمة واستعملت إحدى القبيلتين تصرفات كلمة القبيلة الأخرى بدل تصرفات الكلمة التي في لغتها، فماتت بذلك التصرفات التي كانت لها، والاستغناء من عادة العرب فلقد قالوا: إن حسب بكسر السين في الماضي والمضارع في لهجة قریش لم تكن كذلك في لهجتهم أولاً بل كانت بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع، فأخذوا يَحْسِبُ بكسر السين من لهجة قوم يفتحون السين في الماضي ويكسرونها في المضارع، وتركوا مضارع محتهم.

من هنا: يتبين لنا من عرضنا السابق أن علماء اللغة ونحاة الكوفة قد حادوا عن جادة الصواب في هذه الظاهرة، وكذلك نحاة البصرة في بعض ما قالوا.

والحق أن ظاهرة القلب هذه من اختلاف اللهجات العربية.

(١) لسان العرب.

## الفصل الرابع: لهجة بني أسد واللهجة المصرية

الأهداف التعليمية للفصل الرابع:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعرف أن أسدًا اسم يطلق على عدد من القبائل العربية المنتشرة في أنحاء متفرقة من شبه الجزيرة العربية.
- ٢- تفهم طبيعة هذه القبيلة، وتعرف ما تتفق فيه وتختلف مع القبائل العربية الأخرى.
- ٣- تعرف خصائصها الصوتية المتعلقة بالسواكن والحروف.
- ٤- تذكر الأمثلة والشواهد المثلة لهذه الخصائص الصوتية على مستوى الصوامت (الحروف) والصوائت (الحركات).
- ٥- تقف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين لهجة بني أسد واللهجات الأخرى.
- ٦- تقرّر أن الظواهر اللهجية لا تعرف الاطراد.
- ٧- تقف على بقايا هذه اللهجة في لهجاتنا العربية الحديثة والمعاصرة.
- ٨- تفهم المراد من اللهجة المصرية.
- ٩- تحدد الخصائص الصوتية للهجة المصرية، وتقف على علاقتها بالفصحى.
- ١٠- تحدد ما بين هذه الخصائص للهجة المصرية واللهجات العربية من أوجه اتفاق واختلاف، وتعلل لذلك كله.
- ١١- تقارن بين اللهجة القاهرية وبعض اللهجات المصرية الأخرى للوقوف على ما بينهما من أوجه الاتفاق والاختلاف، وعلاقة كل منهما بالفصحى ولهجاتها العربية المختلفة.
- ١٢- تحيط بالطريقة المثلى لدراسة اللهجة دراسة علمية.

## الفصل الرابع: لهجة بني أسد

تمهيد:

أسد هو اسم يطلق على عدد من القبائل العربية، وهي:

١- أسد بن عبد العزى بن قصي من قريش.

٢- وأسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر.

٣- وأسد بن ربيعة بن نزار.

٤- وأسد بن دودان.

٥- وفي الأزدي بطن يقال لهم بنو أسد، وهم أسد شريك بن مالك بن عمرو بن مالك

بن نهم، لهم خطة بالبصرة يقال لها: خطة بني أسد وليست بالبصرة خطة لبني أسد بن خزيمه.

والذي يعنينا من هؤلاء جميعاً القبيلة الثانية، وهي قبيلة أسد بن خزيمه وهي

قبيلة عظيمة من العدنانية ذات بطون كثيرة منها: بنو غنم بن دودان بن أسد وبنو

الصيداء بن عمرو بن قعين، وبنو فقعس بن طريق بن عمر بن قعيس، وبنو دبير

بن مالك بن عمر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه،

و(دبير) بطن كبير من بني أسد، وهو لقب كعب بن عمرو بن قعين، وفقعس

ودبير من فصحاء بني أسد، وبني مالك بن ثعلبة بن داودان بن أسد بن خزيمه.

وبنو أسد يقال لهم القيون أي: الحدادون؛ لأنهم أول من عمل الحديد

بالبادية؛ لأن منهم الهالك بن أسد بن خزيمه، وهو أول حداد في البادية.

منازل بني أسد:

كان موطنهم فيما يلي الكوخ، وهو سوق ببغداد من أرض نجد، وهي تجاور

منازل طيء حينما خرجوا من اليمن غلبوا بني أسد على أجدأ وسلمى، ثم تجاوروا

بعد أن اصطلحوا، ثم تفرقوا في بلاد نجد وذلك بعد الإسلام، ونعني بها قبيلة طيء.

وتعد قبيلة أسد بن خزيمه من القبائل الحربية التي سجل لها التاريخ كثيراً من الحروب والغزوات قبل الإسلام وبعده، فقد حاربوا في الجاهلية طيماً وعامر بن صعصعة وجستم بن معاوية وعبس، وذيان، وفي الإسلام قاتلوا مع سعد بن أبي وقاص في العراق في موقعة القادسية أمام الفرس في السنة الرابعة عشرة للهجرة النبوية، ولبنى أسد مواقع لها قيمتها مع الأتراك، وبعد انقراض نفوذهم أقاموا على شاطئ نهر الفرات، ويعرف عنهم -إلى جانب الشجاعة والإقدام- الكرم والجود. وقبيلة أسد من القبائل الست التي نُقلت عنهم اللغة كما عرفت سابقاً من النص الذي نقل عن السيوطي، والذي نقله عن أبي نصر الفارابي في كتابه المسمى بالألفاظ والحروف؛ حيث يقول: "والذين نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعندهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، تميم، أسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذوا ومعظمه، وعليهم أتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف: هنبل وبعض بني كنانة، وبعض الطائين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر القبائل. وسوف نتناول -بإيجاز- خصائص لهجة بني أسد؛ حتى تكون على بينة من أمر هذه اللهجة:

الخصائص الصوتية:

أولاً: الأصوات الساكنة:

قلب الهمزة عيناً: وهي المعروفة بالنعنة، وقد مرت بك أثناء معالجتنا لها، فارجع إليها إن شئت يقول الفراء: تميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون ألف "أن" إذا كانت مفتوحة عيناً، يقولون: أشهد عنك وشواهدا مرت بك. قلب الثاء راء: يقولون: كرتاً شعر الرجل بمعنى كثر والتف وأصلها كئاً على وزن فَعَل، وهذه الظاهرة طريق لتكون الرباعي في العربية قالوا عند بني أسد فعلل. قلب الجيم خاء: الأصلج معناه الأصم عند بني أسد، يقولون: الأصلج بالخاء بدل الجيم.

قلب الخاء كافاً: الملتخ اليابس من السكر عندهم الملتك بإبدال الخاء كافاً.

قلب الدال تاء: يقولون في الدفتر: التفتتر.

قلب الدال ذالاً: يقولون في مذكر: مذكر.

قلب السين زائياً: في لهجة هذه القبيلة يقلبون السين زائياً خالصة، الزقر في الصقر.

قلب الفاء ثاء: يقلبون الفاء ثاء يقولون في الثدع: الفون.

قلب الكاف شيناً: وهي إبدال كاف المؤنثة شيناً، وهي الكشكشة، وقد مرت بك.

قلب الكاف قافاً: يقولون في كشط: قشط.

ويقلبون كذلك اللام نوئاً والميم باء والميم نوئاً.

وبنو دبير من قبيلة أسد يقلبون الباء الخفيفة جيماً، وتسمى هذه الظاهرة

العججعة، كما عرفت سابقاً، ويقلب بنو أسد الياء واواً، فيقولون في عزيته إلى

أبيه: عزوته إلى أبيه.

مما سبق يظهر لنا أن هذه القبيلة لا تسير على وتيرة واحدة في لهجتها في

بعض الصفات اللهجية، فهي تتردد بين الأصوات المحجورة التي تناسب البيئة

البدوية، والمهموسة التي تناسب البيئة الحضرية، وسبب هذا التردد أن بيئة هذه

القبيلة متسعة، ومن هنا كان الناطقون من هذه القبيلة الذين يجاورون الحضر

يلهجون بما يوائم الحضر والذين يتوغلون في البادية يلهجون بما يوائم البادية من

الصفات اللهجية، ومن هنا يظهر لنا تردهم بين الشدة والرخاوة، فالذين يغلب

عليهم البادية يناسبهم ما لهجوا به من الأصوات الشديدة والذين نسب إليهم من

الرخاوة يناسب ما هم فيه أيضاً.

ولا يغيب عن القارئ ما نسب إليهم من قلب الياء واواً في عزيته إلى

عزوته؛ فهذا يناسب البيئة الحضرية؛ لأن الواو فيها حشونة عن الياء التي فيها رقة.

ومن هنا يظهر لنا جلياً من النصوص في ظاهرة تحقق الهمزة وتسهيلها: أن

قبيلة بني أسد تحقق الهمزة شأهما في ذلك شأن البيئة البدوية تميم ومن والاهما. وقد أخذتها اللغة الفصحى من هذه القبيلة ومن غيرها من القبائل البدوية.

ثانياً: الأصوات الصائتة:

بين الفتح والكسر:

- ١- كسر أحرف المضارعة، ويعرف بالثلاثة بين الفتح والكسر، وتشارك هذه القبيلة مع غيرها من القبائل البدوية الأخرى، وخاصة بهراء من تميم.
- ٢- كسر الواو في الوتر.

٣- مضارع يسر يسر، وعند بني أسد يكسرون ياء المضارع، فيقولون: يسر.

٤- هيهات اسم فعل ماض، قال تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]،

قرا الجمهور بفتح التاء في الكلمتين، وهي لغة الحجاز، وقرا أبو جعفر وشيبة بكسر التاء فيها من غير تنوين، وهي لغة تميم وأسد.

٥- الأربعاء بكسر الباء وفتحها قال الجوهري: وحكي عن بعض بني أسد فتح الباء في هذه الكلمة.

ويكفينا هذه الأمثلة في الفتح والكسر، ومن هذه الأمثلة يظهر لنا أن قبيلة بني أسد يناسبها الكسر، والفتح يناسب البيئات الحضرية، وفي المثال الخامس لجأت بنو أسد إلى الفتح، مما يدل على أن اللهجات لا تعرف الاطراد الدائم الذي لا يتخلف. بين الكسر والضم:

القضاء: زعم أبو علي أن بعض بني أسد يقولون: قضاء بضم أوله، وقرا الجمهور "مرية" بكسر الميم وهي لغة أهل الحجاز، وقرا السلمي وأبو رجاء وأبو الخطاب والحسن بضم الميم، وهي لغة أسد وتميم.

والضم - لما فيه من الخشونة - يناسب البيئة البدوية، وهي بيئة بني أسد والكسر - لما فيه من الرقة - يناسب البيئة الحضرية.

الفعل الثلاثي الماضي الأجوف المبني للمجهول:

في هذا الفعل ثلاث لغات:

١- إخلاص ضم أوله: قول بوع لغة بني دبير وبني فقعس، وهما من فصحاء بني أسد، وتنسب أيضاً إلى هذيل قال رؤبة:  
ليت وهل ينفع شيئاً ليت ليت شاباً بوع فاشترت

٢- إخلاص كسر أوله قيل يع، وينسب إلى أهل الحجاز عدا هذيل، كما سبق.

٣- الإشمام: أي إشمام الكسر الضم وينسب إلى كثير من بني أسد وكثير من قيس، وكل يناسب لما نسب إليه، فإخلاص الضم يناسب البيئة البدوية والكسر يناسب البيئة الحضرية؛ لما فيه من الرقة، والإمالة تناسب البيئة البدوية؛ لما فيها من الاقتصاد في المجهود العضلي، ما عدا الذي نسب إلى هذيل؛ لأن بيئتها بيئة حضرية، وقد مر بك هذا الموضوع، فاعرف ذلك.  
خصائص بنوية:

١- هو وهي، جميع العرب تخفف الواو والياء مفتوحين فيهما، وهمدان تشدد الياء فيها، وقيس تجعل الواو والياء ساكنة. جاء في لسان العرب: قال أبو الهيثم: بنو أسد تسكن هو وهي.

٢- أسماء الإشارة: أولاً بالمد عند الحجازيين، وبالقصر عند أهل نجد، الإتيان باللام بعد اسم الإشارة:

بنو أسد وقيس وربيعة يأتون بلام البعد بعد اسم الإشارة الذي يكون للمفرد، والجمع حال القصر، قال شاعرهم:

أولالك قومي لم يكونوا أشابه وهل يعظ الضليل إلا أولالك

وذلك إذا لم يدخل عليه هاء التنبيه، وبنو تميم لا يأتون باللام مطلقاً.

## صيغة فعل وأفعال:

يذكر ابن منظور في لسانه أن لهجة أسد: أعصفت الريح وغيرهم عصفت.  
خصائص نحوية:

- ١- بنو أسد يفتحون نون المثني بعد الياء، وهي لغة حكاها الفراء.
  - ٢- وبنو أسد يصرفون ما لا ينصرف فيما علة منعه الوصفية وزيادة الألف والنون فيقولون: لست بسكران.
  - ٣- الحذف في المنادى فهم يقولون: يا فل للواحد والاثنين والجمع والمؤنث، وغيرهم يثني ويجمع ويؤنث<sup>(١)</sup>.
- وهناك خصائص أخرى مرت عليك فيما سبق فلا داعي لذكرها هنا  
ويكفي هذه العجالة في لغة بني أسد.  
اللهجة المصرية:

نعني هنا باللهجة المصرية لغة الكلام وأحاديث الناس في شئوهم العامة وأداة التخاطب بينهم، فالتاس في أسواقهم ومعاملاتهم وأغانيتهم وبين المرء وأهله، وفي الحديث إلى أطفالهم وأجيالهم الناشئة فقد اتخذت اللهجة المصرية صوراً خاصة مكونة من عناصر مختلفة تتفق مع الفصحى حيناً وتختلف عنها أحياناً، وليست اللهجة المصرية موحدة بل تشمل العديد من اللهجات، فهذه اللهجة الصعيدية وتلك البحراوية، وعلى رأس الجميع اللهجة القاهرية، والتي سنحاول في هذه العجالة أن نذكر طرفاً من خصائصها باعتبارها اللهجة النموذجية للهجات المصرية الحديثة، والتي احتفظت بعناصر من الفصحى إلى جانب صفات حديثة خاصة بما نمت واستقلت مع الزمن، مما أدى إلى بعض التطور من ناحية الأصوات وصفاتها ومعاني الكلمات والتراكيب وتكوين الجمل.

أولاً: من ناحية الأصوات وصفاتها:

- ١- تحول الأصوات المطبقة إلى الأصوات المستقلة في كثير من الأحيان؛ إذ نجد

(١) في لسان العرب (فلل).

أن الصاد تصير سينًا، والضاد دالًا، والطاء تاء، والطاء زايًا مفحمة مثل سقر في صقر وسراط في صراط، ولسق في لصق، ومثال تحول الضاد دالًا: مدغ الطعام في مضغ.  
 ٢- تحولت في معظم اللهجات المصرية بعض الأصوات العربية وهي التاء والذال والطاء والقاف.

فلقد تحولت التاء إلى التاء غالبًا، مثل: التلات، وقلبت إلى السين مثل سابت في ثابت، وتحولت نادرًا إلى الدال مثل: ألدغ فأصلها ألثغ والتي تحولت إلى ألثغ ثم إلى ألدغ فمنها تطورت كما رأينا التاء إلى تاء ثم تحولت التاء إلى دال، وأما صوت الذال فقد تحول إلى زاي وأحيانًا إلى دال.

وأما صوت القاف فقد تحولت في لهجة القاهرة إلى همزة، وكذلك في عواصم المحافظات الأخرى، وخاصة الوجه البحري، وهذا النطق له أصوات قديمة على ما قرر أنوليتمان في بحثه من بقايا اللهجات العربية<sup>(١)</sup>.

وتحول صوت القاف في الريف المصري إلى نطق الجيم القاهرية.

٣- تحول كثير من الأصوات المجهورة إلى الأصوات المهموسة، مثل نكش والتي أصلها نجش، والتي أصلها من نجش الصيد بمعنى استثاره، فلقد تحولت الجيم المجهورة إلى الكاف المهموسة.

ثانيًا: من ناحية المعنى:

ولقد تطورت معاني الكلمات في اللهجات المصرية نتيجة عوامل مختلفة، ولسنا بصدد الكشف عن هذه العوامل وبيان فعلها، ولكن يكفي أن نقول بأن المجاز قد لعب دورًا هامًا في تطور المعاني لبعض الكلمات في اللهجات الحديثة مثل: "سفرة" والتي كانت تعني طعام المسافر، فأصبحت مرادفة للخوان، ومثل "الهمج" والتي كانت تعني البعوض وأصبحت تطلق على الفوضويين من الناس.  
 ومثل "جيب القميص" أي: فتحة القميص، فأصبحت مرادفة للكلمة العامية "السيالة".

(١) بقايا اللهجات العربية القديمة مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٤٨ (ص ١-٢).

ثالثاً: من ناحية التراكيب والجملة:

- ١- الجملة الخبرية يغلب عليها الجمل الاسمية مثل: النهار طلع، الشمس طلعت، البلح طاب، التفاح ظهر، ولكن دون مراعاة لظاهرة الإعراب.
- ٢- الاستفهام في اللهجات المصرية الحديثة لا يعتمد على أداة معينة دائماً، بل يعتمد على التنغيم فيفرق بين الاستفهام والأخبار بنغمة مصاحبة للنطق بمراعاتها يفهم السامع المراد من الجملة: أَخْبَرِيَّ هِي أَمْ إِنْشَائِيَّة.
- ٣- النفي في اللهجات المصرية الحديثة يتم على الوجه الآتي:  
أ- في الجملة الخبرية:

تنفي الضمائر بسبق "ما" واتصال اللاحق "ش" بآخرها مثل: أنا، نقول: مانش، وأنت مانتش وهو ما هوش.

أما الأسماء غير الضمائر فتقع الجملة بعد الأداء "مش" نقول: مش جاي ويتم نفي الفعل بوقوعه بعد "ما" واتصال اللاحقة "ش" في آخره إذا لم يكن متصلاً بتاء المتكلم أو المخاطب... إلخ، فإذا كان متصلاً بتاء المتكلم أو تاء المخاطب أو كاف المخاطب كان النفي كالآتي:

أكلت نفيها ما أكلتش، ضربك ماضربكش.

أما المضارع فيكون نفيه هكذا حياكل نفيه ما حياكلش.

ب- في الجملة الاستفهامية:

عرفنا أن الاستفهام يعتمد على التنغيم، ويكون النفي مع النغمة، هكذا: أنت ماكلتش؟ فهذه الجملة الاستفهامية بعد الاستفهام المنفي.

ج- جملة القسم:

يكون نفي القسم "بما" وحدها ففي نفي جملة الخبر تقول: أنا ماكلتش، وفي القسم تقول: والله أنا ماكلت.

وغير ذلك كثير من الظواهر اللغوية التي توجد في اللهجة المصرية المعاصرة، والتي ترجع إلى عوامل كثيرة ومتشابهة أدت إلى هذه التطور والتغير، وقد وقعت على عناصر اختلاف النطق في العالم العربي ووسائل توحيد في اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم.

## خلاصة الوحدة الثانية

تعد دراسة القبائل العربية دراسة موضوعية المدخل الأصيل لدراسة لهجية صحيحة. العرب منهم العرب البائدة، ومنهم العرب الباقية والعرب الباقية تنقسم إلى قسمين اثنين: القحطانية والعدنانية.

تمثل العربية العدنانية أو المضرية في لغة الشمال والحجاز ونجد وما إليهما، وتمثل الحميرية والقحطانية في لغة أهل اليمن.

المراد من العربية الباقية لغة الأدب والكتابة، وهي اللغة التي انتشرت ببلاد نجد والحجاز وفي كثير من المناطق التي كانت تشغلها من قبل أخواتها السامية والحامية.

طفولة العربية الباقية طفولة مجهولة؛ حيث إنه لم يعثر في مواطنها الأولى بنجد والحجاز على آثار منقوشة أو مكتوبة تفصح عن طورها الأول، وما كانت عليه.

تؤكد دراسات المستشرقين للساميات أن العربية الباقية، والمثلة في الأدب الجاهلي شعره ونثره، والقرآن الكريم قد احتفظت بعناصر لغوية قديمة ترجع إلى السامية الأولى أكثر من أخواتها الساميات الأخرى.

إن الوحدة اللغوية التي صادفها الإسلام حين ظهوره، وقواها القرآن الكريم إثر نزوله لا تنفي ظاهرة تعدد اللهجات عملياً قبل الإسلام، وبقائها بعده.

اللغة ظاهرة اجتماعية يصيبها ما يصيب الظاهرة الاجتماعية، فتصح وتمرض، وتضعف وتقوى، وتشيب وتهرم.

يؤكد واقع اللغات مصارعة بعضها لبعض، وانتصار أقواها وغلبته وقهره. صارت اللهجات العربية بعضها بعضاً، وسادت المهجة القرشية على ما عداها من شقيقاتها العربيات.

لم تكن المعالجة اللهجية واحدة في جميع العصور؛ بل اختلفت النظرة إليها

باختلاف العصور والعوامل الاجتماعية والسياسية.

إن للعربية لهجاتها المختلفة، ولهذا أدلته القوية التي تقطع بصدقه وسلامته وقوته، وقد حفلت بهذا كلة كتب اللغة والأدب والتاريخ.

للهجات العربية مصادرها الأصلية ممثلة في القراءات القرآنية الصحيحة السند والمنقولة إلينا نقلاً متواتراً عن أئمة القراءات القرآنية، وفيما نقله الثقة من الأئمة في كتب اللغة والنحو والأدب والتاريخ من آثار تلك اللهجات وصفاتها وخصائصها.

للاختلاف بين اللهجات مظاهره المختلفة المتعلقة بعناصر اللغة المختلفة، صوتاً وبنية ودلالة وتركيباً.

للإمالة أضرب مختلفات منها إمالة الكسرة نحو الضمة، وهي صورة تتصف بالصعوبة، وفيها ثقل على مؤديها.

من صور الاختلاف الصوتي بين اللهجات العربية ظاهرتا الفك والإدغام، والفك يسمى الإظهار وهو نطق جميع أصوات الكلمة نطقاً تاماً غير منقوص، والإدغام هو اللفظ بحرفين حرفاً كالثاني مشدداً.

من مظاهر الاختلاف الصوتي بين لهجات العرب الإبدال وله صورتان: إبدال صرفي، وإبدال لغوي.

الفحفة هي: قلب حاء "حتى" عيناً، وللعلماء في تعريفها تعريفات أخرى، وقد عزاها اللغويون إلى هذيل.

الكشكشة هي: إبدال كاف المؤنثة شيئاً في لهجة ربيعة ومضر وميم وأسد في أثناء الوقف، وقيل في أثناء الوصل أيضاً.

الكسكسة هي: قلب الكاف في المذكر شيئاً؛ للفرق بين المذكر والمؤنث، وقيل: قلب الكاف في المؤنث شيئاً للفرق، وقيل: إنها زيادة سين مهملة بعد الكاف.

الشنينة هي: قلب الكاف مطلقاً شيئاً، ونسبها اللغويون في مؤلفاتهم إلى أهل اليمن، ويرى بعض الباحثين المعاصرين نسبتها إلى القبائل البدوية اليمنية.

الطمطمانية هي: إبدال لام التعريف ميماً في لهجة حمير وتعزى للهجة حمير اليمنية، ولها بعض الشواهد المنشورة في كتب اللغة والنحو والأدب.

العجعة هي: إبدال الجيم من الياء المشددة، ومعنى آخر إبدال الياء المشددة جيماً، وتسبب هذه الظاهرة إلى قضاة وفقه دارم من تميم.

الاستنطاء هو: إبدال العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء، وتعزى هذه الظاهرة إلى هذيل وسعد بن بكر والأزد وقيس والأنصار.

الوهم هو: كسر هاء الغيبة المتلوة بالميم دون قيد أو شرط عند ربيعة، وهذا خلاف المشهور فيها؛ حيث إن المشهور فيها بناؤها على الضم ما لم يقع قبلها ياء ولا كسرة، ولهذا الأمثلة شواهدا وأمثلةا.

ومن مظاهر اختلاف اللهجات اختلافها في الإعراب والبناء، وقد حفلت كتب اللغويين والنحاة بما يمثل هذه الظاهرة.

ومن مظاهر اختلاف اللهجات العربية اختلافها في الزيادة والنقصان، ومما يمثل هذه الظاهرة التي حفلت بها كتب اللغة: اختلاف القبائل العربية في "اللدن، اللتين".

ومن مظاهر اختلاف اللهجات اختلافها في "هيئة الطق" ويتمثل ذلك في الشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والإمالة والفتح، والوصل والقطع، وتختلف القبائل البدوية والحضرية في هذه الظواهر.

ومن مظاهر اختلاف اللهجات العربية وقوع اللفظ الواحد لمعان مختلفة، ويتمثل ذلك في: المشترك اللفظي، والتضاد.

ومما يؤكد اختلاف اللهجات العربية فيما بينها ظاهرة الترادف وهو: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد".

القلب ظاهرة لغوية درسها الصرفي واللغوي، ولكل منهما دراسته ورؤاه، وللقلب صورته المختلفة وصلته بالترادف اللغوي، وللعلماء في نشوئه آراء مختلفات تتفاوت قوة وضعفاً.

لبنى أسد منازلهم وديارهم ونسبهم ولهجتهم التي تتميز مما سواها، ولبنى أسد تاريخهم الحربي، ومكانتهم اللغوية فهي إحدى القبائل التي أخذت عنها اللغة، واحتج العلماء واللغويون بلغتها ولهجاتها، ولهجة بني أسد خصائصها المختلفة، المتعلقة بالصوت والبنية والدلالة والتركيب.

للّهجة القاهرية خصائصها التركيبية "النحوية" منها: الجملة الخبرية بما يغلب عليها الجمل الاسمية دون مراعاة لظاهرة الإعراب، والجملة الاستفهامية بما لا تعتمد على أداة استفهام بعينها، فدائماً ما تعتمد على التنغيم ولها نظام معين في نفي جملها المختلفة.

## اختبار الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخطأ في كل مما يأتي:

١- تعددت اللهجات العربية بتعدد القبائل.

٢- بين لغة حمير ولغة عدنان خلاف قوي.

٣- اتفاق الحميرية والعدنانية في حذف لام الفعل الناقص عند إساده إلى واو الجماعة.

٤- تعد اللهجة القرشية أوسع اللهجات العربية ثروة وأغزرها مادة.

٥- أبو عمرو بن العلاء ممن احتج باشعر الإسلامي.

٦- ممن أخذت اللغة عنهم كنانة والطائيون.

٧- الاختلاف بين اللهجات العربية متعدد النواحي مختلف الجهات.

٨- تتناسب الإمالة وبيئتها التي ذاعت فيها وشاعت، كما يتناسب الفتح وبيئته

التي شاع فيها وذاع.

٩- القبائل التي تميل إلى السرعة في النطق، والخفة في اللفظ هي القبائل المدغمة،

والتي تجنح إلى الإظهار والتؤدة والتأني والوضوح هي القبائل المظهرة.

١٠- الإبدال عند اللغويين هو إبدال حرف من حرف أو حركة من حركة.

١١- الإبدال غير المطرد، هو الإبدال غير الواجب، ويتنوع بتنوع القبائل المختلفة.

١٢- تكسر بعض القبائل العربية حروف المضارعة، وتسمى هذه الظاهرة لدى

القدماء بالتلتلة، وتعزى إلى بهراء، وهي بطن من تميم.

١٣- تعزى العننة إلى تميم وأسد وقيس ومن جاورهم، فهي ظاهرة بدوية يميل

بنوها إلى الجهر بالأصوات لتتضح في السمع.

١٤- تنسب الشنشنة للحجازيين.

١٥- الوتم هو إبدال التاء من السين.

- ١٦- تنسب العجمجة إلى الحجازيين.
- ١٧- عامة العرب يجرون الاسم الواقع بعد "لعل"، بينما تنصب بما عقيل الاسم الذي بعدها.
- ١٨- الوكم هو كسر كاف الخطاب المتلوة بالميم.
- ١٩- "مع" مبنية على السكون عند عامة العرب، بينما هي مبنية على الفتح عند ربيعة.
- ٢٠- يقول عامة العرب نطقاً لقول الرسول الكريم ﷺ: أو مخرجي هم" بكسر الياء، بينما يفتحها بنو يربوع.
- ٢١- تشبه اللهجة المصرية الحديثة هذه اللهجة المنسوبة إلى همدان مع خلاف يسير بينهما.
- ٢٢- "الذين" تعربها طيبي وعقيل وهذيل، وتبنيها عامة العرب.
- ٢٣- الذائع المشهور في الفعل المسند إلى اسم ظاهر تجريده من علامة التثنية والجمع، ويكون بصيغة واحدة، لكن لهجة طيبي وأزد شنوءه وبالخارث بن كعب تطابق بين الفعل وفاعله.
- ٢٤- الترخيم يشبه القطعة في شيء ويخالفها في أشياء أخرى.
- ٢٥- الترقيق هو جعل جسم الحرف سميئاً فيمتلئ الفم بصداه بينما التفخيم هو: جعل جسم الحرف نحيلاً فلا يمتلئ الفم بصداه.
- ٢٦- تنسب الفحفحة إلى قبيلة ربيعة.
- ٢٧- يقع المشترك في جميع أضرب الكلمة.
- ٢٨- قال بعض العلماء بوقوع المشترك وإثباته وكثرة وروده في اللغة، وعلى رأسهم ابن درستويه.
- ٢٩- إن القول بكثرة المشترك ادعاء غير سديد، وذلك لإمكان تأويل بعض أمثله على وجه يخرجها من الاشتراك.

- ٣٠- يعد السبب الرئيسي لنشوء المشترك: اختلاف لهجات القبائل العربية نظراً لاختلاف بيئاتها، وتغير أحوالها وتباين طباعها.
- ٣١- اتفقت كلمة العلماء على القول بالتضاد.
- ٣٢- أجمع العلماء على القول بالترادف في العربية.
- ٣٣- ممن أنكر الترادف ابن خالويه ومؤيده الفيروزآبادي.
- ٣٤- اعتمد القائلون بالترادف على المسموع من العرب.
- ٣٥- لعلماء اللغة المحدثين شروطهم في القول بالترادف.
- ٣٦- ليس لظاهرة القلب علاقة بالترادف اللغوي.
- ٣٧- للقلب صور مختلفات.
- ٣٨- شاع عن بني أسد قلب الجيم الخفيفة ياءً.
- ٣٩- تمثل اللهجة القاهرية اللهجات المصرية الحديثة.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:
- ١- تعددت اللهجات العربية بتعدد:
- أ- الأماكن. ب- القبائل. ج- الوافدين.
- ٢- العدنانيون العرب منازلهم الأولى تقع في:
- أ- الحجاز. ب- اليمن. ج- حضرموت.
- ٣- لم تظهر أداة التعريف "آل" في اللغة:
- أ- العدنانية. ب- الحميرية. ج- القحطانية.
- ٤- حديث النبي ﷺ "ليس من امر امصيام في مسفر" يرجع إلى اللغة:
- أ- العدنانية. ب- الحميرية. ج- القحطانية.
- ٥- سادت لهجة قريش اللهجات العربية الأخرى بسبب:
- أ- سلطتها الديني. ب- الاقصادي.

- ج- السياسي. د- جميع ما سبق
- ٦- من العلماء الذين أجازوا الاستشهاد بالحديث في قواعد اللغة:  
أ- أبو حيان. ب- ابن هشام. ج- كلاهما.
- ٧- المدية في لغة دوس تعني:  
أ- السيف. ب- الرمح. ج- السكين.
- ٨- لغة الفحفحة تنسب إلى قبيلة:  
أ- هذيل. ب- ربيعة. ج- أسد.
- ٩- تعمل "ما" النافية عمل "ليس" عند:  
أ- القرشيين. ب- الحجازيين. ج- التميميين.
- ١٠- تعدد المعنى للفظ الواحد يطلق عليه:  
أ- المشترك اللفظي. ب- التضاد. ج- الترادف المعنوي.
- ١١- لفظ الصارخ "للمغيث والمستغيث" يسمى:  
أ- المشترك اللفظي. ب- التضاد. ج- الترادف.
- ١٢- القلب في كلام العرب يوجد في:  
أ- الأسماء فقط. ب- الأفعال فقط. ج- كليهما.
- ١٣- الاستفهام في اللهجات المصرية الحديثة يعتمد على:  
أ- أدوات استفهام. ب- التنغيم. ج- حروف الاستفهام فقط.
- ١٤- المقصود بالصوامت في اللغة:  
أ- الحروف المتحركة. ب- الساكنة. ج- المنقلبة.
- ١٥- اللغة ظاهرة:  
أ- اجتماعية. ب- سياسية. ج- دينية.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- لا ريب في أن اللهجات العربية قد تعددت بتعدد قبائل العرب. اشرح هذا القول شرحاً يبين عن حقيقته
- ٢- تؤكد الدراسات اللغوية أن بين اللغة العدنانية والحميرية القديمة فروقاً. اذكرها ثم أفسح عن إيجاءاتها.
- ٣- يرى الدارسون والباحثون في تاريخ العربية الباقية أن طفولتها مجهولة، لا يعلمون عنها شيئاً. فعلام اعتمد رأيهم؟ وما رأيك فيما اعتمدوا عليه؟
- ٤- يؤكد واقع العربية وقوع صراع لغوي بين لهجاتها المختلفة. فما مفهوم الصراع اللغوي؟ وما نتائجه؟ وعم يكشف؟
- ٥- لأبي عمرو بن العلاء رأيه في الشعر الإسلامي من حيث الاحتجاج به في مجال اللغة. اذكر رأيه مع يدين رأيك فيه.
- ٦- الاختلافُ بين اللهجات العربية متعدد النواحي مختلف الجهات، فصّل بمحمل هذا القول على هدي ما درست.
- ٧- الإدغام ظاهرة لهجية لها مفهومها لدى القدامى والمحدثين ولها بيئة معلومة عرفت بها واشتهرت. عرف الإدغام لدى القدامى والمحدثين، وانسبه مع التعليل.
- ٨- دَرَسْتَ ظاهرتي: الفكّ والإدغام، وازنْ بينهما من حيث التعريف والغرض والبيئة والسبب.
- ٩- درَسْتَ من الظواهر اللهجية ما سَمَّاه اللغويون بتفريعات تميم، قدم لهذه الظاهرة ثم عرّفها وعلل نسبتها لتميم، وهل لها من باقية في كلام المحدثين؟
- ١٠- لبعض اللغويين رأي في تعريف الفحفة ونسبتها، وضح ذلك مع بيان رأيك والتعليل له.
- ١١- تأمل لهجة قريتك على مختلف مستويات بنيتها للوقوف على اللهجة على

- ألستهم مع التفسير والتعليل لإجابتك.
- ١٢- هل لهذه اللهجة من باقية على لسانك ولسان زملائك وبنى قرينك ومخالطيك؟ وضح إجابتك بالأمثلة.
- ١٣- إذا كان لهذه اللهجة أثرٌ في لهجتك أو لهجة زملائك ومخالطيك فاذكره موضوعًا بالأمثلة التي تأكد سماعها.
- ١٤- تأمل لهجة زملائك ومخالطيك وبنى قرينك ومجاوريها لتتعرف على أثر هذه اللهجة على ألستهم، وضح إجابتك بما تسمعه من أمثلة.
- ١٥- مما يؤكد اختلاف العرب في هيئة النطق بالحرف اختلافهم في ترقيق الحرف وتفخيمه، عرف كلاً من التفخيم والترقيق وانسب كلاً منهما لبيئته مع بيان ملاءمة كل منهما لبيئته.
- ١٦- عرّف التضاد، واذكر علاقته بالمشترك اللفظي مع ذكرك للفرق بينهما، وضح ذلك بالشاهد والمثال.
- ١٧- هل الاشتراك اللغوي ظاهرة مقصورة على العربية وحدها أم أنها ظاهرة لغوية عامة؟ ادعم إجابتك بما يعضدها ويقويها.
- ١٨- فيم يقع القلب؟ وما حكم وقوعه؟ وما الصورة التي يقع عليها؟ وفيم يتمثل؟ ادعم ما تقوله بالأمثلة والشواهد.

رابعاً: بم تفسر ما يأتي:

- ١- تعدد اللهجات العربية.
- ٢- صيرورة اللهجة القرشية لغة قومية للعرب جميعاً.
- ٣- إهمال أمر اللهجات العربية عند اتساع أطراف الدولة العربية.
- ٤- ميل القبائل الحضرية إلى الأصوات المرققة.

## النشاط التعليمي للوحدة الثانية

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

١- ناقش مع زملائك عبر وسائل الاتصال المختلفة مفهوم القبيلة وما تتكون منه، خصائصها، منازلها، ما تتميز به كل قبيلة وأثر طبيعة المكان في لغة كل منها، ثم اختر العدنانية والقحطانية بصفة خاصة؛ لتقف على ما بينهما من خصائص وملامح، ولتقف كذلك على أوجه الاتفاق والاختلاف بين لغتيهما.

٢- اكتب مقالاً تعرض فيه لأهم موضوعات هذه الوحدة، تستوعب فيه جميع جزئيات هذا الموضوع وكلياته.





## الوحدة الأولى

### نشأة المعاجم وأهميتها

ميررات دراسة الوحدة:

الباحث والدارس وغيرهما بحاجة ماسة إلى استخدام المعجم اللغوي في جميع المجالات العلمية والبحثية في شتى المجالات التعليمية.

والحاجة إلى المعجم ليست وليدة عصرنا؛ بل هي ضاربة في القدم قدم الإنسانية.

وازدادت الحاجة إلى المعجم بانتشار الإسلام ودخول غير العرب في دين الله أفواجًا.

وفي عصرنا ازدادت حاجتنا إلى المعجم أكثر وأكثر.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذه الوحدة أن تصحح قادراً على أن:

١- تعرف بمعنى كلمة المعجم وتدل على أهمية دراسة المعجم.

٢- تذكر أقدم المعاجم العربية المعروفة.

٣- تبين من أول من استعمل كلمة المعجم.

٤- توضح كيف نشأ الفكر المعجمي.

٥- تبين متى بدأ النشاط المعجمي لدى العرب.

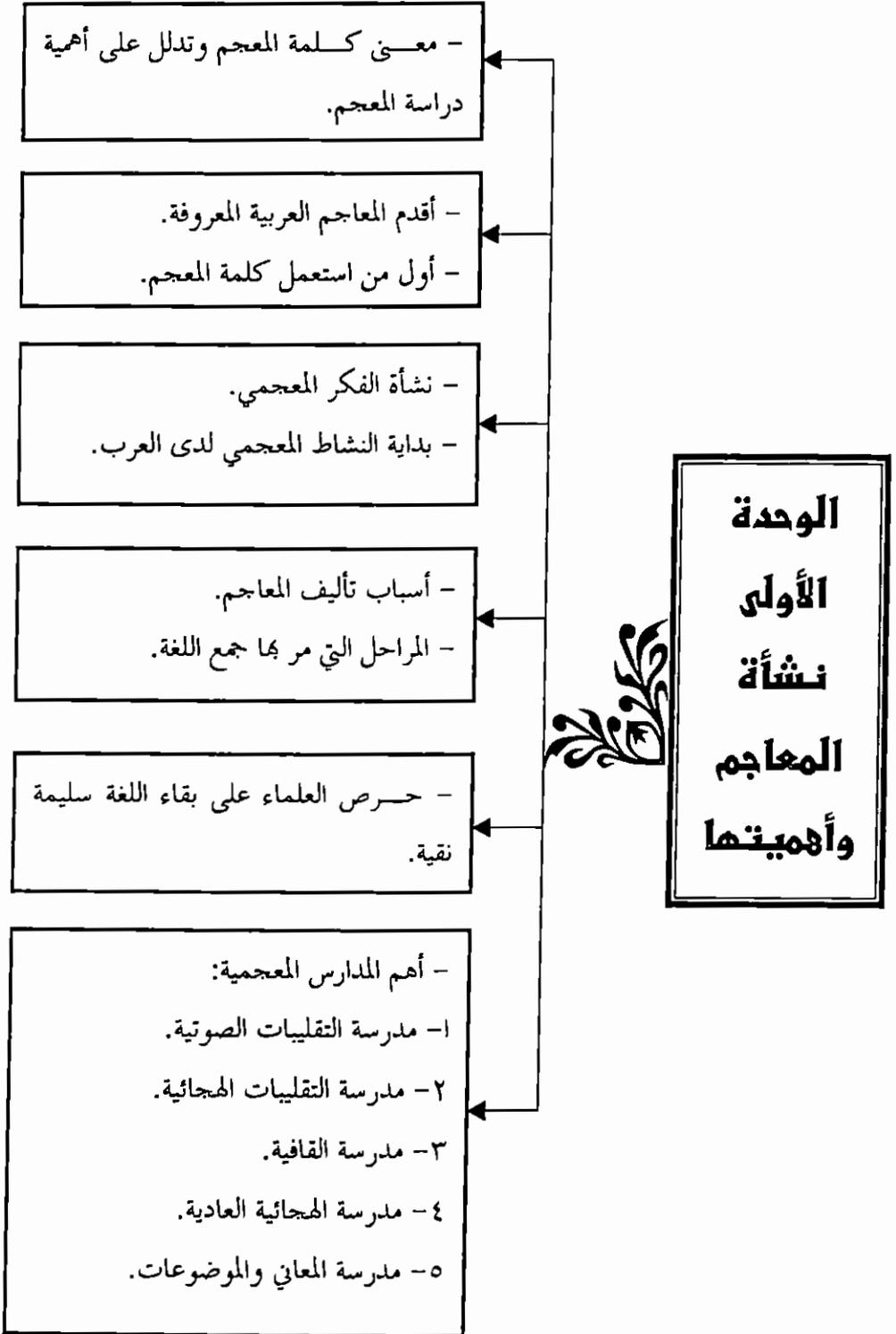
٦- تذكر أسباب تأليف المعاجم.

٧- توضح المراحل التي مر بها جمع اللغة.

٨- تبين منهج العلماء في جمع اللغة.

٩- تدلل على حرص العلماء على بقاء اللغة سليمة نقية.

١٠- تعدد أهم المدارس المعجمية.



## أهمية المعجم

دارس اللغة بحاجة ماسة إلى استخدام المعجم اللغوي؛ ذلك لأن قدرته على استيعاب المفردات محدودة بمجال ثقافته ومستوى تحصيله؛ إذ قد تعرض للدارس بعض النصوص التي بها بعض الكلمات التي لا تكون قد دخلت في مجال معرفته من قبل. من هنا يأتي الإحساس بالحاجة إلى المعجم؛ كي يستمد منه بغيته، وعن طريقه يستطيع أن يصل إلى مراده.

وليست أهمية المعجم والحاجة إليه وليدة عصرنا الحاضر بل منذ القدم والإنسان المتكلم باللغة يشعر دائماً بعجزه وقصور فهمه عن الإحاطة بجميع مفردات اللغة. فمن الشطط أن يظن الإنسان أن كل عربي فصيح يُحتج بلغته كان يعرف كل كلمة تقع على سمعه، ولقد ثبت أن الراسخين في فهم اللغة العربية وفصحها ونوادرها كانوا يجهلون معاني كثيرة في الألفاظ.

روى سهل بن معاذ عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: "لا تزال الأمة على شريعة ما لم يظهر فيها ثلاث: لم يقبض منهم العلم، ويكثر فيهم الخبث، وتظهر فيهم السقارة" قالوا: وما السقارة يا رسول الله؟ قال: "بشر يكونون في آخر الزمان تحببهم بينهم إذا تلاقوا التلاعن"<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: "إن أحبكم إلي وأقربكم مجلساً مني يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً، وأبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة هم: الثرثارون المتشدقون المتفيهقون"، قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا الثرثارين والمتشدقين، فمن المتفيهقون؟ قال: "المتكبرون"<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٤٣٩/٣)، وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البرّ ولصلة: باب ما جاء في معالي الأخلاق (٤٠٩/٣) (ح ٢٠٢٥)، وقال:

هذا حديث حسن غريب، وأحمد (٣٦٩/٢)، كلاهما عن جابر.

وسئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما الأب<sup>(١)</sup>؟ في قوله تعالى: ﴿فَأَبْتَا فِيهَا حَبًّا وَعَنِيبًا وَقَضْبًا وَزَيْثُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غَلْبًا وَقَاكِهَةً وَأَبَا مَتَاعًا لَكُمْ وَلَا أُنْعَامَكُمْ﴾ [عبس: ٢٧-٢٢] فلم يعرف معناه.

وسأل عمر رضي الله عنه الحاضرين وهو على المنبر عن معنى التخوف في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فسكتوا. فقام شيخ من قبيلة هذيل -وهي من القبائل الحجازية التي كانت تسكن في المنطقة الحضرية- فقال: هذه لغتنا. التخوف: التقص. قال عمر: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها. قال: نعم. قال شاعرنا زهير:

تخوف الرجل منها نامكاً قرداً      كما تخوف عود النبعة السفن

وسمع علي كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب وفد بني نهد، فقال: يا رسول الله، نحن بنو أب واحد ونراك تكلم القوم بما لا نفهم أكثره. ولم يعرف عبدالله بن عباس معنى "فاطر".

فكل هذه الأدلة، وغيرها الكثير والكثير تدل دلالة لا لبس فيها على أن العرب الذين عاشوا في عصور الاحتجاج لا يعرفون معاني جميع الألفاظ التي يسمعونها، بل كان يغيب عنهم بعضها، فإذا كان هذا حال الخُلص في العربية فما بال من جاء بعدهم؟ وخاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم وانتشار اللغة العربية بانتشار الإسلام في بقاع كانت لا تعرف العربية، بل كانت تتحدث بلغات غير عربية؛ ففي العراق وفارس كانوا يتكلمون الفارسية، وفي الشام السريانية والرومانية، ومصر القبطية، وشمال إفريقيا البربرية... وما إلى ذلك.

ولاشك أن الحاجة إلى المعجم تزداد وتظهر أهميتها في مختلف الأزمنة.

إذا عرفنا هذا، فما المعجم؟

(١) الأب: العشب ترعاه الأنعام أو هو كل ما بنيت على وجه الأرض.

معنى المعجم:

مادة: (العين والجيم والميم) تدل على الإبهام والخفاء.

يقول الجوهري في الصحاح: "الأعجم"<sup>(١)</sup> الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب"، ويقول ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب: "اعلم أن (ع. ج. م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والخفاء وضد البيان والإفصاح"<sup>(٢)</sup>.

والإعجم غير الإعراب؛ قال رؤبة:

الشعر صعب وطويل سلّمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه

والشعر لا يسطّيعه من يظلمه

يريد أن يعرّبه فيعجمه

من هنا يظهر لنا أن المادة الموجودة معنا وهي "الجيم والعين والميم" تدل على الغموض والخفاء وعدم الظهور، فهل يتفق هذا المعنى والمقصود لنا في المعجم، والذي نريد بيانه ومعالمه؟

الحقيقة أننا لو قلنا أعجم فلان الكتاب فمعناه أزال ما به من غموض وإبهام، فالهمزة التي في "أعجم" للسلب أي سلبت الإبهام ويترتب على ذلك الظهور كما يقال: أفذيت عين فلان أي أزلت ما بها من قذى وأتربة، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ فالمراد -والله أعلم-: أكاد أزيل عنها خفاءها أي أظهرها. وعلى هذا فالمعجم عبارة عن كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها عني أن تكون المواد مرتبة

(١) تاج اللغة وصحاح العربية مادة (ع ح ن).

(٢) سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (٤٠/١).

ترتيباً خاصاً، إما على حروف الهجاء، أو الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها.

ولا يمكن أن نطلق المعجم على غير هذا فلو جمعنا مثلاً كل ألفاظ اللغة في كتاب ولم نشرحها لا يسمى ذلك معجماً، وكذلك لو جمعنا ألفاظاً معدودة وشرحناها لا يسمى هذا العمل معجماً كاملاً، بل المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة مصحوبة بشرحها شرحاً وافياً - كما ذكرت.

ومن الملاحظ لدى من يحسنون استخدام المعاجم ويسترشدون بها في معرفة معاني واستعمالات الكلمات: أنها في بعض الأحيان لا تعطي القارئ المعنى الكامل المراد من الكلمة في سياقها، ولعل السبب في ذلك أن أساليب استخدام ألفاظ اللغة في حركة مستمرة دائماً؛ فهي تتأثر باستعمالات الأفراد كما تتأثر بعوامل التأثير الثقافي الأجنبي، فيضيق معناها أو يتسع، غير أن الباحث يستطيع بإعمال فكره أن يربط بين المعنى المعجمي المنصوص عليه والمعنى الذي يرشده ذوقه وحسه اللغوي - أنه المعنى المراد لكاتبه، وذلك عن طريق لمح العلاقة المجازية بينهما. ومن هنا نجد أن معاني بعض الألفاظ قد انقرضت من الاستعمال اللغوي، وأن معاني أخرى قد لحقت بها.

ولذا كان لزاماً على أي معجم حديث أن يشير إلى ذلك حتى يستطيع من يطالعها أن يعرف التطورات التي لحقت ببعض كلمات اللغة، وتاريخ تلك التغييرات وأسبابها.

مما سبق يتضح لنا معنى المعجم ولكن لا نعلم من أطلق المعجم على هذا الاستعمال المعروف.

والتاريخ يذكر لنا أن أول من استعمل الكلمة رجال الحديث في القرن

الثالث الهجري، فقد جاء في صحيح البخاري عنوان من تعبيره وقوله:  
وهو: "باب تسمية من سمي من أهل بدر في الجامع الذي وضعه أبو عبدالله  
على حروف المعجم"، والجامع أحد كتب البخاري.  
وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو: "معجم الصحابة" لأبي يعلى أحمد بن المثني بن  
نجي بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي الحافظ، محدث الجزيرة (٢١٠-٣٠٧).

وقد ارتدده أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، المحدث،  
المعروف بابن بنت منيع (٢١٤-٣١٥)، وسمى كتابيه اللذين ألفهما في أسماء  
الصحابة: "المعجم الكبير" و"المعجم الصغير" ثم كثر إطلاقه واستعماله بين من  
ألفوا في الحديث، وعنهم أخذه اللغويون ولكن لا نعرف بالتحديد من أطلق هذا  
الوصف على المعجمات اللغوية، ولعل إطلاق اسم المعجم على الفهرس الذي  
يضم كلمات اللغة مشروحة شرحاً وافياً ومبوبة على نسق معين - كان لأسباب  
أقربها: أن الإعجام يزيل اللبس، ويوضح المبهم، وأن الكلمات تتألف من حروف  
المعجم، وسميت المعاجم باسم آخر وهو: القواميس وأول من أطلق هذه التسمية  
هو الفيروزآبادي؛ إذ أطلق على معجمه اسم: "القاموس المحيط"، ومعناه البحر  
المحيط أي البحر الواسع الشامل لألفاظ اللغة، وكثرت هذه التسمية وشاعت في  
السنة من جاءوا بعده من علماء اللغة؛ وذلك لشهرة القاموس المحيط، ثم شاعت  
أكثر وأصبحت تطلق على أي معجم لغوي آخر، وصارت مرادفة لكلمة معجم، فأنت الآن  
مخير بين استعمال قاموس لغوي، أو معجم لغوي فكلا المصطلحين مرادف للآخر.

### نشأة الفكر المعجمي

مما تجدر الإشارة إليه أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر تأليف المعجم، بل  
سبقتهم أمم بقرون كالأشوريين والصينيين واليونانيين، فالآشوريون خافوا على  
لغتهم أن تضيع فأنفقوا معاجم ذات ترتيب خاص يغير ما عرف العرب من ترتيب.

وكذلك عرف الصينيون المعاجم قبل العرب وأقدم معاجمهم "يوبان" ومؤلفه اسمه كوبي وانخ، جُمع سنة ٥٣٠ ق.م، ثم معجم آخر اسمه "شوفان" تأليف هوش، جُمع سنة ١٥٠ ق.م. وهذان المعجمان هما أساس المعاجم الصينية واليابانية. وكذلك عرف اليونانيون المعاجم قبل العرب، وأقدم المعاجم اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس وهو يشبه المخصص لابن سيده؛ لأنه مرتب على المعاني والموضوعات.

ومعجم هلاديوس السكندري وكان في القرن الرابع الميلادي.

أما العرب فلم يعرفوا المعاجم في العصر الجاهلي ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا أمة أمية، ولم تكن هناك حاجة إلى تأليف معجم حتى جاء الإسلام، فدعت الحاجة إلى أن يسألوا عن معاني الكلمات ذات الاصطلاح الجديد، كما كانوا يسألون أيضاً عن بعض المعاني لعدد من الكلمات التي استغلق عليهم فهمها.

### بداية النشاط المعجمي لدى العرب

من المعروف لدى الباحثين والدارسين أن القرآن الكريم هو الأساس لجميع العلوم والبحوث التي عرفها العرب.

والمعجم العربي يبدأ تاريخه منذ واجه أصحاب رسول الله ﷺ مشكلة فهم القرآن الكريم، وخاصة حينما يجدون بعض الألفاظ التي لا يعرفون معانيها، فيسألون عنها - كما سبق أن ضربت بعض أمثله.

ومن الأمثلة المشهورة أيضاً ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه كان جالساً بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن الكريم، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: "قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن الكريم بما لا علم له به"، فقاما إليه فقالا: "إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتؤيدها بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل

القرآن بلسان عربي مبين". فقال ابن عباس: "سلوني عما بدا لكم".

فقال نافع: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ﴾.

قال ابن عباس: العزون: حلق الرفاق.

قال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجاءوا يُهْرَعُونَ إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال: أخبرني عن قوله: "شرعة ومنهاجاً".

قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق وأهدى وبين للإسلام ديناً ومنهجاً

قال: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾.

قال: نضجه وبلاغه.

قال: وهل تعرف العرب ذلك؟

قال: نعم. أما سمعت قول اشاعر:

إذا مشت بين النساء تأودت كما اهتز غصن النبت يانعا

واستمرت هذه المحاورة بين نافع وابن عباس وعرفت في التاريخ باسم

"سؤالات نافع بن الأزرق"<sup>(١)</sup>.

وكانت هذه المحاورة إحدى المقدمات الأولى لنشأة علم التفسير، كما

كانت أيضاً من بين المادة التي ساقها علماء اللغة الأوّل لنشأة المعجم العربي، غير

(١) انظر: الإتيان للسيوطي (١/١١٩-١٢٣).

أما لم تكن مدونة، بل كانت رواية يعتمدها النقص والتعديل من راوٍ لآخر. ومن هذه المحاوره يتضح لنا أن طليعة المعجم العربي جاءت مع الإسلام، وأول من حمل رايها عبدالله بن عباس (المتوفى سنة ٦٨هـ)، فقد كان يؤدي ما تؤديه المعجمات للسائلين، ومحاورته السابقة عمل معجمي؛ فهو قد وقف على لغات العرب وأسرارها ودلالات مفرداتها ومعرفة غريبها ونوادرها، وعلى أشعار العرب وخطبهم وأمثالهم، وأعانته علمه الواسع بالعربية على أن يفسر لسائله كلمات اللغة تفسيراً لغوياً وثيقاً. وكان بعض الصحابة يقومون بهذه المهمة، ولكن في حدود ضيقة.

ويعزى لابن عباس كتاب "غريب القرآن"، وكانت منه نسخة بيرلين قبل الحرب العالمية الثانية<sup>(١)</sup>.

وغالب الظن أن الكتاب ليس لابن عباس؛ وذلك لأن كُتَّابَ ترجمته لم يذكروا أن له كتاباً اسمه غريب القرآن، إلا أنه من الثابت أن ابن عباس كان أحد الراسخين في العلم، وكان مفسراً لغوياً عليماً بأسرار اللغة ودقائقها ومعاني مفرداتها ودقائق أساليبها؛ يدلنا على ذلك المحاوره السابقة والتي كان يؤيد كل كلمة فيها بشاهد من كلام العرب.

فلعل هذا الكتاب مروى عنه عن طريق من أخذوا العلم منه ودَوَّنَه أحدهم ونسب إلى ابن عباس.

وكذلك نسب لابن عباس التفسير الأكبر، رواية ابن أبي طلحة وابن الكلبي، وفي هذا التفسير شَرَّحَ لمفردات القرآن مع تفسير آياته البيّنات، ومنه نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسيني بالمدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.

(١) بروكلمان (ص ٧٣) تاريخ الأدب العربي.

(٢) مقدمة الصحاح.

وسواء أَصَحَّ أن هذا التفسير وكتاب غريب القرآن من تأليف ابن عباس أم من تأليف من رَوَوْا عنه أو أخلوا منه - فابن عباس رضي الله عنه يعد أول من وضع نواة "المعجم العربي" ونجد بعد ابن عباس - ولعله سار على نهجه - أبان بن تغلب بن رباح الجريري أبو سعيد البكري (المتوفى سنة ١٤١ هـ) وينسب إليه "غريب القرآن".

وأبان كان قارئاً فقيهاً لعويًا إماماً ثقة، روى عن علي بن الحسين، وأبي جعفر، وأبي عبدالله، وسمع عن العرب وذكر ياقوت كتاب أبان بقوله: "صنف أبان كتاب الغريب في القرآن وذكر شواهد من الشعر"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ابن عباس ثم من بعده أبان بن تغلب قد وضع نواة المعجم العربي والتأليف اللغوي، وكانا من الرواد الناجحين في هذا المجال فإن الخليل بن أحمد الفراهيدي يعد بحق أول من صنف معجمًا جديرًا بهذا الاسم؛ لأنه جمع لأول مرة ألفاظ اللغة ورتبها ترتيبًا علميًا فريدًا، وشرح معانيها، وبيّن مستعملها ومهملها على طريقة التقلبات الصوتية، فوضع الكلمة وجميع تقلباتها تحت أبعد الحروف مخرجًا. وإذا كان الخليل مسبقًا من بعض الأمم في هذا السبيل، إلا أنه ليس مقلدًا لأحد في فكرة معجمه، وليس ناهجًا على طريق غيره في هذا الترتيب، بل كان مبتكرًا ومخترعًا في الفكرة والمنهج والترتيب، ومعجمه معجمٌ بحق.

أما المعاجم التي عرفت من قبل عند الآشوريين والصينيين واليونانيين فتعدّ معاجم خاصة لا عامة.

ولم يكن القصد عند مؤلفي تلك المعاجم حَصْرَ جميع ألفاظ اللغة كما فعل الخليل بن أحمد فشرح ما استطاع من كلماتها شرحًا يزيل غموضها ويكشف عن غامضها، باستثناء الصين في هذا المجال.

(١) معجم الأدباء (١٠٨/١).

## أسباب تأليف المعاجم

والذي نرجحه أن الذي مهّد لنشأة المعجم العربي جملةً من الأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية.

وأهم هذه الأسباب حراسة القرآن الكريم؛ خوفاً من أن يقع فيه خطأ في النطق، أو الفهم، وفهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا إذا عرفنا تفسير كلماته، وقد ورد في القرآن الكريم كثير من الغريب والنواتر، وكثير من الألفاظ التي استغلق فهم معانيها على الفصحاء من العرب، كعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس؛ ولذلك كانوا يستعينون بكلام العرب وبالشعر لبيان معاني القرآن الكريم.

يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: "الشعر ديوان العرب فإذا خفي علينا الحروف من القرآن الكريم الذي أنزله الله رجّعنا إلى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه".

ويقول أيضاً: "إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر؛ فإن الشعر عربي".

أما السبب الاجتماعي: فإن حياة البداوة كانت خلال القرن الثاني قد بدأت تزحف على الحواضر، ومعنى ذلك أن المَعِين الذي كان يستقي منه الرواة قد أوشك على النضوب.

أما السبب الثقافي: فإن الرواة والنحاة واللغويين -وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء، وأبو مالك بن كركرة، وأبو خيرة صاحب كتاب الحشرات، والخليل بن أحمد، وسيبويه... وغيرهم- قد توفر لديهم حشد هائل من الروايات اللغوية، وكانوا يحسون دائماً بالحاجة إلى تسجيلها، وتدوين كل حروفها؛ يدلنا على ذلك الخبر المروي عن أبي عمرو بن العلاء أستاذ الخليل بن أحمد، وقد رواه أبو عبيدة قال: "كانت دفاتر أبي عمرو ملء بيت إلى السقف ثم تنسك فأحرقها وتفرد للعبادة؛ وذلك لأن أبا عمرو كان مولعاً بجمع مفردات اللغة وضبطها وحفظ شواهداها وتدوين ذلك في جذاذات ودفاتر ملأت بيتاً إلى السقف ولكنه -بكل

أسف - أحرقتها! ولكنه لم يستطع أن يحرق محفوظ تلاميذه منها وما أكثرهم وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد الذي جمع إلى جانب ما أخذه عن أبي عمرو وأبي مالك وأبي حيرة من الغريب - كثيراً من تفسير الألفاظ عن أعراب البادية.

أضف إلى الأسباب السابقة: الخوف على اللغة من الانقراض بانقراض الحافظين لها، فكما أن كتابة المصحف كانت بسبب استمرار القتل في الصحابة حَفَظَ القرآن والخشية من أن يضيع شيء منه، فكذلك دوّنت اللغة بوساطة المعجمات، والكتب اللغوية خشيةً من أن يضيع بعض موادها أو يدخلها غريب تنبو عنه أصولها وقواعدها.

### مراحل جمع اللغة

من الطبيعي أن تنشأ الدراسات اللغوية الخالصة ضعيفة ثم تنمو شيئاً فشيئاً ثم بعدُ تصل إلى مرحلة النضج والاكتمال، هنا فقط ظهرت المعاجم. أما بادئ ذي بدء فلم تكن المعاجم، وإنما كانت رسائل لغوية صغيرة ذات اتجاهات مختلفة، ويمكننا القول بأن الدراسات اللغوية سارت في مراحل ثلاث:

#### المرحلة الأولى:

جمع الكلمات حيثما اتفق؛ فالعالم يرحل إلى البادية يسمع كلمة في المطر، ويسمع كلمة في اسم السيف، وأخرى في الزرع والنبات، وغيرها في وصف الفتي أو الشيخ... إلى غير ذلك، فيدون ذلك كله، حسبما سمع من غير ترتيب، إلا ترتيب السماع.

#### المرحلة الثانية:

جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد. والذي دعا إلى هذا في اللغة -على ما يظهر- أنهم رأوا كلمات متقاربة المعنى فأرادوا تحديد معانيها، فدعاهم ذلك إلى جمعها في موضع واحد، وتوجت هذه المرحلة بكتب تُولف في الموضوع الواحد، فألف أبو زيد الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥هـ كتاباً في المطر

وكتاباً في اللين، وألف الأصمعي المتوفى سنة ٢١٥هـ كتباً كثيرة، كل كتاب في موضوع، منها: كتاب النحل والعسل، ولاين الأعرابي المتوفى سنة ٢٣١ كتاباً في الذيباب، وألف النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٤١هـ كتاباً في خلق الفرس.

ويدخل ضمن هذه المرحلة المؤلفات الآتية:

الألفاظ الكتابية للهمذاني<sup>(١)</sup>، وفقه اللغة للثعالبي، والمخصص لابن سيده<sup>(٢)</sup>، ويطلق على هذا اللون من الجمع اسم المعاجم المبوبة أو معاجم المعاني والموضوعات، ومن عيوبها أن كثيراً من الألفاظ تأتي لمعان كثيرة، والباحث لا يعرف في أي الأبواب ذكر مطلبه، وكثيراً من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم نباتاً، بل هناك من الصفات ما يُصعَّب على الباحث مبتغاه.

المرحلة الثالثة:

وفي هذه المرحلة وُضعت المعاجم بحيث يضم المعجم كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من يريد البحث عن معنى كلمة أو حقيقتها أو أصلها<sup>(٣)</sup>. ثم تقدم التأليف اللغوي والمعجمي وتطور مع الزمن حتى بلغ حدَّ الكمال والإتقان. ويمكننا القول بأن في القرن الأول الهجري كان بدء التأليف اللغوي وفي القرن الثاني الهجري بُدئ بتأليف المعاجم العربية.

ورائد المعاجم العربية الأول هو الخليل بن أحمد ثم توالى بعده الجهود فألف القالي بارعه والأزهري تهذيبه وابن دريد جمهرته والجوهري صحاحه. ويسمى هذا اللون من المعاجم باسم: المعجم الجنس.

(١) طبع عدة طبعات إحداها في المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٢م.

(٢) طبع في سبعة عشر جزءاً بالقاهرة سنة ١٣١١هـ.

(٣) ضحى الإسلام أحمد أمين (٢/٢٧٠).

ولا يخفى أن هذه المعاجم مرتبة ترتيباً صوتياً أو عادياً أما المعاجم السابقة، وهي التي تسمى بالمبوبة فمبوبة حسب المعاني والموضوعات.

والمعجم المحنس يلجأ إليه المرء عندما يخفى عليه المعنى، أما المعجم المبوب فيلجأ إليه لإيجاد الألفاظ التي تعبر عما يدور في الذهن من خواطر وأفكار. **منهج العلماء في جمع اللغة:**

بذل علماء اللغة جهوداً مضية في جمع اللغة، وكان هؤلاء الأعلام غيراً على اللغة العربية يتلقونها من مصادرها الموثوق بها، فأخذوا أغلب مواد اللغة من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وما أثير عن العرب الفصحاء شعراً ونثراً. وحرصاً منهم على سلامة اللغة أفرطوا في التحري وتشددوا في إظهار الحق والصواب، فلم يدونوا إلا ما صح لديهم سماعاً عن أعراب البادية الذين شافهوهم وعاشوا بين ظهرائهم؛ ولذلك لم يأخذوا اللغة ممن يُشكّ في فصاحة لسانه لمخالطته غير العرب.

ولذلك وجدنا العلماء يفرقون بين القبائل، فيأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر.

فقد أورد السيوطي في المزهري أن أبا إبراهيم الفارابي قد حدد في أول كتابه المسمى "بالألفاظ والحروف" أسماء القبائل التي يحتج بكلامها وأسماء القبائل التي لا يستشهد بما يسمع منهم، فيقول السيوطي نقلاً عنه: "لقد كانت قريش أجود العرب انتقاداً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي عنهم أخذ اللسان العربي، ومن بين قبائل العرب كانت قيس وتميم وأسد هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب، وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وباجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن

كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم اللذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لحم ولا من جذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاة وغسان وإياد؛ لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرأون بالعبرانية، ولا من تغلب والنمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر؛ لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد عمان؛ لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهنود والفرس ولا من أهل اليمن لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم...<sup>(١)</sup>.

ومن هذا النص يظهر لنا مدى حرص العلماء على اللغة كي تبقى نقية صافية. أضف إلى ذلك أنهم توقفوا في جمعهم للغة وتدوينهم عند زمن معين، فارتضوا الأخذ عن فصحاء العرب حتى نهاية القرن الثاني الهجري؛ ونظراً لتمكن فصحاء البادية من اللغة استباح العلماء الأخذ عنهم حتى منتصف القرن الرابع الهجري.

وما عدا ذلك لم يأخذوا منه شيئاً، بل توقفوا على الأزمنة السابقة، وهي المسماة "بعصور الاحتجاج".

وكان علماء اللغة في هذه الأزمنة يذهبون إلى مضارب الفصحاء ومنازلهم؛ رغبة منهم في أخذ اللغة ممن لم تفسد ألسنتهم وسلاتقهم، ومن أعظم هؤلاء العظماء: الخثعمي، وأبو خيرة العدوي، وأبو الدقيش - وكان من أفصح العرب -، وأبو مهدي الأعرابي وأبو المنتجع، وأبو البيداء الرياحي، وأبو طفيلة، وأبو حياة ابن لقيط، والفقسي محمد بن عبد الملك، وعبد الله بن عمرو بن أبي صبح، وأبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي اللغوي صاحب النوادر وأبو زياد الكلابي وغيرهم الكثير<sup>(٢)</sup>.

وكان علماء اللغة حريصين على اللغة حرصاً شديداً؛ كي تبقى سليمة نقية

(١) المزهري للسيوطي (٢/٢١٢).

(٢) انظر: مقدمة الصحاح لعبد الغفور عطار (ص ٤٢-٤٣).

حتى إن الحرص أدى بهم إلى منع كلمات فصيحة ظنوها غير فصيحة؛ لأنهم لم يطلعوا على مصادقها من كلام العرب. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، منها على سبيل المثال أن الأصمعي - رحمه الله - خطأً من قال: شتان ما بينهما. وذكر أن الصحيح: شتان ما هما.

قال أبو حاتم: أنشدت الأصمعي قول ربيعة الرقي:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى      يزيد سنيم والأعز بن حاتم

فقال الأصمعي: ليس بفصيح.

وقال الأزهري في التهذيب والجوهري في الصحاح ليس قول ربيعة بحجة إنما هو مولد، والحجة قول الأعشى:

شتان ما يوحى على كورها      ويوم حيان أخي جابر

والواقع أن ما قاله هؤلاء الأعلام غير صحيح، فقد ورد ما منعه في الشعر الفصيح، ولكنهم لم يطلعوا عليه، ولو اطلعوا عليه لما منعه، قال البيهقي:

شتان ما بيني وبين رعائها      إذا صرصر العصفور في الرطب التعد

وقد ورد هذا التعبير عن أكثر من شاعر مما يدل دلالة قاطعة على أنه فصيح

ولكن حرص هؤلاء العلماء وغيرهم الشديدة على اللغة - كي تبقى سليمة من اللحن والخطأ - هو الذي دفعهم إلى منع بعض الأشياء الفصيحة، ظناً منهم أنها لم ترد عن الفصحاء.

يقول الأزهري في مقدمة معجمه تهذيب اللغة: "ولو أني أودعت كتابي هذا

ما حوته دفاتري وقرأته من كتب غيري ووجدته في الصحف التي كتبها الوراقون وأفسدها المصحفون لطال كتابي ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها، ولقليل لا يخزي صاحبه خير من كثير يفضحه، ولم أودع كتابي هذا إلا ما صح لي سماعاً منهم، أو رواية عن ثقة، أو حكاية عن خط ذي معرفة ثاقبة، اقترنت

إليها معرفتي، اللهم إلا حروفاً وجدتها لابن دريد وابن المظفر في كتابيهما فبنيتُ  
شكي فيهما وارتياحي بما".

من هذا النص يتبين لنا مدى الحرص والدقة التي كانت سمة هؤلاء العلماء  
في جمع اللغة وتدوينها حتى تبقى سليمة نقية صافية، ولقد كان هؤلاء العلماء  
يعدون هذا العمل أمراً دينياً.

ويذكرون أمر الرسول ﷺ لأصحابه عندما لحن أحدهم بحضرتة: "أرشدوا  
أحاكم فقد ضل"<sup>(١)</sup>.

ولقد تناول العلماء اللغة من جميع نواحيها؛ ولهذا رأينا من يؤلف في بيان  
مفردات منها لا تجمعها وشيخة وصنف آخر يؤلف حسب المعاني التي تؤديها  
الألفاظ اللغوية وآخرون يؤلفون في النوادر أو الغريب أو المعرب، أو النبات أو  
الحيوان، أو البلدان، أو الطبقات.

ثم رأينا أصحاب المعاجم العربية، وهؤلاء أكثر استيعاباً للغة وفهماً لها،  
وتعد مؤلفاتهم "دائرة معارف"، أو "موسوعات علمية" للغة العربية وصورة  
صادقة للعقلية العربية من جميع نواحيها: الخلقية والاجتماعية والنفسية وغيرها.

والمعاجم العربية استوعبت ما تفرق في الكتب اللغوية ذات الموضوعات  
الخاصة ففيها الأعلام والبلدان والمواضع... وغير ذلك.

ومن هنا يظهر لنا جلياً أن المعاجم العربية أعظم حظوة في التأليف، ومنها  
يستمد الباحث والدارس بغيته، ويصل إلى ما يريده.

### المدارس المعجمية

المعاجم العربية على كثرتها يمكن حصرها في المدارس الآتية:

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک: کتاب التفسیر: باب تفسیر سورة حم السجدة (٤٣٩/٢)، وقال:  
صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، عن أبي الدرداء.

أولاً: مدرسة التقلبات الصوتية:

وأنصار هذه المدرسة يضعون الكلمة وجميع تقلباتها تحت أبعد الحروف مخرجاً؛ ولذلك سميت بهذا الاسم، فمثلاً كلمة "كبر" تتكون من ثلاثة أحرف وهي الكاف والباء والراء، وكذلك جميع تقلباتها وهي "كرب، ركب، ربك، بكر، برك" فكل هذه الصور والأصل توضع تحت أبعد الحروف مخرجاً، وهو حرف الكاف؛ لأن مخرجه من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.

وهذه المدرسة أقدم المدارس المعجمية كلها. ويرتبط تاريخ هذه المدرسة بشخصية عبقرية ذات تأثير عميق في ثقافتنا الأدبية واللغوية، هي: شخصية الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥هـ) الذي أجمع أصحاب الآثار والأخبار على تقديره والإشادة به، وسوف نتكلم عنه بشيء من التفصيل بعد قليل.

ومن أشهر من سار على نهج الخليل في هذه المدرسة أبو علي القالي في كتابه: "البارع" والأزهري في "لتهذيب"، وابن سيده في "المحکم"، والصاحب بن عباد في "المحيط".

ثانياً: مدرسة التقلبات الهجائية:

وهذه المدرسة تنسب لابن دريد صاحب "الجمهرة"؛ لأنه هو المؤسس لها، وابن دريد سار على نهج الخليل في التقلبات، إلا أنه خالفه في النظام الصوتي؛ حيث إنه اتبع نظام الهجائية العادية، ومضمون هذه المدرسة هو موضع الكلمة، وجميع تقلباتها تحت أول الحروف في الترتيب الهجائي العادي، فالكلمة "كبر" وجميع تقلباتها "كرب، ركب، ربك، بكر، برك" توضع تحت حرف الباء؛ لأن هذا الحرف ساق في الترتيب الهجائي العادي.

ثالثاً: مدرسة القافية:

ومدرسة القافية سميت بهذا الاسم نظراً لأنها تنظر للحرف الأخير من

الكلمة، فتجعله باباً، والأول فصلاً، فالكلمة السابقة "كبر" توضع في باب الراء فصل الكاف. وإلى الجوهري صاحب "الصحاح" تنسب هذه المدرسة، لأنه أول من أوجد هذا النظام، فقد رأى أن نظام التقلبات السابق نظام صعب معقد، وليس من السهل تناوله، فوضع هذا النظام؛ ليسهل للباحث الوصول لغايته بأقل مجهود.

وأشهر من سار على نظام هذه المدرسة: ابن منظور في معجمه "لسان العرب"، والفيروزآبادي في "قاموسه"، والزيدي في "تاج العروس"، وأحمد فارس الشدياق في "الجناسوس على القاموس".

وابتداءً: مدرسة الهجائية العادية:

وهذه المدرسة أخذت بأبسط النظم المعجمية وهو نظام الأبيدية العادية: (أ ب ت ث ج ح خ) أو إن شئت النظام الألف بائي، وتسمى الآن: المدرسة الحديثة، وهي في الواقع ليست حديثة؛ لأن لها جذوراً قديمة، حين ألف أبو عمرو الشيباني كتابه "الجيم"، ولكنه لم يراع في الترتيب إلا الحرف الأول أما ما بعده فلم يراعه، فهو يضع في باب "الهمزة" كل كلمة مبدوءة بحرف "الهمزة" دون أن يراعي ما بعدها من الحروف؛ ولهذا نسبت هذه المدرسة للبرمكي الذي رتب المواد ترتيباً محكماً سبق به أصحاب المعجمات الحديثة كلها.

وسار على هذا النظام الزمخشري في معجمه "أساس البلاغة"؛ حيث استخدم هذا النظام استخداماً محكماً، معتبراً أن أحرف الهجاء ذات بداية ونهاية لا دائرة كما فعل ابن فارس، فهو يراعي الأصل الأول فالثاني فالثالث من الحروف الأصلية، وبالنظر إلى موضعها من الترتيب الهجائي العادي، وسار على نظام هذه المدرسة:

١- "المصباح المنير" للفيومي (ت ٧٧٠هـ).

٢- "محيط المحيط" للبستاني (١٨٦٩م).

٣- "أقرب المواد" للشيخ سعيد الشرتوني (١٨٨٩م).

٤- "المنجد" للويس معلوف اليسوعي.

٥- "المعجم الوسيط" للمجمع اللغوي المصري (١٩٦٢م).

وغير ذلك من المعاجم التي سارت على هذا النظام.

ومن هنا ندرك السر في تسمية هذه المدرسة باسم المدرسة الحديثة؛ لأنها أسهل المدارس حيث تضع الكلمة تحت الحرف الأول مع مراعاة الثاني فالثالث، ولقد سار على هذه الطريقة حشدٌ كبير من المعاجم التي ألفت حديثاً - كما رأيت.

خامساً: مدرسة المعاني والموضوعات:

أفضل أن أجعل هذا انضمام ضمن المدارس المعجمية؛ لأننا لو أخذنا في الاعتبار المعنى دون اللفظ فإنه يمكن ترتيب ألفاظ اللغة بحسب مدلولاتها حيث تفكر في المعنى الذي تؤديه ثم نحشد له لكلمات التي تؤديه على اختلاف صورها وأصواتها.

ولقد عرفت اللغة العربية هذا النوع من المعاجم ولكنه لم ينتشر، برغم أن أصحاب هذا النوع قد أدوا للغة العربية خدمات جليلة، وأفادوا أصحاب المدارس السابقة من هذه المدرسة فائدة جليلة، وتنسب هذه المدرسة إلى أحد أئمة اللغة والأدب "أبي عبيد القاسم بن سلام"، ومن أشهر معاجم هذه المدرسة أيضاً: "المخصص" لابن سيده، والذي توسع فيه كثيراً، وهذا النوع من المعاجم يقل الإقبال عليه والاهتمام به؛ لأن كثيراً من الألفاظ تأتي لمعانٍ كثيرة، والباحث لا يعرف في أي الأبواب ذكر مطلبه وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحي سواء أكان إنساناً أم حيواناً أم نباتاً، بل هناك من الصفات ما يشترك فيها الكائن الحي والجماد، وهذا مما يصعبُ على الباحث الحصول على مبتغاه، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل، وسوف نتكلم بمشيئة الله تعالى عن أشهر المعاجم فيما يأتي من الدراسة.

## خلاصة الوحدة الأولى

أهمية المعجم:

دارس اللغة بحاجة ماسة إلى استخدام المعجم اللغوي؛ ذلك لأن قدرته على استيعاب المفردات محدودة بمجال ثقافته ومستوى تحصيله؛ وليست أهمية المعجم والحاجة إليه وليدة عصرنا الحاضر بل منذ القدم والإنسان المتكلم باللغة يشعر دائماً بعجزه وقصور فهمه عن الإحاطة بجميع مفردات اللغة.

فمن الشطط أن يظن الإنسان أن كل عربي فصيح يُحتج بلغته كان يعرف كل كلمة تقع على سمعه، ولقد ثبت أن الراسخين في فهم اللغة العربية وفصحها ونوادرها كانوا يجهلون معاني كثيرة في الألفاظ.

وسأل عمر رضي الله عنه الحاضرين وهو على المنبر عن معنى التخوف في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ فسكتوا. فقام شيخ من قبيلة هذيل -وهي من القبائل الحجازية التي كانت تسكن في المنطقة الحضرية- فقال: هذه لغتنا. التخوف: التقص. قال عمر: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها. قال: نعم. قال شاعرنا زهير:

تخوف الرجل منها نامكاً قرداً      كما تخوف عود النبعة السفن

هذه الأدلة، وغيرها الكثير والكثير تدل دلالة لا تُبْس فيها على أن العرب الذين عاشوا في عصور الاحتجاج لا يعرفون معاني جميع الألفاظ التي يسمعونها، بل كان يغيب عنهم بعضها، فإذا كان هذا حال الخُلص في العربية فما بال من جاء بعدهم؟ وخاصة بعد اختلاط العرب بغيرهم وانتشار اللغة العربية بانتشار الإسلام في بقاع كانت لا تعرف العربية.

معنى المعجم:

مادة: (العين والجيم والميم) تدل على الإجماع والخفاء.

ويقول ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب: "اعلم أن (ع. ج. م) إنما وقعت في كلام العرب للإبهام والخفاء وضد البيان والإفصاح".

من هنا يظهر لنا أن المادة الموجودة معنا وهي "الجيم والعين والميم" تدل على الغموض والخفاء وعدم الظهور، فهل يتفق هذا المعنى والمقصود لنا في المعجم، والذي نريد بيانه ومعناه؟

الحقيقة أننا لو قلنا أعجم فلان الكتاب فمعناه أزال ما به من غموض وإبهام، ولا يمكن أن نطلق المعجم على غير هذا فلو جمعنا مثلاً كل ألفاظ اللغة في كتاب ولم نشرحها لا يسمى ذلك معجماً، وكذلك و جمعنا ألفاظاً معدودة وشرحناها لا يسمى هذا العمل معجماً كاملاً، بل المعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة مصحوبة بشرحها شرحاً وافياً - كما ذكرت.

والتاريخ يذكر لنا أن أول من استعمل الكلمة رجال الحديث في القرن الثالث الهجري وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو: "معجم الصحابة" لأبي يعلى أحمد بن المثنى.

### نشأة الفكر المعجمي:

مما تجدر الإشارة إليه أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر تأليف المعجم، بل سبقتهم أمم بقرون كالأشوريين والصينيين واليونانيين، فالآشوريون خافوا على لغتهم أن تضيع فألفوا معاجم ذات ترتيب خاص يغير ما عرف العرب من ترتيب. وكذلك عرف الصينيون المعاجم قبل العرب وأقدم معاجمهم "يويان".

وكذلك عرف اليونانيون المعاجم قبل العرب، وأقدم المعاجم اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس.

أما العرب فلم يعرفوا المعاجم في العصر الجاهلي ويرجع السبب في ذلك إلى أنهم كانوا أمة أمية.

بداية النشاط المعجمي لدى العرب:

من المعروف لدى الباحثين والدارسين أن القرآن الكريم هو الأساس لجميع العلوم والبحوث التي عرفها العرب.

والمعجم العربي يبدأ تاريخه منذ واجه أصحاب رسول الله ﷺ مشكلة فهم القرآن الكريم، وخاصة حينما يجدون بعض الألفاظ التي لا يعرفون معانيها، فيسألون عنها - كما سبق أن ضربت بعض أمثله.

ومن الأمثلة المشهورة أيضًا المحاورة بين نافع وابن عباس وعرفت في التاريخ باسم "سؤالات نافع بن الأزرق".

وكانت هذه المحاورة إحدى المقدمات الأولى لنشأة علم التفسير، كما كانت أيضًا من بين المادة التي ساقها علماء اللغة الأول لنشأة المعجم العربي، غير أنها لم تكن مدونة، بل كانت رواية يعتورها النقص والتعديل من رאו لآخر. ويعزى لابن عباس كتاب "غريب القرآن"، وكانت منه نسخة ببرلين قبل الحرب العالمية الثانية.

وكذلك نسب لابن عباس التفسير الأكبر، رواية ابن أبي طلحة وابن الكلبي، وفي هذا التفسير شرح لمفردات القرآن مع تفسير آياته البيّنات. وسواء أصح أن هذا التفسير وكتاب غريب القرآن من تأليف ابن عباس أم من تأليف من رَوَوْا عنه أو أخذوا منه - فابن عباس ﷺ يعد أول من وضع نواة "المعجم العربي".

أما المعاجم التي عرفت من قبل عند الآشوريين والصينيين واليونانيين فتعدّ معاجم خاصة لا عامة.

ولم يكن القصد عند مؤلفي تلك المعاجم حصر جميع ألفاظ اللغة كما فعل الخليل بن أحمد فشرح ما استطاع من كلماتها شرحًا يزيل غموضها ويكشف عن

غامضها، باستثناء الصين في هذا المجال.

### أسباب تأليف المعاجم:

والذي نرجحه أن الذي مهّد لنشأة المعجم العربي جملةً من الأسباب الدينية والاجتماعية والثقافية.

وأهم هذه الأسباب حراسة القرآن الكريم؛ أما السبب الاجتماعي: فإن حياة البداوة كانت خلال القرن الثاني قد بدأت تزحف على الحواضر، ومعنى ذلك أن المَعِين الذي كان يستقي منه الرواة قد أوشك على النضوب.

أما السبب الثقافي: فإن الرواة والنحاة واللغويين - وفي مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء، وأبو مالك بن كركرة، وأبو خيرة صاحب كتاب الحشرات، والخليل بن أحمد، وسيبويه... وغيرهم - قد توفر لديهم حشد هائل من الروايات اللغوية، وكانوا يحسون دائماً بالحاجة إلى تسجيلها، وتدوين كل حروفها.

أضف إلى الأسباب السابقة: الخوف على اللغة من الانقراض بانقراض الحافظين لها.

### مراحل جمع اللغة:

المرحلة الأولى: جمع الكلمات حيثما اتفق.

المرحلة الثانية: جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد.

المرحلة الثالثة: وفي هذه المرحلة وُضعت المعاجم بحيث يضم المعجم كل الكلمات العربية على نمط خاص ليرجع إليه من يريد البحث عن معنى كلمة أو حقيقتها أو أصلها.

### منهج العلماء في جمع اللغة:

بذل علماء اللغة جهوداً مضنية في جمع اللغة، وكان هؤلاء الأعلام غيراً على اللغة العربية يتلقونها من مصدرها الموثوق بها، فأخذوا أغلب مواد اللغة من كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

ولذلك وجدنا العلماء يفرقون بين القبائل، فيأخذون عن بعضها ويرفضون الأخذ عن البعض الآخر.

وكان علماء اللغة في هذه الأزمنة يذهبون إلى مضارب الفصحاء ومنازلهم؛ رغبة منهم في أخذ اللغة ممن لم تفسد ألسنتهم وسلاتقهم.

وكان علماء اللغة حريصين على اللغة حرصاً شديداً؛ كي تبقى سليمة نقية حتى إن الحرص أدى بهم إلى منع كلمات فصيحة ظنوها غير فصيحة؛ لأنهم لم يطلعوا على مصادقها من كلام العرب.

ومن هنا يتبين لنا مدى الحرص والدقة التي كانت سمة هؤلاء العلماء في جمع اللغة وتدوينها حتى تبقى سليمة نقية صافية، ولقد كان هؤلاء العلماء يعدون هذا العمل أمراً دينياً.

ويذكرون أمر الرسول ﷺ لأصحابه عندما لحن أحدهم بحضرتة: "أرشدوا أحاكم فقد ضل".  
المدارس المعجمية:

المعاجم العربية على كثرتها يمكن حصرها في المدارس الآتية:

أولاً: مدرسة التقلبات الصوتية:

وأنصار هذه المدرسة يضعون الكلمة وجميع تقلباتها تحت أبعد الحروف مخرجاً؛ ولذلك سميت بهذا الاسم.  
ثانياً: مدرسة التقلبات الهجائية:

وهذه المدرسة تنسب لابن دريد صاحب "الجمهرة"؛ لأنه هو المؤسس لها.

ثالثاً: مدرسة القافية:

ومدرسة القافية سميت بهذا الاسم نظراً لأنها تنظر للحرف الأخير من الكلمة، فتجعله باباً، والأول فصلاً.

وأشهر من سار على نظام هذه المدرسة: ابن منظور، والفيروزآبادي.

رابعاً: مدرسة الهجائية العادية:

وهذه المدرسة أخذت بأبسط النظم المعجمية وهو نظام الأبجدية العادية.

وسار على هذا النظام الزمخشري في معجمه "أساس البلاغة"، وسار على

نظام هذه المدرسة:

١- "المصباح المنير" للفيومي (ت ٧٧٠هـ).

٢- "محيط المحيط" للبستاني (١٨٦٩م).

٣- "أقرب المواد" للشيخ سعيد الشرتوني (١٨٨٩م).

٤- "المنجد" للويس معلوف اليسوعي.

٥- "المعجم الوسيط" للمجمع اللغوي المصري (١٩٦٢م).

خامساً: مدرسة المعاني والموضوعات:

لقد عرفت اللغة العربية هذا النوع من المعاجم ولكنه لم ينتشر، برغم أن

أصحاب هذا النوع قد أدوا للغة العربية خدمات جليلة، وأفادوا أصحاب المدارس

السابقة، وتنسب هذه المدرسة إلى أحد أئمة اللغة والأدب "أبي عبيد القاسم بن

سلام"، ومن أشهر معاجم هذه المدرسة أيضاً: "المخصص" لابن سيده.

## اختبار الوحدة الأولى

أولاً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- مادة العين والجيم والميم تدل على:

أ- الظهور والجلاء.

ب- الإبهام والخفاء.

ج- كلاهما خطأ.

٢- التخوف في لغة هذيل يعني:

أ- الإشفاق.

ب- التنقص.

ج- الزيادة.

٣- أعجم ثلاث كتابة:

أ- أزال ما به من غموض.

ب- طوى صفحاته.

ج- ختمه بخاتمة.

٤- المعجم الكامل هو الذي:

أ- يضم كلمات اللغة مقرونة بشروحها.

ب- يضم الكلمات ولا يشرحها.

ج- يضم ألفاظاً محدود مشروحة.

٥- أول من استخدم كلمة معجم من العرب:

أ- رجال الأدب.

ب- رجال الحديث.

ج- الفلاسفة.

٦- أول أمة عرفت المعاجم:

أ- الآشوريون والصينيون واليونانيون.

ب- العرب.

ج- لم تسبق أمة منهم الأخرى.

٧- رائد مدرسة التقلبات الصوتية:

أ- الأزهرى.

ب- أبو علي القالي.

ج- الخليل بن أحمد الفراهيدى.

٨- رائد مدرسة التقلبات الهجائية:

أ- ابن دريد.

ب- ابن سيده.

ج- ابن عباد.

٩- رائد مدرسة القافية:

أ- ابن منظور.

ب- الزبيدي.

ج- الجوهري.

١٠- نسبت المدرسة الحديثة في المعاجم إلى:

أ- اليرمكي.

ب- البستاني.

ج- الزمخشري.

١١- المدرسة المغاني والموضوعات تنسب إلى:

أ- أبي عبيد القاسم بن سلام.

ب- الشرنوبى.

ج- اليسوعى.

ثانياً: الأسئلة المقالية:

١- تزداد الحاجة إلى المعجم اللغوي، وتظهر أهميته في مختلف الأزمنة.

تناول هذا القول بالشرح والتحليل.

٢- ما المعنى العام للمادة (ع ج م)؟ وما المفهوم الاصطلاحي للمعجم؟ وما العلاقة

بين المعنى العام للمادة والمعنى الاصطلاحي؟

- ٣- تتبع الاستعمال التاريخي لكلمة "المعجم" بمفهومها الاصطلاحي، مع بيان دلالات ذلك؟
- ٤- تؤكد الدراسات اللغوية للمعجم العربي أن العرب لم يعرفوا المعاجم في العصر الجاهلي.
- اشرح هذه العبارة على هدي ما درسته مع التعليل لمضمونها.
- ٥- يعد الخليل بن أحمد أول من صنّف معجمًا جديرًا بهذا الاسم. أفصح عن أسباب ذلك.
- ٦- يؤكد اللغويون أن للدين أثرًا عظيمًا في التأليف المعجمي. بين ذلك ووضحه بالأمثلة والشواهد، مع كشفك عن دلالة ذلك وإيجاءاته.
- ٧- لجمع اللغة ضوابط زمانية ومكانية. وضح ذلك.
- ٨- كان بدء التأليف اللغوي في القرن الأول الهجري، وفي القرن الثاني الهجري بُدئ بتأليف المعاجم العربية. تناول هذا القول بالشرح والتحليل.
- ٩- كيف جمع اللغويون اللغة؟ وهل التزم هؤلاء في جمعهم للغة بما وضعوه من أصول وضوابط؟ وضح إجابتك بالأمثلة.
- ١٠- ما المقصود من الدراسة المعجمية؟ ولم تعددت؟
- ١١- تعد مدرسة القافية إحدى مدارس التأليف المعجمي، وهي مدرسة لها فكرها ومقاصدها ورائدها، ومؤلفات تمثل فكرها.
- اذكر هذه النقاط في ضوء ما تمت دراسته لك.
- ١٢- لهذه المدرسة (الهجائية العادية) أثرها في التأليف المعجمي.
- تناول هذا القول تناولاً موضوعياً يؤكد صحته وسلامته.

## النشاط التعليمي للوحدة الأولى

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

- أعد بحثاً حول المعاجم العربية مبيّناً معناها، مع ذكر أقدم المعاجم العربية المعروفة.

- ناقش مع زملائك نشأة الفكر المعجمي، وبداية النشاط المعجمي لدى العرب، وأهم المدارس التي أهتمت بالمعاجم ودراساتها.

- قم بجمع عدد من المقالات - من خلال المواقع المتخصصة على شبكة الإنترنت - حول المعاجم العربية وأهميتها، ثم أكتب مستخلصاً لما استفدته من خلال قراءتك لهذه المقالات.



## الوحدة الثانية

### مدرسة التقلابات الصوتية

مبررات دراسة الوحدة:

الدارس الكريم: هذه إحدى الوحدات المهمة التي لا يمكن لدارس اللغة والمتخصص فيها أن يستغني عما حوته وما انتظمته بداخلها من حقائق لغوية، ودراسة هذه الوحدة تقطع للباحثين والدارسين أن اللغة تتكون من عناصر أربعة، هي: الصوت، البنية، المعنى، التركيب (النحو)، ودراسة أحد هذه العناصر دون العناصر الثلاثة الأخرى لا يعد دراسة صحيحة للغة، كذلك لو درس الدارسون عنصرين دون الآخرين أو ثلاثة عناصر دون رابعها لا تعد دراسة علمية للغة. وفي هذه الوحدة تتعرف على الدراسة الأولى التي عيّنت بجمع اللغة بطريقة حاصرة لا تترك مفردة من مفردات اللغة تكلمت بها العرب إلا وجمعتها.

والمدرسة الأولى التي أرست دعائم المعجم اللغوي للعربية مُسمّاة بمدرسة التقلابات الصوتية، ورائدها الخليل بن أحمد؛ فهو مبتكر فكرتها لأسباب توافرت لديه، وقد درستها وأحطت بها.

وفي هذه الوحدة تقف على فكر هذه المدرسة وفلسفته، كما تتعرف على المعاجم اللغوية التي اتبعت منهج الخليل ونَحَتْ منحاه.

وفي هذه الوحدة تقف على طريقة كل معجم في معالجته للأبنية اللغوية بداخله، كما تقف على مصدره، وما له من مميزات وما عليه من مآخذ، وما بينها من أوجه اتفاق واختلاف كما تتعرف في هذه الوحدة على أثر كل معجم

من معاجمها في التأليف المعجمي وفي الدراسات اللغوية.  
كما تقف على موقف اللغويين من نسبة كتاب "العين" للخليل، فتعرف على رأي المنكرين لهذه النسبة، وما استندوا إليه من حجة أو دليل، كما يتجلى لك أن حجتهم داحضة لا قيمة ولا وزن لها.  
كما تتعرف على رأي مؤيديها وحجتهم في ذلك، ويتجلى لك أن مذهبها للخليل كانوا على طريقة مستقيمة.  
وفي هذه الوحدة يتجلى لك أن الخليل هو المبتكر الحقيقي للتقليبات الصوتية، وهذا ما يؤيده الواقع وتقويهِ الحجة.  
وفي هذه الوحدة تتعرف على تهذيب اللغة للأزهري، وتقف على علة تسميته بتهذيب اللغة، وتقف على هدف الأزهري من تأليفه، كما تتعرف على مصادره ومعايير الصحة والسلامة اللغوية، كما تقف على منهجه في الترتيب والأبنية، وتتعرف كذلك على مميزاته وما أخذ عليه، وما له من أثر في التأليف المعجمي والدراسات اللغوية.  
وفي هذه الوحدة تتعرف على المحيط في اللغة لابن عباد، من حيث التسمية بالمحيط، والغرض من تأليفه، ومنهج معالجته لترتيب المادة اللغوية بداخله، وكذلك ترتيبه للأبنية، كما تتعرف على ما له من مميزات وما عليه من مأخذ، وما له من أثر في التأليف المعجمي والدراسات اللغوية كما تقف كذلك على مصادره.  
وتتعرف كذلك على تأثير مدرسة التقليبات الصوتية في الدراسات المعجمية خاصة واللغوية عامة، وتأكيد هذا التأثير المتمثل في البارع لأبي علي

القالي، و"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، وفيها تتعرف على سر تسمية كل منهما بما سمي به، كما تتعرف على الهدف ومنهج المعالجة، ومصادر كل منهما، وشواهدهما، ومميزات ومآخذ وأثر كل منهما.

وفي هذه الوحدة تتعرف على ما بين هذه المعاجم التي درستها من أوجه اتفاق واختلاف، كما تتعرف على مواضع الضعف والقوة في كل منها. إن دراسة المعنى تُعدُّ لبَّ الدراسة اللغوية وأصلها الأصيل، ولا غنى للباحثين والدارسين عن دراستها والإحاطة بها.

وفي هذه الوحدة تقف على ما أبلاه هؤلاء الأفاضل مؤلفو هذه المعجمات من بلاء حسن، هدفه الأول الحفاظ على هذه اللغة الكريمة ودرء كل خطر عن حماها الكريم رحم الله هؤلاء الأئمة الأفاضل جزاء ما قدموا وبذلوا لخدمة دينهم الكريم، ورفع لغتهم الخالدة خلود الحياة.

الفصل الأول: العين، التهذيب، المحيط

أولاً: العين: هدفه، منهجه

آراء العلماء في نسبته للتحليل:

- المنكرون وأدلتهم.
- للعتلون من المنكرين وأدلتهم، ومناقشة هذه الأدلة.
- المثبتون. - الخليل ودعوى التقليد.
- دحضها وإبطالها. - الخليل والاشتقاق.
- الخليل والدراسات الصوتية.
- العين في ميزان النقد:
- المآخذ، القيمة العلمية للكتاب.
- ثانياً: تمذيب اللغة، مؤلفه، منهجه.
- التهذيب في ميزان النقد:
- مميزاته، المآخذ.
- ثالثاً: المحيط في اللغة، مؤلفه، هدفه، منهجه.
- المحيط في ميزان النقد. - مميزاته.

الوحدة  
الثانية  
مدرسة  
التقليبات  
الصوتية

الفصل الثاني: البارع، المحكم، المحيط الأعظم

للعاجم التي سارت على نظام العين في المغرب:

- البارع: مؤلفه، نخة عن حياته.
- هدفه من معجمه (البارع).
- منهجه، ترتيب الأبواب.
- مميزاته. - المآخذ عليه.
- المحكم، والمحيط الأعظم.
- نخة عن حياة مؤلفه، هدفه، منهجه.
- مميزاته. - المآخذ عليه.
- قيمته.

## الفصل الأول: كتاب العين، التهذيب، المحيط

الأهداف التعليمية للفصل الأول:

عزيمي الدارس: يرجى بعد دراستك لهذا الفصل أن تصبح قادراً على أن:

١- تعلم أن المدرسة الأولى للمعجم العربي هي مدرسة التقلبات الصوتية.

٢- تتقن الكشف في مدرسة التقلبات الصوتية.

٣- تحيط بقواعد منهج الخليل في معجمه إحاطة شاملة.

٤- تعرف أهمية العين وأثره في الدراسات اللغوية.

٥- تعلق لصعوبة البحث في مؤلفات مدرسة التقلبات الصوتية.

٦- تقف على هدف الأزهرى من تأليفه لكتابه "تهذيب اللغة".

٧- تحدد التشابه بين المنهجين: منهج "التهذيب"، و"العين".

٨- تعرف أن معجم المحيط نصح فيه مؤلفه منهج العين واتهذيب.

٩- تدرك أن ابن عباد في معجمه "المحيط" لم يتقيد كل التقييد بمنهج الخليل في

"العين" والأزهرى في "التهذيب" بل كان يخالفهما مخالفة واضحة.

١٠- تعرف أن ابن عباد لم يأت بجديد في الفكر المعجمي حيث نصح في معجمه

منهج الخليل في "العين" والأزهرى في "التهذيب".

١١- تقارن بين هذه المؤلفات المعجمية: "العين"، "التهذيب"، "المحيط" من

حيث: المقاصد الخاصة والعامة، وطريقة معالجة كل منها للبنية، والأثر من

حيث: التأليف والاستدراك.

١٢- تحيط بملامح التأليف المعجمي وتقف على خصائصه وتضع يديك على

مواضع الضعف والقوة للإفادة من ذلك كله.

## الوحدة الثانية

### مدرسة التفليبات الصوتية

من المناسب أن نُجري في تناول هذه المدرسة على النظام التاريخي، فتحدث بشيء من التفصيل عن رائدها ومنشئها، فقد ارتبط تاريخها بل تاريخ المعاجم العربية كلها بشخصية عبقرية ذات تأثير عميق وبعيد كل البعد في شتى المجالات الأدبية واللغوية، هي: شخصية الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب أول معجم في اللغة العربية، وهو: "العين"

### الفصل الأول: العين، التهذيب، المحيط

أولاً: العين<sup>(١)</sup>:

مؤلفه: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ولد في عمان على ساحل الخليج العربي سنة ١٠٠هـ، وتوفي سنة ١٧٥هـ في أرجح الآراء. ونشأ بالبصرة وترعرع فيها وتلقى العلم في مجالسها وأجمع أصحاب الأخبار والآثار على تقديره والإشادة به.

يقول ابن الجزري في ترجمته: "النحوي الإمام المشهور صاحب العروض وكتاب العين... وغير ذلك، وأبوه أول من سمي أحمد بعد النبي ﷺ، وروى الحروف عن عاصم بن أبي النجود وعبدالله بن كثير...".

والخليل صاحب عقلية فذة حيث ابتكر علم العروض على غير مثال سابق وجمع مفردات اللغة في معجمه بطريقة حاصرة لم يسبقه إليها أحد وهو أول

(١) طبعت منه قطعة صغيرة في ١٤٤ صفحة بعناية الأب ماري الكرمل في بغداد سنة ١٩١٤م، ثم ظهر الجزء الأول بتحقيق الدكتور/ عبدالله درويش، بغداد سنة ١٩٦٧م.

نحوي عني بدراسة النحو دراسة علمية منظمة وهو أستاذ سيبويه واضع "الكتاب" دستور النحو العربي، حتى ليعتبره بعض الباحثين المؤلف الحقيقي له وأن سيبويه لم يكن سوى ناقل وراو لتعليم أستاذه.

وكان الدارسون للنحو العربي قبل الخليل يدرسونه على أنه جزئيات يستقل بعضها عن بعض، فلما جاء الخليل سلك مسلك الدراسة العلمية المنظمة، ومن هنا عد زعيماً ومؤسساً لمدرسة البصرة النحوية.

وكان الخليل بارعاً في الحساب والفرائض وفي الأصوات والترجمة، من هنا نجد أنفسنا أمام شخصية غريبة التكوين رحيمة المدى نادرة المثال، فهو -بحق- محدث قارئ نحوي لغوي، عالم بالشعر والأوزان وبالرياضة وبالترجمة. وهو أول من ابتكر الضبط بالشكل والحروف الصغيرة المعروفة لنا الآن، ولم يسبقه إليها أحد.

فماذا بقي بعد ذلك من معارف البشر بعلوم اللغة.

وكان -رحمه الله- متديناً ورعاً تقياً، يقول عنه النضر بن شميل أحد تلامذته: "ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد"، وكان ينشد هذا البيت كثيراً:

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال  
وكان متواضعاً زاهداً.

وليس من هدفنا أن نروي ما أثر عنه من أفاصيص أغرب من الخيال وحسبنا أن نذكره هنا بوصفه وتكوينه كأحد عباقرة الجيل السالف في تاريخ العربية. ويقع الخليل موقع القمة في الدراسات اللغوية بشتى فروعها وصنوفها، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

هدفه من تأليف العين:

لقد كان غرض الخليل الرئيسي هو استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية حصراً شاملاً؛ لأن الرسائل اللغوية السابقة لا تسير في جمع اللغة على أسس علمية ثابتة، ولا يمكن عن طريق هذه الرسائل جمع اللغة وحصرها حصراً شاملاً، كما أنها لا تخلو من التكرار.

ولقد وفقه الله في المنهج الذي يحقق غرضه، وهو منهج الترتيب الصوتي للحروف وتقاليب الأصوات التي تتكون منها الأصول اللغوية، وهي طريقة يؤمن معها التكرار الذي يحتمل حدوثه إذا ما اتبع نظام الرسائل اللغوية التي شاعت في عهده، كما يؤمن معها النقص الذي يحتمل إذا ما نددت عن الذهن لفضة مروية.

منهجه:

أولاً: ترتيب المفردات على أساس صوتي وهو نظام لم يسبق إليه، فقد ألف الناس ترتيبها على أساس تشابه المجموعات (ب ت ث) و(ج ح خ)... إلخ، ولكنه، وهو ذو العقل الرياضي، لم يلجأ لهذا الترتيب التقليدي، بل رتب الحروف الساكنة بحسب مخارجها بادئاً بالحروف الحلقيّة ثم اللسانية ثم الشفوية ثم الهوائية، وجعل كل حرف كتاباً وكان ترتيبه للأصوات على الصورة التالية:

ع ح هـ خ غ - ق ك - ج ش ض - ص س ز - ط د ت - ظ ذ ث - ر ل ن.  
وسمى كل حرف كتاباً وافتتح معجمه بحرف العين، وسماه كتاب العين فكتاب الحاء فكتاب الهاء... إلخ، وأطلق اسم كتابه الأول وهو كتاب العين على المعجم كله؛ لأنه ابتداء به.

ثانياً: نظمت الكلمات تبعاً لحروفها الأصلية فقط، بغض النظر عن الأحرف الزائدة فيها.

ثالثاً: خضع تويب الكلمات لنظام الكمية وسجل الكلمات حسب التقسيم الآتي:

١- الثنائي: وقد قصد به الخليل ما اجتمع فيه حرفان من الحروف الصحيحة ولو مع تكرار ما في أي موضع، فالكلمات قد، قدّ، قدقد كلها تعالج في موضع واحد، علماً بأن الأولى ثنائية و(قدّ) الثانية مضعف ثلاثي وقدقد مضعف رباعي كما هو مشاهد.

٢- أ- الثلاثي الصحيح: وأراد بالثلاثي الصحيح ما اجتمع فيه ثلاثة أحرف صحيحة على أن تكون من أصول الكلمة مثل ضرب.

ب- الثلاثي المعتلّ: ويعني بالثلاثي المعتل ما اجتمع فيه حرفان صحيحان وحرف علة واحد، سواء كان هذا الحرف في موقع الفاء أو العين أو اللام يعني مثلاً أو أجوف أو ناقصاً.

ج- اللفيف: ويعني باللفيف ما كان به حرفاً علة سواء مقروناً أو مفروقاً.

٣- الرباعي.

٤- الخماسي.

وجعل هذه الأبنية الأربعة وهي الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي أساس تقسيم الكتب إلى أبواب.

رابعاً: عالج الكلمة وتقليباتها في موضع واحد، فمثلاً ضرب وتقليباتها ضرب ورضب وبضر، وبرز تعالج في مكان واحد وتحت أبعد الحروف مخرجاً، وهو هنا صوت الضاد، ولا يكرر هذه الكلمات عند الكلام عن الراء أو الباء بل يكتفي بذكرها عند الكلام عن الضاد. ومما تجدر الإشارة إليه أن الثنائي له صورتان والثلاثي له ست صور والرباعي أربع وعشرون والخماسي مائة وعشرون. وهذه التقليبات تشتمل على كلمات وصور غير مستعملة مما جعل الخليل يميز الصور بعضها من بعض بقوله: مستعمل أو مهمل في الأبنية

الثنائية والثلاثية، أما فيما عدا ذلك فيكتفي بإيراد المستعمل فقط، ولا ينص على المهمل؛ لأنه كثير جدًا.

ولنهج الخليل هذا أهمية بالغة عند من يرى أن الكلمات المشتركة في الحروف - وإن اختلفت في الترتيب - تشترك في المعنى أو المصدر الذي تفرع منه، وهذا أعظم دليل على أن الخليل اهتم بالتفسير الاشتقاقي للمواد التي يتناولها، ولم يقف عند شرح المادة وتقالبيها وفروعها على طريق الاشتقاق العام، بل كان يذكر في كل أصل ما تفرع عنه على طريق الاشتقاق الكبير.

والخليل بهذا يعد أسبق من ابن فارس وابن جني إلى فهم الاشتقاق الكبير، وهو دلالة الحروف في كلمة من الكلمات على اختلاف ترتيب هذه الحروف على أصل معنوي واحد.

خامسًا: ألزم الخليل نفسه في منهجه بالترتيب الدقيق، ويمثل هذا: أنه إذا كان بصدد الأفعال ذكر الماضي فالمضارع فالمصدر كأن يقول: "جدعته أجدعه جدعًا". وإذا كانت المصادر تختلف معانيها باختلاف صيغتها فرق بينها، فيقول: "نعق الراعي بالغنم نعيقًا صاح بها زاجرًا، ونعق الغراب ينعق نعاقًا ونعيقًا".

فصيغة نعيق للإنسان والغراب وصيغة نعاق مقصورة على الغراب. سادسًا: أقام الخليل شرح المواد اللغوية على دعائم قوية من الشواهد القرآنية والحديث النبوي الشريف والشعر والأمثال، وطريقته في الاستشهاد ليست منسقة في غالب الأحوال فقد يأتي بالكلمة المعني بها أولاً ثم يعقبها بشاهدها، يقول:

"ملك أعز. أي: عزيز، قال الفرزدق:

إن الذي سمك السما بني لنا بيتًا دعائمها أعز وأطول

وقد يأتي بالشاهد خلال شرحه للمادة لا بعدها، والذي يلاحظ أن الشعر في الاستشهاد في معجم العين هو الدعامة الأولى، ويعتمد عليه اعتماداً كبيراً، ولا غرابة في ذلك؛ "فالشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ"<sup>(١)</sup>.

### آراء العلماء في نسبة العين للخليل<sup>(٢)</sup>

منذ أن ظهر كتاب العين والخلاف حول مؤلفه لا يتوقف عند حد، وذهب العلماء في ذلك مذاهب شتى، منهم من أنكر نسبته للخليل ومنهم من أيدها ومنهم من وقف موقفاً وسطاً، وسوف نعرض لهذه الآراء فيما يأتي:

أولاً: المنكرون:

يرى ليف من العلماء أن الخليل لم يؤلف العين ولا علاقة له به، ومن هذا الفريق ابن النديم وابن فارس وأبو علي القالي وأبو حاتم والنضر بن شميل... وغيرهم. يقول ابن النديم: "لم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد ولا روي في شيء من الأخبار أنه عمل هذه البتة".

ورأي ابن النديم مبني على أن الكتاب لا إسناد له، وهذا غير صحيح، فإسناده ثابت من أكثر من طريق.

الطريق الأول: ذكر ابن فارس في مقاييسه قوله: "أما كتاب العين للخليل بن أحمد فقد حدثني به علي بن إبراهيم القطان فيما قرأت عليه، قال: أخبرنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم المعداني عن أبيه إبراهيم بن إسحاق عن بندر بن لزة الأصفهاني، ومعروف بن حسان عن الليث عن الخليل"<sup>(٣)</sup>.

(١) الزهر (٢/٢٣٥).

(٢) انظر: المعجم العربي للأستاذ حسين نصار.

(٣) المقاييس (١/١).

الطريق الثاني: ما ذكره السيوطي في المزهري من أن أبا علي الغساني روى كتاب العين عن الحافظ أبي عمرو بن عبدالمطلب بن عبد الوارث بن سفيان، عن القاضي منذر بن سعيد، عن أبي العباس أحمد بن حمد بن ولاد النحوي، عن أبيه، عن أبي الحسن علي بن مهدي، عن أبي معاذ عبد الجبار بن يزيد، عن الليث بن المظفر بن سيار، عن الخليل<sup>(١)</sup>.

وأبو علي القالي يقول:

"لما ورد كتاب العين من بلد خراسان في زمن أبي حاتم أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار، ودفعه بأبلغ الدفع، وقد غير أصحاب الخليل بعده مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به، منهم النضر بن شميل ومؤرج وأمثالهما، ثم ظهر الكتاب في زمن أبي حاتم وفي حال رياسته، وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين؛ لأن أبا حاتم توفي سنة خمس وخمسين ومائتين فلم يلتفت إليه أحد من العلماء يومئذ ولا استجازوا رواية حرف منه، ولو صح الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعي واليزيدي وابن الأعرابي وأشباههم إلى تزوين كتبهم وتحليه علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لعلمه، وكذلك من بعدهم كأبي حاتم وأبي عبيد ويعقوب... وغيرهم من المصنفين، فما علمنا أحداً منهم نقل في كتابه عن الخليل من اللغة حرفاً"<sup>(٢)</sup>.

ومما يجعلنا نقف من هذا الرأي موقف الشك أنه يذكر أن النضر بن شميل ومؤرج لا يعرفان هذا الكتاب، وكلاهما قد استدرك عليه.

ويطعن في صحته أيضاً أن القالي كثيراً ما كان يقتبس منه، وهذه الاقتباسات تتفق تماماً مع ما جاء في العين، أضف إلى ذلك أنه عندما رحل إلى

(١) المزهري (١/٩١-٩٢).

(٢) المزهري (١/٨٤-٨٥).

الأندلس قدم كتابه "البارع" للخليفة وكان يفتخر بأنه يزيد على العين حوالي أربعمائة، ورقة ويفوقه في عدد كلماته بحوالي ٥٦٨٦ كلمة، وعدم معرفة أبي حاتم للعين في عهده لا تطعن في نسبه للخليل بن أحمد.

وينسب الإنكار للنضر بن شميل تلميذ الخليل: فقد سئل عنه فأنكره، فقيل له: لعله ألفه بعدك؟ فقال: أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن أحمد؟.

وهذا الخبر مكذوب من أسامه لأمرين:

الأول: أنه نقل عن النضر أنه قال: أقمت بالبادية أربعين سنة، وهذه المدة كافية لأن يؤلف فيها الخليل كتابه.

و الثاني: ألف النضر كتاباً أسماه "المدخل إلى كتاب العين".

وابن فارس أحد الذين نسب إليهم الإنكار يقول:

"قال بعض الفقهاء كلام العرب لا يحيط به إلا نبي، وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً، وما بلغنا أن أحداً ممن مضى ادعى حفظ اللغة كلها، فأما الكتاب المنسوب إلى الخليل وما في خاتمه من قوله: "هذا كلام العرب فقد كان الخليل أروع وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك".

ويرد هذا أن ابن فارس أحد المثبتين للكتاب كما سبق أن ذكرنا ذلك وهو أحد مراجعه التي اعتمد عليها وأشاد بها فيقول: "فأعلاها وأشرفها كتاب أبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد المسمى "كتاب العين".

ويظهر أن ابن فارس كان يريد من هذا أن ينفي عن الخليل هذا القول؛ لأنه كما قال أروع وأتقى في نظره من أن يقول هذا، ولو علم مراده من هذه العبارة ما أنكرها عليه؛ إذ مراد الخليل الأبنية وليس جميع الألفاظ.

ثانياً: المعتدلون من المنكرين:

عرفنا أن الفريق السابق أنكر نسبة كتاب العين للخليل، وقدمنا وجهتهم،

وقمنا بالرد عليهم.

وهنا سوف نقدم فريقاً آخر وهم المعتدلون من المنكرين وأشهرهم: الأزهري وابن راهويه وابن المعتز وثلعب وأبو الطيب اللغوي والزبيدي، وهؤلاء تباينت وجهات نظرهم واختلفت آراؤهم، وإليك طرفاً منها فيما يأتي:

١- الخليل بن أحمد ليس له من كتاب العين إلا الفكرة.

قال النووي في تحرير التنبيه: "كتاب العين المنسوب إلى الخليل إنما هو من جمع الليث عن الخليل"<sup>(١)</sup>.

٢- الخليل ابتدأ تأليف العين ولما عاجلته المنية قبل أن ينجزه أنجزه تلميذه الليث. ويعزى هذا إلى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي بن راهويه قال: "كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلاً صالحاً، وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده، وأحب الليث أن ينفق سوق الخليل فصنف باقي الكلمات وسمى نفسه الخليل. وقال مرة أخرى: فسمى لسانه الخليلي من حبه للخليل بن أحمد، فهو إذا قال في الكتاب: قال الخليل بن أحمد فهو الخليل، وإذا قال الخليل مطلقاً فهو يحكي عن نفسه، فكل ما في الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل"<sup>(٢)</sup>.

٣- الخليل وضع أصول الكتاب فقط، أما مادته العلمية فقد قام بها غيره، ومن قال بهذا الرأي أبو العباس ثعلب فقد قال: "إنما وقع الغلط في كتاب العين؛ لأن الخليل رجل لم يُر مثله، وقد حشا الكتاب أيضاً قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية، وإنما وجد بنقل الوراقين فاختل الكتاب"<sup>(٣)</sup>.

(١) الزهر (٧٩/١).

(٢) الزهر (٧٨/١).

(٣) الزهر (٧٨/١).

وأخذ بهذا الرئي أيضاً أبو الطيب اللغوي في كتابه "مراتب النحويين"، فقال: "أبدع الخليل بدائع لم يسبق لها، فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب "العين" فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتوفي قيل أن يحشوه"<sup>(١)</sup>.  
ومال إليه أيضاً الزبيدي، فقال: "وأكبر الظن فيه أن الخليل سبب أصله ورام تثقيف كلام العرب، ثم هلك قبل كماله، فتعاطى إتمامه من لا يقوم في ذلك مقامه، فكان ذلك الخلل الواقع به والخطأ الموجود فيه"<sup>(٢)</sup>.

٤- الخليل لم يؤلف كتاب العين وحده، بل شاركه فيه غيره.

فهذا ابن المعتز يقول: "كان الخليل منقطعاً إلى الليث فما صنف كتابه العين خصه به، وحظي عنده جداً ووقع منه موقعاً عظيماً، ووهب له مائة ألف درهم وأقبل على حفظه وملازمته، فحفظ منه النصف، وكانت تحته ابنة عمه واتفق أنه اشترى جارية، فغارت ابنة عمه، فأحرق الكتاب، فلما علم اشتد أسفه، ولم تكن عنده نسخة منه، وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه، وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه، وقال لهم: مثلوا عليه واجتهدوا، فعملوا هذا التصنيف الذي بأيدي الناس"<sup>(٣)</sup>.

أدلة هذا الفريق:

الدليل الأول: ما في كتاب العين مما يتصل بالنحو جاء على مذهب الكوفيين فكيف يتفق للخليل وهو شيخ "سيبويه" إمام مدرسة البصرة أن يترك مذهبه إلى مذهب آخر؟.

الدليل الثاني: في كتاب العين أوهام وسقطات شيعة وغلطات معيبة لا

(١) المرهر (٧٨/١).

(٢) مقدمة الصحاح (ص ٧٨).

(٣) معجم الأدياء (١٧/٥٤٦)، والمرهر (٧٧/١).

تصدر من طلبة الخليل أنفسهم مما جعل العلماء يشكّون في نسبة العين للخليل.  
الدليل الثالث: في العين روايات عن متأخرين ولدوا بعد الخليل بكثير.  
مناقشة هذه الأدلة:

لعل اشتغال العين على مسائل تتفق ومذهب الكوفيين راجع إلى ما كان بين المدرستين من الخصومة، مما حمل بعض الكوفيين على التغيير في العين ليكون حجة لهم على البصريين عندما يستدلون على تأييد آرائهم بقول رائد مدرسة البصرة الأول الخليل بن أحمد.

وإلا فإن الآخذ بهذا الدليل - في نفي نسبته إليه - ينفي نسبته إلى الليث أيضاً؛ لأنه تلميذه وحامل مذهبه وآرائه.

وأما من جهة الخط والتصحيح والرواية عن المتأخرين فهو من النسخ؛ إذ من المحتمل أن تكون دخلت في صلب الكتاب، وهي خارجة عنه، وإذا كان هذا محتملاً سقطت هذه الأدلة.

ثالثاً: المثبتون:

وبعد أن عرضنا آراء المنكرين على اختلاف وجهاتهم، وقمنا بدحض أدلتهم بالحجة الدامغة، لا يبقى لنا إلا أن نقول -باطمئنان-: إن العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب الذهن الصافي، والعقلية الرياضية الفريدة في نوعها، وما حصل فيه إنما هو دور الرواية فقط.

ومن قال بهذا الرأي من اللغويين القدماء: ابن دريد وابن الأنباري، ومن المحدثين المستشرق "براونلتش".

يقول ابن دريد في مقدمة الجمهرة: "ولم أجد في هذا الكتاب إلا الازدراء وإلا الطعن في أسلافنا، وأنا على مثالهم نحتذي وبهم نفتدي... ولقد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي كتاب "العين" فأتعب من تصدي

لغايتها وَعَيَّ من سماء إلى نهايته... فكل من بعده له تبع أقرَّ بذلك أم جحد".

وابن الأنباري يقول: "إن الخليل أول من ضبط اللغة وأملى كتاب العين على الليث بن المظفر". أما "براونلتش" فأنتهى البحث به إلى نسبة العين إلى الخليل بن أحمد، وعلل ذلك بأن كلمة الجميع قد التقت على أن التنظيم والترتيب من عمل الخليل، وهذا هو المراد بكلمة التأليف عند إطلاقها".

أما ما اعتراه من زيادة وحذف فلا يقدر في تأليفه للكتاب، وهو لا يغمط الليث حقه فيذكر ما كان له من جهود في نقل الكتاب عن أستاذه الخليل، ولا ينكر عليه إضافة شيء إليه بعد أن يقره أستاذه عليه.

وانتهى إلى القول: بأن العين ألفه الخليل وأخرجه الليث.

وقد أثبت الدكتور عبدالله درويش في رسالة الدكتوراه التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من لندن أن العين لمخليل. وكانت هذه الرسالة عن كتاب العين.

### الخليل ودعوى التقليد

ادعى البعض أن الخليل بن أحمد اقتبس منهجه في العين من اليونان، ظناً منهم أن الخليل كان يعرف اللغة اليونانية من حنين بن إسحاق المشهور في الطب، جاء في عيون الأنباء في ترجمة حنين: "وكان شيخه في العربية الخليل بن أحمد ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد"<sup>(١)</sup>.

وجاء فيها أيضاً: "أن حنين بن إسحاق كان يشتغل في العربية مع سيويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل"<sup>(٢)</sup>.

من هذين النصين تظهر ملازمة حنين بن إسحاق للخليل، وبما عرف عن الخليل من ذهن ثاقب وفكر وع - أمكن له أن يجيد اليونانية، ومن هنا بنى هؤلاء

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (١/١٨٤-١٨٥).

(٢) نفسه (١/١٨٩)، وانظر: مقدمة الصحاح (ص ٨١).

زعمهم هذا، وهو أن الخليل قلد اليونانيين في منهجه وطريقته في معجمه.  
والحق أن الخليل بن أحمد لم يلتق بحنين إطلاقاً؛ لشيء بسيط وهو: أن وفاته  
كانت سنة ١٧٥هـ، وحنين ولد سنة ١٩٤هـ، فكيف تأتي لحنين أن يتلمذ على الخليل؟  
وبذلك تنتفي الصلة بين الخليل وبين حنين بن إسحاق، وتسقط دعوى  
الاقتباس من اليونانية.

أضف إلى ذلك أنه لم يثبت أن اليونانيين ألفوا معجماً يسير على طريقة  
الترتيب الصوتي، كما فعل الخليل.  
إذاً الخليل لم يقتبس من اليونانية.  
وادعى البعض أيضاً أن الخليل اقتبس فكرته من الهنود، وبني هذا الفريق  
دعواه على ما يأتي:

- ١- الصلة بين الهنود وجزيرة العرب منذ القدم.
- ٢- زيادة هذه الصلة وقوتها بعد الإسلام.
- ٣- وجود عدد كبير من الهنود في الخليج، وخاصة الذين كانوا يعملون محاسبين  
لتجار العراق في البصرة وبغداد وباقي المدن، وكان فيهم علماء مثقفون.
- ٤- اللغة السنسكريتية ترتب هجاءها على حسب مخارجها مبتدئة بأبعد الحروف  
مخرجاً، ومنتية بأحرف الشفة كما فعل الخليل بن أحمد في منهجه.  
ونستطيع أن ندحض هذه الدعوى بالأمر الآتية:

١- على فرض أنه توجد طريقة لمؤلف في لغة من اللغات فهذا لا يمنع أن يصل  
إلى مثلها مؤلف آخر في لغة أخرى باجتهاده وابتكاره، وخاصة إذا كان ذا  
عقلية كعقلية الخليل.

٢- ليس من الإنصاف أن نقول: إن الخليل اتبع ترتيب الهند لمجرد وجود هذا  
الترتيب في اللغة الهندية، على حين أنه لم يذكر أحد أن الخليل كان يعرف

هذه اللغة.

٣- ليس من السهل نقل ترتيب بحذافيره من لغة إلى لغة أخرى، لاختلاف النطق بين لغة وأخرى وبين جنس وآخر.

٤- أضف إلى ذلك أن ترتيب المهجاء في اللغة السنسكريتية ليس هو ترتيب الخليل.

٥- وفوق كل ذلك أنه لا يوجد للهنود في هذا الزمن معجم معروف، فكيف يتأتى للخليل أن يقلدهم.

والحق أن الخليل مبتكر المنهج والطريقة وليس مقتبساً من اليونانية ولا السنسكريتية.

وهذا النظام الذي ابتدعه يتفق تماماً مع الجو الذي كان يعيش فيه، جو الأصوات والموسيقى والعروض، فلقد نظر في جهاز النطق عند الإنسان وتعرف على حدوده وأجزائه المختلفة في تذوق حروف العربية حرفاً حرفاً؛ ليتبين مدرجة كل حرف ومخرجه، وفي نهاية المطاف استقر له ترتيب صوتي مبني على موقع كل صوت في هذا الجهاز، وقد راعى في ترتيبه لهذه الحروف أن بدأ بالحلقية ثم اللسانية ثم الشفوية ثم الهوائية - كما سبق أن بينت ذلك.

الخليل والاشتقاق:

لقد كان للخليل بن أحمد اليد الطولى في ظهور نوع جديد من الدراسات اللغوية وهو الاشتقاق، ففكرة تقاليب الحروف في أبنيتها لحصر الصور الممكنة للكلمات كان البذرة التي أنبتت هذه الدراسة، وأثمرت عند ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ، وابن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ، وابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

حيث ألف ابن دريد كتابه المشهور "الاشتقاق" وفيه حاول أن يرد أسماء القبائل العربية وأفخاذها وبطونها وأسماء سادتها وفتياتها وشعرائها وفرسانها وحكامها إلى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء، وصنع ابن دريد هذا نوع

من التقليب الذي ابتكره الخليل، وعنه أخذ ابن دريد في جمهرته وفي كتابه الاشتقاق، وابن دريد لاشك أنه توسع توسعاً كبيراً في هذه الفكرة. وابن فارس ألف كتابه المقاييس وعمق فكرة الاشتقاق ووسعها هو الآخر، وقد اعترف ابن فارس بفضل الخليل في هذا الشأن. وابن جني حاول في كتاباته الكثيرة في هذا النوع من الدراسة أن يذهب إلى مدى أبعد وأوسع، فذكر ما أسماه: "الاشتقاق الأكبر"، ومعناه إرجاع المادة الواحدة وجميع تقاليبيها إلى أصل مشترك في معنى واحد، فيقول: "أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه" ونجد ابن جني يمثل لقاعدته هذه بالأصل "ك ل م" فيقلب تصاريفه كلها وفي رأيه أنها جميعاً تشترك في معنى القوة والشدة<sup>(١)</sup>.

ونظرة واحدة لما يأتي به ابن جني وتصاريف الكلمة وقلبها على الصور الممكنة لها يتضح لنا أنه هو بعينه نظام التقاليب الذي ابتكره الخليل، ولا يوجد فرق بين ابن جني والخليل سوى أن ابن جني وجه عنايته للبحث وراء المعاني المشتركة لهذه التقاليب، وهو ما يعرف بدوران المادة حول معنى واحد، أما الخليل فكان كل همه هو جمع الصيغ للكلمات المشتركة في الحروف المعينة.

وهناك فرق آخر بينهما، وهو أن ابن جني لم يكتف بهذا القدر وهو المعنى الكلي المشترك، بل انطلق من ذلك إلى استغلال فكرة التقاليب هذه في وضع فكرة أخرى، ونظرية ثانية، وهي ربط الأصوات بالمعاني، ومحاولة إيجاد علاقة بين اللفظ والمعنى، وهو ما أسماه إمساس الألفاظ أشباه المعاني.

وقد طور ابن جني فكرته الثانية حتى أصبحت يهتدى بها في مسائل النقد

(١) انظر: الخصائص (١/١٢٤-١٢٥).

الأدي فيما بعد.

وعلى الجملة فالخليل وضع أساس الاشتقاق ثم تتابعت الدراسات في هذا الفرع بعده، وراج سوقه في عصرنا، وكثرت فيه الأبحاث والمؤلفات<sup>(1)</sup>.  
الخليل والدراسات الصوتية:

سبق أن ذكرنا أن الخليل سار في العين على الترتيب الصوتي، والحق أن هذا المبدأ كان المنطلق الحقيقي لدراسات الصوتية في اللغة العربية، فلقد نجح علماء اللغة العربية بعد الخليل نجاحًا يستحق الثناء والإكبار، وما أن وضع الخليل بن أحمد فكرة الترتيب الصوتي، حتى أخذها عنه تلميذه وحامل علمه "سيبويه"، وأدخل على هذا الترتيب تطويراً أو تبديلاً، ومن هنا خالف سيبويه أستاذه في الكثير من جزئيات هذا الترتيب.

فترتيب احروف عند سيبويه على الوجه التالي:

أ هـ - ع ح - غ خ - ك - ق - ض - ج ش ي - ل - ر - ن - ط  
د ت - ص ز س - ظ ذ ث - ف - ب م و.

ومن هنا يظهر جلياً أن سيبويه سار على الترتيب الصوتي الذي بدأه الخليل، ولكنه أدخل عليه تطويراً وتعديلاً ومن أهم ما خالفه فيه هو موقفه من الهمزة؛ حيث جعلها أول الأصوات العربية وأبعدها في المخرج، وسيبويه بصنيعة هذا يوافق البحث الصوتي الحديث الذي أثبت أن الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجاً، فهي من فتحة المزمار، والوتران الصوتيان عند النطق بالهمزة لا يوصفان بالاهتزاز ولا بعدهم.

واستطاع سيبويه أن يفيد كذلك من تصنيف الخليل للأصوات إلى مجموعات، بحسب قربها أو بعدها في المخرج، ونقل عنه كذلك الكثير من المصطلحات

(1) انظر: الاشتقاق وأثره في النمو اللغوي للمؤلف.

والعبارات الصوتية، وكان تطوير سيبويه لعمل أستاذة الخليل هو الأساس لعلماء العربية في مجال الأصوات وقد شاع منهجه كما انتشرت أفكاره الصوتية في جميع المجالات وتلقفها عنه علماء اللغة والقراءات والبلاغيون والصرفيون.

ويكفي أن نضرب بعض الأمثلة فقط؛ حتى تتضح لنا هذه الحقيقة، فمن علماء القراءات ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ في كتابه "النشر في القراءات العشر".

ومن علماء البلاغة السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦هـ.

وأما الصرفيون فقد استفادوا بالدراسة الصوتية التي بدأها الخليل وطورها وعدلها سيبويه في علاجهم لباب الإدغام.

وأما اللغويون فعلى رأسهم ابن جني الذي برز في هذا المجال من الدراسات فلقد فاق الخليل وسيبويه بما قدم من تعريفات وتفصيلات ووضع مناهج وتحليل للأصوات، ويظهر هذا جلياً في كتابه "سر صناعة الإعراب"، والذي يدل على نضج واكتمال الدراسات الصوتية عند اللغويين في القرن الرابع الهجري.

فالنبور وضعها الخليل، وتعهدا سيبويه بالرعاية، ثم حان قطفها عند ابن جني.

ولسنا بصد يان ذلك بالتفصيل ويكفيها هذه الإشارة الموجزة عن هذه الدراسة.

### العين في ميزان النقد

الماخذ:

١- صعوبة البحث فيه ومشقة الاهتداء إلى اللفظ، وذلك راجع إلى الترتيب حسب المخارج والأبنية والتقاليب، وهذا المأخذ توجه إلى جميع المعاجم التي سارت على نظام العين.

٢- التصحيف، وهذا المأخذ أتمه به أكثر الباحثين، وأكثرهم تحاملاً عليه الأزهري في تمذيه. وقد أورد السيوطي في المزهرة ما أخذ على العين من التصحيف، وهو ما يقارب السبعين، وعلل الدكتور أحمد أمين ذلك بأن

الكتابة لم تكن تنقط وحروف اللغة العربية متقاربة في الشكل.

٣- انفراده ببعض الألفاظ، فلقد أخذ عليه أبو بكر الزبيدي في استدراكه انفراده بكثير من الألفاظ مثل قوله: "التاسوعاء اليوم التاسع من المحرم..." ويقول أبو بكر الزبيدي: "لم أسمع بالتاسوعاء، وأهل العلم مختلفون في عاشوراء، فمنهم من قال إنه اليوم العاشر من المحرم، ومنهم من قل إنه اليوم التاسع".

٤- أخطاء صرفية كذكر حرف مزيد في مادة أصلية ومثاله: "التحفة مبدلة من الواو، وفلان يتوحف. قال الزبيدي: ليست التاء في التحفة مبدلة من الواو؛ لوجودها في التصاريف، وقوله يتوحف منكر عندي".

ومما لا شك فيه: أن هذه دنات ويشفع له أنه أول معجم في اللغة العربية، وهذه الأشياء ربما تكون دخلت المعجم من النساخ أو من الوراقين والمأخذ الأول يوجه لجميع المعاجم التي سارت على هذا المنهج، أضف إلى ذلك أن الصعوبة مردها: ضعف الملكة عندنا الآن؛ فالملكة اللغوية كانت في العهود السابقة أقوى منها الآن، فلعل الصعوبة مردها إلينا نحن، أما على عهده فقد كانت هذه الطريقة سهلة وميسرة.

القيمة العلمية للكتاب:

لقد تعرضنا خلال كلامنا لأهمية كتاب "العين" في الدراسات الصوتية، وبينّا ما أحدثه في هذه الناحية، وكذلك تعرضنا لما أحدثه فيما يعرف بظاهرة الاشتقاق، ولا داعي لتكرار الحديث في ذلك، ولأهمية كتاب "العين" في مجال الدراسات المعجمية قامت حوله أبحاث كثيرة شرحاً واستدراكاً عليه، ونضرب على سبيل المثال لا الحصر "مختصر العين" لأبي بكر الزبيدي والاستدراك له أيضاً. و"فائت العين" لأبي عمر الزاهد و"التكملة" لأبي حامد البشتي و"الاستدراك لما أغفله الخليل" لأبي الفتح الحمذاني، وغير ذلك من الدراسات والأبحاث.

وكان ظهور هذا المعجم الدافع الحقيقي إلى قيام دراسة لغوية جديدة في

البيئات العربية، وهي صناعة المعاجم بالمعنى العلمي الدقيق، فلقد كانت الدراسات اللغوية في مجال الثروة اللفظية قبل ظهور هذا المعجم مقصورةً على رسائل لغوية صغيرة في موضوع واحد، وكانت محرومة من فكرة الشمول وتنويع المفردات، حتى جاءت هذه الموسوعة العلمية الفريدة في نوعها في ذلك الوقت وسدّت هذا النقص، وكانت فتحًا لطريق جديد من طرق دراسة اللغة ولا يزال أثرها ممتدًا حتى وقتنا الحاضر.

وللعين أهمية فريدة في بابها وهي جملة من المصطلحات اللغوية تناقلتها عنه الكتب اللغوية، واستفاد منها الدارسون حتى الآن من ذلك:

"الذلاقة والإصمات والنطع والشجر... إلخ"، وهو أول كتاب لغوي يحمل ألقاب الحروف، حين قال: "فالعين والهاء والغين حلقيه؛ لأن مبدأها من الحلق، والقاف والسين والزاي والضاد شجرية؛ لأن مبدأها من شجر الفم، أي: مفرج الفم، والصاد والسين والزاي أسلية؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مسترق طرف اللسان، والطاء والتاء والذال نطعية؛ لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى... إلخ". وعلى الجملة فإن موارد هذا الكتاب أصبحت مرجعًا علميًا في جميع فروع اللغة المختلفة، من نحو وصرف وبلاغة وأصوات ولهجات ومعان، ولا يكاد يخلو كتاب لغوي من الاعتراف من هذا البحر الممتلي بالكنوز.

والحق أن الخليل رائد التأليف المعجمي، ويقع في مركز الصدارة في علوم العربية ودراساتها، وكان وما يزال علمًا شامخًا ومنارة مضيئة لكل باحث في لغة القرآن الكريم على أيّ مستوى من مستويات البحث في كل عصر وفي كل بيئة من البيئات العربية، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ثانيًا: تهذيب اللغة<sup>(١)</sup>:

مؤلفه: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ولد سنة ٢٨٢هـ، وتوفي سنة

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ/ عبدالسلام هارون وآخرين في القاهرة سنة ١٩٦٤م-١٩٦٧م.

٣٧٠هـ، والأزهري إمام عظيم من أئمة اللغة، وحجة من حججها، ولم تكن اللغة كل علمه بل اشتهر بما؛ لأنها غللت على علومه الأخرى كالفقه والحديث والتفسير. هدفه من تأليف التهذيب:

إذا رجعنا إلى مقدمة التهذيب استطعنا أن نقف على الهدف الذي كان يرمي إليه وهو: تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقيه ومعاصريه حتى نستطيع فهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، يقول في المقدمة: "وقد سميت كتابي هذا تمذيب اللغة؛ لأني قصدت بما جمعت فيه ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغنم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي التصحيف والخطأ بقدر علمي". وكان الحافز له على هذا العمل ثلاثة أشياء، هي<sup>(١)</sup>:

- ١- تقييد ما سمعه من أفواه العرب الذين عايشهم وأقام بينهم؛ وذلك لأنه كان قد وقع في أسر انقراطة، وكان أسروه من العرب الخالص من هوازن وتميم وأسد.
- ٢- تصحيح ما دخل كتب اللغة من أغلاط، وتصحيقات وتمذيها من جميع ما لحقها وكدر صفوها.
- ٣- النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين وإفادتهم جميع ما يحتاجون إليه؛ عملاً بحديث الرسول ﷺ: "ألا إن الدين النصيحة لله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>(٢)</sup>.

والأسس التي اعتمد عليها في الصحة ثلاثة أمور، وهي:

- ١- السماع من العرب.
- ٢- الرواية عن الثقات.
- ٣- النقل عما خطه العلماء بشرط موافقته لما وصل معرفته.

(١) مقدمة التهذيب (٦/١)، تحقيق الشيخ عبدالسلام هارون، ط. المؤسسة العربية العامة للتأليف والأنباء والنشر (الدار المصرية للتأليف والنشر).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان: باب بيان أن الدين النصيحة (١/٧٤) (ح ٩٥)، عن تميم الداري.

ومما لا شك فيه أن هذا المجهود الجبار الذي بذله الأزهرى في معجمه يتناسب مع ما كان يرمى له ويهدف له من وراء تأليف معجمه هذا، وهو كما صرح به بقوله: "لغات العرب التي بها نزل القرآن... أنزل الله جل ذكره بلسانكم وصيغة كلامهم الذين نشأوا عليه وجُبلوا على النطق به... فعلينا أن نجتهد في معرفة ضروب خطاب الكتاب، ثم السنن الميينة لمجمل التنزيل، الموضحة للتأويل؛ لتنتفي عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزيغ والإلحاد، ثم على رؤس أهل الأهواء والبدع الذين تأولوا بأرائهم المدخولة، فأخطأوا وتكلموا في كتاب الله ﷻ بلكتهم العجمية دون معرفة ثاقبة فضلوا وأضلوا".

ومن هنا يظهر لنا جلياً أن الجهد الذي بذله الأزهرى في تفتية اللغة والحرص على سلامتها وتخليصها مما لحقها من أخطاء كان يرمى إلى هدف ديني خالص.

منهجه:

خالف الأزهرى الخليل مخالفة يسيرة في تقسيم الأبواب<sup>(١)</sup> كما خالفه في المادة التي وضعها في كتابه وفي غير ذلك نجده يحذو حذو الخليل ولا يكاد يخرج عن طريقه فنظام التقلبات الصوتية هو نفس نظام الخليل، يقول في مقدمة كتابه: "ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس للمجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه بعد تلقفه إياه عن فيه، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه ورسمه، فرأيت أن أحكيه بعينه لتأمله وتردد فكرك فيه، وتستفيد منه ما بك الحاجة إليه، ثم أتبعه بما قاله النحويون، مما يزيد في بيانه وإيضاحه".

والذي يرجع لمقدمة التهذيب ومقدمة العين يجد التشابه بينهما واضحاً، بل

(١) فسمي كل حرف باباً وكل بناء كتاباً وحمل الأبنية ستة وهي: كتاب الثنائي المضعف، وكتاب الثلاثي الصحيح، وكتاب الثلاثي المهموز، وكتاب الثلاثي المعتل، وكتاب الرباعي، وكتاب الخماسي.

تكاد تكون مقدمة التهذيب هي نفس مقدمة العين، فالأزهري اقتبس من الخليل ما يتعلق بالحروف ومخارجها وصفاتها... وغير ذلك، دون أن يغير شيئاً.

وزعم أنه اتبع الخليل وسار على طريقه خطوة خطوة إلا أنه خالفه في المهموز وأحرف العلة حيث أفرد المهموز على المعتل أحياناً، عكس الخليل الذي جمع المهموز مع المعتل.

وبرزت شخصية الأزهري بروزاً في جميع المواد مرجحاً ومفسراً للمواد وواضعاً للقواعد وناقداً أحياناً، فيقول: "وقال بعضهم رجل مذدع إذا كان دعياً، قلت: ولم يصح لي هذا الحرف من جهة يوثق به، والمعروف بهذا المعنى رجل (مدغدغ)، وكان في بعض نقوده يعتمد على أقوال غيره، فيقول: "أبو عبيد عن الفراء: العجاجة: الإبل الكثيرة، وقال شمر: لا أعرف العجاجة بهذا المعنى".

ومما يسترعى الانتباه في التهذيب عنايته بالشواهد القرآنية والحديث عناية تناسب ما عرف عنه من ربط القرآن الكريم والدين باللغة، وكان كثيراً ما يستشهد بالقراءات القرآنية مثل قوله: "قال الله ﷻ: ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخِطَابِ﴾ [القصص: ٣٢] معناه: غلبني، وقرأ بعضهم<sup>(١)</sup>: (وعازني في الخطاب) أي غالبني. وأما قول الله ﷻ: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ [يس: ١٤] فمعناه قويناه وشددناه، وقال الفراء ويجوز عززناه مخففاً بهذا المعنى كقولك شددنا".

ويلاحظ في التهذيب كثرة ورود المترادفات في الموضع الواحد وتفسيرها معاً ومثال ذلك قوله: "سمعت العرب تقول: كنا في هنة من الكأ وقة وثنة وعائكة من الكأ. بمعنى واحد، أي: كنا في كأ كثير وخصب"<sup>(٢)</sup> فهو هنا أورد أربع كلمات بمعنى واحد.

(١) هي قراءة عبدالله، وأبي وائل، والضحاك، والحسن تفسر أبي حيان (٣٩٢/٧).

(٢) التهذيب (١١٣/١).

ويكثر في التهذيب أيضًا عنايته بالنوادير مثل قوله: "وفي النوادر عج القوم وأعجوا وأهجوا وحجوا، إذا أكثروا في فنون الركوب"<sup>(١)</sup>.

التهذيب في ميزان النقد:

التهذيب لم يأت بمجديد في منهج التأليف المعجمي - كما رأينا سابقاً - بل اتبع منهج الخليل في التقلبات الصوتية، اللهم إلا بعض التعديلات في البنية. هذا من ناحية المنهج.

مميزاته:

- ١ - عنايته بالشواهد القرآنية والحديث النبوي الشريف.
  - ٢ - أمانته العلمية في النقل حين يذكر أسماء من ينقل عنهم.
  - ٣ - عنايته بالنوادير والمترادفات.
  - ٤ - عنايته بالبلدان والأماكن والمياه حتى عُدَّ من أصح المصادر في هذا السبيل.
  - ٥ - بروز شخصية الأزهري في المواد بالتعليق والشرح والنقد.
  - ٦ - غزارة المادة العلمية نتيجة اطلاعه على كثير من مؤلفات من سبقه.
  - ٧ - التزامه في الغالب الكثير لما صح عن العرب وإهماله لما لم يصح؛ ولهذا سمي معجمه تهذيب اللغة.
  - ٨ - ينبه إلى المهمل كما ينبه إلى الكلمات التي أهمل ذكرها بعض العلماء، فهو يقول في أبواب الهاء والشين: "هبش أهمله الليث".
- وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي أنه قال: الهبش: ضرب التلف، وقد هبشه إذا كان أوجعه ضرباً، وقال اللحياني: هو يهبش لعياله ويهبتش، ويحرف ويحترف ويخترش ويخترش معناها: يكسب ويطلب ويحتال.
- وقال الأصمعي: الهباشة والهباشة الجماعة من الناس. وقال الرؤاسي: إن

(١) التهذيب (٦٧/١)، مادة عج وكذا في اللسان والقاموس: "أكثروا في فنون الركوب".

المجلس ليجمع هباشات وحباشات، أي ناساً ليسوا من قبيلة واحدة، وقد تحبشوا أو تحبشوا إذا اجتمعوا، ومنه قول رؤبة:  
لولا هباشات من التهيش لصبية بأفرخ العشوش  
الماخذ:

١- صعوبة الأخذ؛ لسيره على نظام التقلبات الصوتية.

٢- التكرار نتيجة جمعه أقوال كثيرة في تفسير اللغة الواحدة.

٣- لم يأت بجديد في التأليف المعجمي من الناحية المنهجية؛ حيث أخذ منهج الخليل وسار عليه.

٤- تحامله وتجرّجه لبعض علماء اللغة دون وجه حق، مما يتنافى وشخصية عالم جليل مثل الأزهري.

وصفوة القول أن هذه المأخذ تتضاءل أمام الجهد الخلاق الذي قام به الأزهري لتنقية اللغة وتخليصها من الأخطاء التي لحقتها، ومما يذكر له بالعرفان والجميل عنايته الفائقة بالقراءات القرآنية والشواهد القرآنية والحديث النبوي الشريف مما جعله محط أنظار الكثير وأدخله بعض اللغويين في معاجمهم مثل الصاغاني في كتابه العباب، وابن منظور يجمع بينه وبين غيره في لسانه، وأفاد منه الرازي في مختار الصحاح.

ثالثاً: المحيط في اللغة:

مؤلفه: الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس، ولد سنة ٣٢٦ هـ، وتوفي سنة ٣٨٦ هـ. الوزير المشهور الذي غلب عليه الأدب، ولقب بالصاحب لصحبته لمؤيد الدولة الذي عينه في منصب الوزير، واستمر في الوزارة حتى عهد أخيه فخر الدين بن بويه الديلمي.

هدفه من تأليفه:

لا نستطيع على وجه الدقة أن نحدد هدفه من تأليفه؛ لأنه لا يوجد منه

سوى الجزء الثالث في دار الكتب المصرية، ويحتوي هذا الجزء على ٢٧٤ ورقة إلا أنه يمكننا القول بأنه كان يهدف إلى المساهمة في الفكر المعجمي بجمع أكبر قدر من المواد اللغوية حيث يمتاز هذا المعجم بكبر حجمه عن المعاجم التي ظهرت في القرن الرابع الهجري، يقول عنه القفطي: "صنف كتاباً في اللغة العربية كثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر"<sup>(١)</sup>.

منهجه: نصح ابن عباد في معجمه نصح الخليل في العين والأزهرى في التهذيب، حيث اتبع نظام الخليل في ترتيب الحروف حسب المخارج، ووضع الكلمة وجميع تقلبياتها في مكان واحد كما فعل الخليل.

ولم يتبع الخليل في البنية؛ بل سار على نصح الأزهرى، حيث قسم الأبواب إلى الثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل واللفيف والرباعي والخماسي.

إلا أن ابن عباد لم يتقيد بمنهجهما كل التقيد؛ بل كان يخالفهما مخالفة واضحة في معجمه، وبخاصة في إغفاله الشواهد والمراجع وذكر أسماء من نقل عنهم من اللغويين ومؤلفاتهم إلا على سبيل الندرة.

وانفرد عنهما بكثير من الألفاظ والصيغ والمعاني، مما جعل معجمه يزيد زيادة كبيرة في الحجم عنهما، ولا غرابة في ذلك فقد ذكر الرواة أن خزانة كتبه حمل أربع مائة جمل.

المحيط في ميزان النقد:

المحيط أوسع معجم حتى عصره؛ فهو وإن كان أغفل الكثير من الشواهد

(١) إنباه الرواة (٢١١/١).

إلا أنه يستعاض عنها بالمواد الكثيرة؛ ولذا نرى أنه يمتاز بعدة أمور، هي:

- ١- السعة والشمول لمواد لم تكن من بين مواد المعاجم السابقة.
  - ٢- عنايته بالعبارات المجازية، فيقول: "ناقة ذات أبنار" أي كثيفة اللحم متظاهرة، "وحرث ذات نيرين" أي شديدة "وبين القوم منائرة ونائرة ونيرة" أي شر ومنافرة: "وأنار فلان بفلان" بمعنى صات به.
  - ٣- ومن الملامح الخاصة بهذا المعجم الاختصار مما جعله لهذا السبب لا يعتني كثيراً بالأعلام والأماكن الجغرافية إلا المأماً.
- ويؤخذ عليه:

- ١- تقليده من الشواهد بدرجة كبيرة؛ إذ كان همه المواد نفسها.
- ٢- عدم ذكر من أخذ عنهم من اللغويين.
- ٣- الاضطراب في مواد الرباعي والخماسي، حتى إنه وضعها في النوعين.
- ٤- لم يجدد في الفكر المعجمي بل سار على نهج الخليل ولأزهري.
- ٥- أخذ عليه بعض اللغويين بعض التصحيف.

ولا شك أن هذه هنات بجانب المواد الكثيرة التي انفرد بها، مما كانت سبباً في تضخم هذا المعجم عما سبقه، مما جعل الصاغانى يأخذ عنه الكثير في كتابه العباب.

## الفصل الثاني: كتابا "البارع"، و "المحكم والمحيط الأعظم"

الأهداف التعليمية للفصل الثاني:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذا الفصل أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تعلم أن البيئة الأندلسية إبّان ازدهار الحضارة الإسلامية في أسبانيا أنبتت "البارع" للقالي، و "مختصر العين" للزيدي، و "المحكم" لابن سيده.
- ٢- تقف على هدف القالي في معجمه "البارع" متمثلاً في نقله الحركة المعجمية التي ظهرت في الشرق.
- ٣- توقن بأن القالي أصلح بعض الاضطراب في أبواب الخليل، حيث فرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد.
- ٤- تثبت عنايته الشديدة بضبطه الألفاظ التي يخاف عليها اللبس.
- ٥- تعلم أن مما أخذ على كتاب القالي "البارع" صعوبة البحث فيه، وتكراره للشواهد والأقوال والتفسيرات، واستطراده لأدنى مناسبة.
- ٦- تعرف أن مصادره هي مصادره في كتابه "المخصص".
- ٧- تحيط باقتباسه لجميع ما في "العين" و"الجمهرة".
- ٨- تفهم أن كثيراً مما أخذ عليه يمكن رده والتقليل منه.
- ٩- تقف على تأثير بعض المعاجم اللغوية الكبرى به، كلسان العرب والقاموس المحيط.
- ١٠- تقف على أوجه الاتفاق والاختلاف، والقوة والضعف في مؤلفات مدرسة التقلبات الصوتية.

## المعجم التي سارت على نظام العين في المغرب

لقد كان لتأليف معجم العين صدى كبير وأثر ظاهر بين علماء اللغة في بلاد الأندلس والمغرب العربي، وكما حذا حذو الخليل بعض علماء المشرق حذا حذوه بعض علماء المغرب، وكما رأينا معجم "التهديب" للأزهري، و"المحيط" لابن عباد في المشرق نرى أيضًا في بلاد الأندلس علماء اللغة وقد اقتفوا أثر الخليل، وعلى نمجه ساروا وبطريقته أخذوا.

وإليك أهم المعاجم التي ألفت في الأندلس إبان ازدهار الحضارة الإسلامية في أسبانيا.

١- معجم البارع لأبي علي القالي.

٢- مختصر العين لأبي بكر الزبيدي.

٣- معجم المحكم لابن سيده.

وستتناول بالشرح والتعيق "البارع"، و "المحكم".

أولاً: البارع في اللغة:

مؤلفه: هو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي، جدّه من موالي عبدالمملك بن مروان. وكان القالي أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين.

تلمذ لابن دريد ونفطويه وابن درستويه وغيرهم.

وتلمذ عليه أبو بكر الزبيدي صاحب مختصر العين.

ولقد طاف بالبلاد فترك موطنه الأصلي ومسقط رأسه أرمينيا وسافر إلى بغداد طلباً للعلم سنة ٣٠٣هـ، وكان في الخامسة عشرة من عمره ومكث فيها خمسة وعشرين سنة ثم سافر إلى بلاد الأندلس فدخل قرطبة في زمن الخليفة عبدالرحمن الناصر.

ويذكر لنا السيوطي في كتابه المزهر أن الحاجة بلغت به مبلغاً شديداً حتى

أدت به إلى بيع نسخة من الجمهرة لابن دريد كانت عنده بخط أستاذه ابن دريد وكان قد أعطي بها ثلاثمائة مثقال فأبى، ولما اشتد به الحال باعها بأربعين مثقالاً.

وكتب عليها هذه الأبيات:

وقد طال وجدي بعدها وحنيني	أنست بما عشرين عاماً وبعتهما
ولو خلدتني في السجون ديوني	وما كان ظني أنني سأبيعها
صغار عليهم تستهل شئوني	ولكن لعجز وافستقار وصيبة
مقالة مكوي الفؤاد حزين	فقلت ولم أملك سوابق عبرتي
كرائم من رب بمن ضنين	وقد تُخرِجُ الحاجاتُ يا أم مالك

فلما قرأ المشتري هذه الأبيات ردها إليه وأرسل معها أربعين ديناراً أخرى<sup>(١)</sup>،

وظل أبو علي القالي يجمع هذا المعجم يعاونه في هذا وراق يسمى: محمد بن الحسين الفهدي من أهل قرطبة إلى أن وافته المنية سنة ٣٥٦هـ قبل أن يتمه ويهذبه، فتولى تهذيبه وراق مع محمد بن معمر الجبائي من واقع الأصول التي كانت بخط القالي نفسه.

هذا وقد اعتمد القالي في مادة كتابه على معجم "العين" للخليل بن أحمد اعتماداً كبيراً كما اعتمد على كتاب "الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام واعتمد أيضاً إلى جانب هذين المعجمين على كتب أبي زيد وأبي حاتم وابن السكيت وغيرهم، وقد أخطأ كرنكو **F. kernko** حين ذكر أن البارع اعتمد على كتاب الجمهرة لابن دريد؛ لأن المقارنة تثبت خطأ ذلك الرأي<sup>(٢)</sup>.

(١) المزهر للسيوطي (٩٥/١).

(٢) انظر: فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبدالنواب (ص ١٤٤).

هدفه وقصده:

لم يصل إلينا كتاب البارع كاملاً وإنما عثر على قطعتين منه: الأولى في المكتبة الأهلية بباريس بخط أندلسي، ويرجع تاريخها إلى زمن يتأخر عن عهد المؤلف بحوالي قرن من الزمان.

والثانية وهي أكبر من الأولى وجدت في المتحف البريطاني وهي مكتوبة بخط أندلسي أيضاً، وترجع إلى نفس الزمن الذي كتبت فيه الأولى.

وقد نشرها مصورة في كتاب المستشرق (فولتون) A. Falton في لندن

سنة ١٩٣٣ م.

وليس في هاتين القطعتين مقدمة هذا المعجم والتي كنا عن طريقها نعرف هدف القالي من عمله ومنهجه وطريقته كما هو متبع عند جميع مؤلفي المعاجم، ولكن الظن الذي يغلب علينا أن القالي يهدف إلى نقل الحركة المعجمية التي ظهرت في المشرق إلى المغرب حتى يوقف تلامذته على كنه هذه الحركة ومعرفة أسرارها، وكان يرمي من وراء تأليف هذا المعجم إلى تلافي النقص الذي رآه في كتاب العين وكتاب أستاذه ابن دريد، وهو الجمهرة فكان يرمي من وراء هذا إلى الترتيب والصحة.

منهجه:

كان من المفروض أن يسير وفق ما سار عليه معجم الجمهرة لأستاذه ابن دريد، والذي أدخل تجديدًا في المعاجم وهي التقليلات الهجائية لا الصوتية أو يدخل عليها تجديدًا آخر، ولكن وجدنا أن القالي يرجع إلى طريقة الخليل وهي ترتيب الحروف حسب المخارج، أي: التقليلات الصوتية، ولكنه لم يوافق طريقة الخليل تمامًا، بل أدخل عليها كثيرًا من التغييرات، فلم يقم معجمه على ترتيب

الخليل لمخارج الحروف، بل على ترتيب سيبويه مع خلاف يسير، وبمقارنة ترتيب القالي والخليل للحروف يظهر لنا مواطن الاتفاق والخلاف، وهي:  
 أولاً: ترتيب الحروف: ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز د ت ط ذ ث  
 ظ ر ل ن ف ب م و ا ي.

ثانياً: ترتيب القالي: هـ ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل ر ن ط د ت ص ز س  
 ظ ذ ث ف ب م و ا ي.

وبالتأمل في ترتيب الخليل والقالي يتبين لنا أنهما مختلفان، ومن ناحية أخرى نجد أن الترتيب غير متفق مع ترتيب سيبويه لها، ولكن بينهما خلاف طفيف.  
 ولقد جعل القالي كل حرف من هذه الحروف كتاباً مع ترتيب هذه الكتب على الترتيب السابق للحروف.

### ترتيب الأبواب:

ولقد فرق القالي بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد، وجعل لكل منها باباً، وهو بهذا العمل أصلح بعض الاضطراب في أبواب الخليل، وبذلك أصبحت الأبواب عنده ستة، هي:

١- باب الثنائي المضعف، ويسميه الثنائي في الخط والثلاثي في الحقيقة، ولكنه أدمج فيه ما أسماه الصرفيون: الرباعي المضعف مثل زلزل، وتعبير الخليل أدق؛ لأنه يشمل هذا النوع أيضاً.

٢- باب الثلاثي الصحيح وهذا لم يختلف فيه اللغويون كثيراً.

٣- باب الثلاثي المعتل، ولم يقصد به القالي ما فيه حرف علة واحد، كما فعل الخليل والأزهري قبله، وكما فعل الزبيدي وابن سيده بعده، حيث جعلوا جميعاً المعتل بحرف واحد في باب خاص به، وجعلوا للمعتل بحرفين - وهو ما

يسمى باللفيف سواء كان مفروقاً أو مقروئاً- بآياً خاصاً أيضاً.  
ولكن القالي جمع بين المعتل بحرف بجميع أنواعه: المثال والأجوف والناقص،  
والمعتل بحرفين بنوعيه: اللفيف المفروق واللفيف المقرون في باب واحد، وهو  
الثلاثي المعتل.

٤- الحواشي أو الأوشاب وهذا الباب انفرد به القالي ولم يسبقه أحد في ذكره،  
وذكر فيه أسماء الأصوات، ومحاكاة الطيور واتبع في الترتيب الفرعي لهذا  
القسم أن يذكر الكلمات تحت عناوين الثنائي والثلاثي والرباعي.

٥- باب الرباعي. ٦- باب الخماسي.

ولقد جعل القالي هذه الأبواب على نمط الخليل دون أي تغيير ولكنه ميز كل  
تقليب بتصديره بكلمة: (مقلوب).

### البارع في الميزان

مميزاته:

١- ضبط الألفاظ التي يخاف عليها اللبس، وذلك على وجهين:

أ - بيان اشكل مثل قوله: "قال الأصمعي: يقال كنا على جدّة النهر بكسر  
الجيم وتشديد الدال وبالتاء المربوطة وأصله أعجمي بنطيّ كذا فأعرب، وقال  
الأصمعي: رجل له جدّ بفتح الجيم أي له حظ في الأشياء".

ب - ذكر الوزن مثل قوله: "يقال زج و زجحة و زجاج، على مثال فعل  
فعله بكسر الفاء وفتح العين وفعال بكسر الفاء.

٢- اعتماده على المراجع المشهورة بالصحة؛ وذلك لحبه للصحيح والتزامه إياه،  
فقد اعتمد على الخليل، الرائد الأول في هذا المجال، ثم اعتمد على أبي زيد  
والأصمعي ويعقوب.

- ٣- عنايته باللغات عناية فائقة، فأكثر منها وبالغ فيها، فنجد عنده اللغات المنسوبة: لغات الكلابيين، والنميريين، والطائيين، وبني أسد، وبني عثيم، وبني غني، وأهل مضر، والمدينة، والحجاز، والجزيرة والعراق... إلخ.
  - ٤- كثرة الشواهد، ومن أسبابها رجوع القالي على كثير من اللغويين وأخذ شواهدهم.
  - ٥- ذكر النوادر والأخبار التي تقوم عليها كتب الأمالي والنوادر.
  - ٦- نسبه الأقوال التي اقتبسها إلى قائلها.
  - ٧- إصلاح بعض الاضطراب في أبواب الخليل، ففرق بين بعض الأبنية المختلفة التي جعلها الخليل في باب واحد، فأصبحت عنده ستة، وكانت عند الخليل أربعة.
- المأخذ:

- ١- صعوبة البحث ومشقة الاهتداء إلى اللفظ المراد، واستنفاذ الوقت الطويل من الباحث؛ لأنه يعتمد على المخارج والتقاليب الصوتية، وهذا المأخذ وجه إلى جميع معاجم تلك المدرسة، وهي مدرسة التقليبات الصوتية والمهجائية.
  - ٢- التكرار وهو نتيجة للخطة التي اتبعها المؤلف، وهي جمع أكبر عدد من أقوال اللغويين من اللفظ الذي يريد تفسيره.
- وهذا التكرار له مظهران:
- أ - التكرار في التفسيرات.
  - ب - تكرر الشواهد وقد تخلص أحياناً من تكرر الشواهد بقوله: وقد أحننا إلى ذلك آنفاً.
- وهناك أيضاً خلل في البارع، يرجع إلى ذكره المادة في أكثر من موطن والاستطراد لأدنى ملابسة، ومجمل القول أن معجم البارع خطأ بحركة التأليف المعجمي خطوات إلى الأمام في المادة، فزاد على معجم العين نيفاً وأربعمئة ورقة فيما وقع في العين مهملاً، فأمله مستعملاً.

ويكفي أنه في المنهج ترك نظام معجم أستاذه ابن دريد، والذي ظهر اختلافه، ورجع إلى نظام الخليل بعد أن أدخل عليه التحسينات التي أشرنا إليها، ولم يتخذ أحد معجم البارع موضوعاً لدراسة سوى تلميذه الزبيدي الذي ألف المستدرك من الزيادة في كتابه البارع على كتاب العين.

### ثانياً: المحكم والمحيط الأعظم<sup>(١)</sup>

مؤلفه: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي، ولد سنة ٣٩٨هـ، وتوفي سنة ٤٥٨هـ. وقد ألفه فيما يظهر بعد المخصص ومصادره في المحكم هي نفس مصادره في المخصص، ولا يذُكر في نص المحكم مرجعاً إلا في النادر كما يتصرف في عبارة المراجع التي ينقل عنها في المحكم على الحال في المخصص.

هدفه: جمع المشتت من المواد اللغوية - والتي توجد في الكتب والرسائل - في كتاب واحد يغني عنها، مع الدقة في التعبير عن معانيها، وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة ولقد ربط اللغة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، كما فعل الأزهري في كتابه التهذيب.

منهجه: اتبع ابن سيده منهج الخليل بعد الإصلاحات التي أدخلها أبو بكر الزبيدي على هذا المنهج في كتابه "مختصر العين" ولم يغير ابن سيده أي تغيير في هذا المنهج فالمحكم مقسم إلى حروف مرتبة وفق ترتيب الخليل لها، حسب المخارج مبتدئاً بحرف العين فالحاء فالهاء فالغين فالقاف فالكاف فالجيم فالشين فالضاد... إلخ.

ترتيب الأبواب: رتب الأبواب وفق ترتيب ل خليل لها، مع ملاحظة الإصلاح الذي أدخله أبو بكر الزبيدي، فالحرف مقسم إلى الأبواب التالية:

(١) نشر المحكم بتحقيق مصطفى السنّا وآخرين بالقاهرة سنة ١٩٥٨م، وما بعدها.

الثنائي المضعف الصحيح، الثنائي المضعف المعتل، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، الثلاثي اللفيف، الرباعي، الخماسي. وزاد ابن سيده على الزبيدي بناءً آخر هو السداسي، ذكره في ثلاثة حروف هي: الهاء والحاء والجيم.

وهذا التقسيم يعد أحسن تقسيم وصلت إليه مدرسة التقلبيات، والفضل في ذلك يرجع إلى أبي بكر الزبيدي؛ فهو صاحب هذا التقسيم، وحذا حذوه ابن سيده.

### المحكم في الميزان

مميزاته:

- ١- انتقاء الألفاظ التي يدخلها تحت مواده.
- ٢- التنبية على الشاذ مثل اسم المفعول<sup>(١)</sup> الذي لا فعل له، أو الفعل<sup>(٢)</sup> الذي لا مصدر له أو لا ماضي له أو له مصدر غير لفظه، والمثنى على غير واحده، وما لا يصغر.
- ٣- ميز أسماء الجموع من الجموع وجموع الجموع.
- ٤- جمع الأقوال الكثيرة في تفسير اللفظ الواحد، ولكنه لا يميل إلى نسبة الأقوال إلى أصحابها. يقول في مادة (حقل): "الحقل قراح طيب يزرع فيه... والحقل الزرع إذا استجمع خروج نباته. وقيل: هو إذا ظهر ورقه واخضر، وقيل: هو إذا كثر ورقه، وقيل: هو الزرع ما دام أخضر، وقيل: الحقل: الزرع، إذا تشعب ورقه من قبل أن تغلظ سوقه.
- ٥- اقتبس جميع ما في العين والجمهرة إلا النادر القليل، وكان عند اقتباسه يحذف الشواهد الشعرية أحياناً، وأحياناً أخرى يستعيض عنها بغيرها، وكان في هذه الحال يحذف الحشو والتكرار الموجود في المعجمين المشار إليهما، وكان عند تفسيره للنبات يفضل في الأخذ عن أبي حنيفة الدينوري صاحب كتاب

(١) مثل: مدرهم، ومفتود (الجان لا المصاب الفؤاد).

(٢) مثل يدع ويدر لا يوجد لهما ماضٍ ولا مصدر من لفظهما وإنما يوجد لهما من معناهما وهو ترك تركاً.

النبات عن الخليل أو ابن دريد؛ لأن أبا حنيفة هو المتخصص في هذا النوع.

٦- كثرة الأحكام النحوية والصرفية.

المآخذ عليه:

١- صعوبة الأخذ منه، وهذا المآخذ موجه إلى جميع معاجم هذه المدرسة؛ لسيرها

على نظام التقلبات والمخارج الصوتية والمجائية.

٢- التصحيف في ضبط الألفاظ.

قال ابن سيده: "وعبهم: اسم موضع بالغور قالت امرأة من العرب ضربها

أهلها في هوى لها:

ألا ليت محيى يوم عبهم زارنا وإن نلّمت منا السياط وعلّت

والصواب الفتح كما في التهذيب، لا الضم كما ذكر ابن سيده إذ أورد

الفتح أيضاً الفيروزآبادي، ويقوت ولم يذكر الضم.

٣- التصحيف في الألفاظ نفسها قال ابن سيده: "وتقعوش الشيخ: كبر، وتقعوش

البيت: تدمم" فلقد ذكر اللفظين بالشين المعجمة على حين وجدنا ابن

الأعرابي يقول: بالسین المهملة ومثل ابن الأعرابي قال ثعلب اللغوي، ووصل

الأمر بابن سيده إلى التصحيف في الشواهد القرآنية والحديث والشعر،

وبالرجوع إلى الكتاب يظهر ذلك في مواطن عديدة.

٤- التفسيرات الخاطئة، فقد قال: (هسع وهيسوع) اسمان وهو لغة قديمة لا

يُعرف اشتقاقها.

ويعلق على هذا الفيروزآبادي فيقول: "لقد أبعد أبو الحسن في المرام وأبعط

في السوم وإن هذين الاسمين عريبان حمريان واشتقاقهما هسع إذا أسرع

وهاسع وهيسع كصرد مصغراً ومهسع بكسر الميم أبناء الهيسع بن حمير من

سبأ، فليعنم من أين تؤكل لكثف ليتصل عن ارتكاب الكلف".

- ٥- الخطأ في وضع اللفظ حيث وضع الرباعي في الثلاثي مثل قوله: "دهاع ودهداع من زجر الغنم، وددهع الراعي بالغنم، وددهع زجرها بذلك، فهذا غلط فليس دهداع ولا ددهع من الثلاثي وإنما هو من الرباعي.
- ٦- الخطأ في الأحكام حيث يقول: العيهل... الذكر من الإبل والأنتى عيهلة، ولكن الأزهري في التهذيب والجوهري في الصحاح ذكر أنه لا يقال جمل عيهل.
- ٧- إيراد بعض الألفاظ والمعاني التي وردت في العين والجمهرة مع أن هذه الألفاظ والمعاني لقيت نقدًا عند بعض العلماء، وكان هذا نتيجة اقتدائه بمذنب الكنايين دون تمحيص ما جاء فيهما مثل عنكس وحعم وطنطخ... وغير ذلك.
- وعلى أية حال: فلقد خطا المحكم بالمعجم العربية خطوة لها قيمتها، وهي محاولة تنظيم المواد من داخلها، فهو وإن كان اتبع نظام الخليل واصلاحات أبي بكر الزبيدي في كتابه مختصر العين وقلد ابن دريد ونقل عنه، واعتمد على كتاب البارع لأبي علي القالي، إلا أنه حاول التنظيم داخل المواد دون أن يخطو بالمعجم العربي خطوة واحدة في المنهج والترتيب، على حين أن علماء المشرق قد وصلوا منذ القرن الرابع إلى المعاجم الكبيرة مثل: التهذيب والمحيط، ومع ذلك فلقد اعتمد على الصرف والنحو في كثير من أحكامه مما جعل بعض العلماء يعجب به واكتفى بالجمع بينه وبين بعض المعاجم اللغوية الأخرى في تأليف معاجمهم كما فعل ابن منظور في لسان العرب والفيروزآبادي في القاموس المحيط، والذي يقوم على المحكم والعباب.

## خلاصة الوحدة الثانية

- المعجم اللغوي وسيلتنا إلى فهم مقاصد القرآن الكريم والسنة المطهرة، وهو سبيلنا إلى فهم تراث الأمة.
- الإحاطة بالمعنى اللغوي لكل معردات اللغة التي تكلم بها العرب أمر بعيد المنال، وغاية لا تدرك لقصر جهد الإنسان، وعجز طاقته عن تحقيق ذلك.
- يؤكد هذا ويجليه أن الراسخين في العلم - كما يقرر واقعهم - جهلوا معاني كثيرة، ولم يحيطوا بدلالات الكثير من ألفاظها.
- كما يؤكد ذلك أيضًا أن العرب الخالص الذين عاشوا في عصور الاحتجاج قد عجزوا عن معرفة معاني جميع الألفاظ التي يسمعونها، كما كان يغيب عنهم بعضها.
- غدت الحاجة ملحة وشديدة إلى المعجم اللغوي عقب انتشار اللغة العربية وذبوعها بانتشار الإسلام العظيم.
- تدور مادة العين والجيم والميم في لغة العرب حول الخفاء والإبهام والهمزة في "أعجم" للسلب والإزالة.
- المعجم في مفهومه الاصطلاحي هو كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبًا خاصًا.
- يتسم المعجم بالكمال إذا ضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها، وطريقة نطقها، وشواهد تبين مواضع استعمالها.
- ضرورة نص المعجم أو إشارته إلى معاني بعض الألفاظ التي انقرضت من الاستعمال اللغوي؛ وذلك لمعرفة التطورات التي لحقت ببعض كلمات اللغة والوقوف على عللها وأسبابها.
- رجال الحديث في القرن الثالث هم أول من استعمل هذه الكلمة بمفهومها

- الدقيق، وأول كتاب أطلق عليه هذا الاسم هو "معجم الصحابة" لأبي يعلى التميمي الموصلي.
- ترادف كلمة "القاموس" كلمة "المعجم"، وهي كلمة أطلقها مؤلف "القاموس المحيط" الفيروزآبادي.
- العرب مسبقون إلى الفكر المعجمي بقرون، حيث كان الآشوريون والصينيون واليونانيون أسبق إلى هذا الفكر منهم.
- لم يعرف العرب المعاجم اللغوية في جاهليتهم لأمتهم، وعدم حاجتهم إليها.
- اشتدت حاجة العرب إلى المعجم اللغوي بيزوغ فجر الإسلام وشروق شمسهِ.
- يُؤرِّخ للمعجم العربي بنزول الوحي الكريم على سيدنا محمد ﷺ.
- يؤكد واقع الصحابة هذا المعنى ويقرره، ومحاوره نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه شاهدة على ذلك.
- يعد ابن عباس -رضي الله عنهما- وأبان بن تغلب هما اللذان وضعوا نواة المعجم اللغوي.
- يعد الخليل بن أحمد أول من صنف ألفاظ اللغة ورتبها ترتيباً علمياً فريداً.
- الخليل مبتكر هذا الفكر الصوتي لجمع اللغة، ويعد معجمه "العين" معجماً مجنساً في حراسة العربية وحماتها والوقوف على معاني مفرداتها ودلالات ألفاظها.
- جمعت اللغة للأسباب سالفة الذكر، ومر جمعها بأطوار ومراحل مختلفة، وتمثل هذه المراحل فيما يلي:
- المرحلة الأولى:**

تم فيها جمع الكلمات حيثما اتفق، وتسم هذه المرحلة ببساطة ترتيبها المعتمد على السماع، وللعرب في ذلك مؤلفات شتى تتجسد فيها هذه الصفة.

المرحلة الثانية:

وفي هذه المرحلة جُمعت الكلمات المتعلقة بموضوع واحد في موضع واحد، ويمثل هذه المرحلة مؤلفات شتى منها كتاب المطر لأبي زيد، وكتاب اللبّ له كذلك، كتاب النحل والعسل للأصمعي، وكتاب الذباب لابن الأعرابي... وغيرها.

ويطلق على مؤلفات هذه المرحلة اسم المعاجم لمبوبة أو معاجم المعاني والموضوعات.

المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة وضعت المعاجم بمفهومها الدقيق، وتطور التأليف المعجمي وتقدم حتى بلغ طور النضج والكمال.

- للمعاجم صورها المختلفة، فمنها: المعاجم المحنسة، ومنها المعاجم المبوبة.
- يعد أصحاب المعاجم العربية أكثر اللغويين استيعاباً للغة، وفهماً لها، كما تعد مؤلفاتهم دوائر معارف أو موسوعات علمية للغة العربية.
- استوعبت المعاجم العربية ما تفرق في المؤلفات اللغوية ذات الموضوعات الخاصة، حيث جاء فيها الأعلام والبلدان والمواضع، وغيرها من الموضوعات كثير.
- للمعاجم اللغوية مدارسها المختلفة، وهي على النحو التالي:

أولاً: مدرسة التقليبات الصوتية:

وهي مدرسة ابتكر منهجها الخليل بن أحمد لأسباب توافرت لديه، وهي مدرسة عنيت بجمع اللغة على طريقة التقليبات الصوتية، وحددت لترتيبها المفردات والأبنية نظاماً معلوماً.

ثانياً: مدرسة التقليبات الهجائية:

وتشارك هذه المدرسة مع المدرسة الأولى في التقليبات لكنها تختلف في الترتيب، فالأولى تعتمد على التقليبات الصوتية بينما الثانية تعتمد على التقليبات الهجائية.

- رائد هذه المدرسة ابن دريد، وكتابه "جمهرة اللغة" يمثل فكرها ومنهجها.

ثالثاً: مدرسة القافية:

وقد جاءت ولادتها عقب ولادة المدرسة الثانية (مدرسة التقلبات الهجائية)، ولهذا المدرسة فكرها ومقاصدها ومؤلفاتها، وأثرها في الدراسات اللغوية والمعجمية، ورائدها الجوهري وكتاب "تاج اللغة وصحاح العربية" يمثل فكرها ومنهج معالجتها للمادة اللغوية.

رابعاً: مدرسة الهجائية العادية:

ولهذه المدرسة فكرها ومقاصدها ومؤلفاتها وأتباعها، ورائدها الإمام الزمخشري ويعد كتابه "أساس البلاغة" أساس فكرها ومصدرها الأصيل، والبستاني في "محيط المحيط"، ومعجم اليسوعيين والمعجم الوسيط لمجمع الخالدين في القاهرة.

خامساً: مدرسة المعاني والموضوعات:

يراهما بعض الباحثين إحدى المدارس المعجمية، وتسمى هذه المعجمات بالمبوبة، وهي معجمات عرفت في العربية، ولها مؤلفات شتى لكنها لم تنتشر، وتعزى هذه المدرسة إلى أبي عبيد القاسم بن سلام أحد أئمة اللغة والأدب، ويعد كتاب المخصص لابن سيده أشهر مؤلفاتها.

- لتتبع مدارس التأليف في معاجم اللغة دلالة قاطعة على تنوع ملكات العقل العربي والإسلامي.

- ولدت مدرسة التقلبات الصوتية على يد الخليل بن أحمد فهو رائدها وإمامها، وكتابه "العين" يمثل فكرها ومنهجها.

- حدد الخليل لمعجمه "العين" هدفاً تمثل في استيعاب كلام العرب وحصر مفردات العربية حصراً شاملاً.

- وضع الخليل لنفسه منهجاً يحقق له الغرض من تأليفه لكتابه "العين" ومنهجه

قائم على الترتيب الصوتي للحروف.

- أخضع تبويبه للكلمات لنظام الكمية على النحو التالي:

- ١- الثنائي وينتظم لديه الثنائي الحقيقي، والثلاثي المضعف، والرباعي المضعف.
- ٢- الثلاثي:

أ- الثلاثي الصحيح.

ب- الثلاثي المعتل، وينتظم: المثال، الأجوف، الناقص.

ج - اللفيف المقرون والمفروق.

٣- الرباعي. ٤- الخماسي.

- معالجته للكلمة وتقليباتها المختلفة في موضع واحد تحت أبعد الحروف مخرجًا.

- التزامه بالدقة، وعنايته الشديد بالشواهد والحرص على تنوعها عند شرحه

للمواد اللغوية داخل معجمه، واعتداده بالشعر واعتماده عليه اعتمادًا كبيرًا.

- اختلفت كلمة العلماء وتباينت في نسبة كتاب "العين" للخليل، فمنهم المنكرون لهذه النسبة ومنهم المثبتون.

- الخليل بن أحمد هو المبتكر لمنهجه في "العين"، ودعوى تقليده لغيره،

واقْتباس فكرة كتابه ومنهجه من الفكر اليوناني الصوتي دعوى باطلة.

- دعوى اقتباس الخليل لفكرته من الهنود دعوى باطلة، وما عرف عن الخليل

من نبوغ وما تبهر فيه من علوم يقطع بصحة ابتكاره لمنهجه ونفيه لاقتباسه

له من فكر آخر.

- ينسب الاشتقاق الكبير للخليل، فقد لحا إليه عند شرحه وتفسيره لتقاليب الكلمة.

- للعين قيمة علمية، فحولها قامت أبحاث قيمة شارحة ومستدركة نحو "فائت

العين" لأبي عمر الزاهد، والتكملة للبشتي والاستدراك لما أغفله الخليل

للهمذاني... وغيرها كثير.

- كتاب "تهذيب اللغة" للأزهري هدفه: تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقه ومعاصريه لتيسير فهم كتاب الله، وسنة نبيه المصطفى ﷺ.
- سلامة اللغة وصحتها لديه قوامها: السماع من العرب، الرواية عن الثقات، النقل عما خطه العلماء، شريطة موافقته لما وصل لمعرفة.
- للأزهري في كتابه "تهذيب اللغة" منهجه، فهو متبع لمنهج الخليل بن أحمد مع مخالفة يسيرة له في تقسيم الأبواب داخل كتابه.
- عنايته بالشواهد القرآنية والحديث الشريف عناية فائقة.
- مما أخذ عليه: صعوبة البحث في كتابه، ما وقع فيه من التكرار، تحامله وتجرّجه لبعض علماء اللغة دون وجه حق.
- "المحيط في اللغة" لابن عباد معجم لغوي اقتنى مؤلفه منهج مدرسة التقليبات الصوتية، وهدف من وراء تأليفه إلى المساهمة في الفكر المعجمي، بجمع أكبر قدر من المواد اللغوية.
- اتبع ابن عباد في كتابه "المحيط في اللغة" نهج الخليل في "العين" وذلك بترتيب الحروف حسب المخارج ووضع الكلمة وجميع تقليباتها في موضع واحد، ونهج منهج الأزهري في "تهذيب اللغة" من حيث البنية.
- للمحيط في اللغة مميزات منها: السعة والشمول، وعنايته بالعبارات المجازية والاختصار، وعليه ما أخذ أهمها: تقليده من الشواهد بدرجة كبيرة وإغفاله لمن أخذ عنهم، والاضطراب في البنية الرباعية والخماسية، عدم تجديده في الفكر المعجمي كما أخذ عليه بعض اللغويين بعض التصحيف.
- كان لكتاب "العين" تأثيره البين في التأليف المعجمي لدى بلاد المشرق والمغرب وبلاد الأندلس، ومما يشهد لهذا ويؤكد معجم "البارع" لأبي علي القالي، و"مختصر العين" للزبيدي، و"المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده.

- معجم "البارع" ألفه أبو علي القالي لنقل الحركة المعجمية التي ظهرت في المشرق إلى المغرب.
- اعتمد مؤلفه "القالي" على مصادر أصيلة في بابها ككتاب "العين" للخليل و"الغريب المصنف" لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتب أبي زيد، وأبي حاتم، وابن السكيت... وغيرهم كثير.
- للقالي في معجمه "البارع" منهجه، المعلوم، وهو منهج اتبع فيه ترتيب الحروف حسب المخارج.
- أصلح أبو علي القالي بعض الاضطراب في أبواب الخليل، فعدت الأبواب لدية ستة هي: اثنائي المضعف، الثلاثي الصحيح، الثلاثي المعتل، الحواشي أو الأوشاب، الرباعي، الخماسي.
- للبارع لأبي علي القالي مميزات أهمها: ضبطه الألفاظ ضبطاً دقيقاً، وبخاصة الألفاظ التي يخاف عليها اللبس واعتماده على الصحيح من المصادر والمراجع وعنايته باللهجات عناية فائقة، وكثرة شواهد، وذكره النوادر والأخبار ونسبته الأقوال لأربابها، وإصلاحه بعض الاضطراب في أبواب الخليل.
- "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده، هدفه جمع المشتت من المواد اللغوية في الكتب والرسائل في كتاب واحد يغني عنها.
- رسم ابن سيده لمعجمه منهجاً يحقق من خلاله هدفه المرتجى، ومنهجه هو منهج الخليل بن أحمد.
- لمعجم "المحكم والمحيط الأعظم" لابن سيده مميزات لعل أهمها: انتقاؤه للألفاظ

وتبنيه على الشاذ، وتمييزه أسماء الجموع من الجموع وجموع الجموع، وجمعه للأقوال الكثيرة في تفسيره اللفظ الواحد. واقتباسه لجميع ما في "العين" و "جمهرة اللغة" إلا النادر القليل، وحذفه للحشو والتكرار، وميله إلى الاعتماد على المصادر الأصيلة.

- عليه مآخذ منها: صعوبة البحث فيه والأخذ منه، التصحيف في ضبط الألفاظ وفي الألفاظ نفسها، تفسيراته الخاصة لبعض الأسماء والخطأ في وضع اللفظ وفي الأحكام، ونقله لما نقده العلماء.

- تأثيره القوي في المعاجم اللغوية التي خَلَفَتْهُ.

- يمكننا النقد والمقارنة الموضوعية بين معاجم هذه المدرسة للتعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف والقوة والضعف.

- لقد أثمرت هذه المدرسة وآتت أكلها حيث كانت فتحاً مبيناً للدراسات اللغوية وبخاصة المعجمية.

## اختبار الوحدة الثانية

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (x) أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

- ١- تجلّى للباحثين في محراب اللغة وبخاصة معناها إحاطة عمر الفاروق، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس -رضي الله عنهم- بمعاني الكلمات التي يتحدثون بها.
- ٢- الأعجمي هو الذي لا يفصح ولا يبين كلامه، وإن كان من العرب.
- ٣- المعاجم اللغوية تُوقَف قراءتها على المعنى الكامل للكلمة.
- ٤- سميت المعاجم اللغوية باسم آخر وهو القاموس، وهو اسم أطلقه الجوهري.
- ٥- كان لكل من ابن عباس -رضي الله عنهما- وأبان دور عظيم في الفكر المعجمي.
- ٦- لم يكن الخليل بن أحمد مقلداً لأحد في فكرة كتابه "العين" ولم يكن ناهجاً على طريق غيره في هذا الترتيب، بل كان مبتكراً ومخترعاً في الفكرة والمنهج والترتيب.
- ٧- يعد ابن دريد رائد مدرسة التقليبات الصوتية.
- ٨- يعد الخليل بن أحمد إمام مدرسة القافية.
- ٩- "العين"، "الجمهرة"، "تاج اللغة وصحاح العربية"، "أسس البلاغة". معاجم مبنية.
- ١٠- لا فرق بين المعاجم المبوبة والمعاجم المجنسة.
- ١١- لم يخضع الخليل تبويبه للكلمات داخل كتابه لنظام الكمية.
- ١٢- جاء مفهوم الثلاثي المعتنّ لدى اللغويين مخالفاً لمفهومه لدى الخليل بن أحمد.
- ١٣- المثبتون للخليل كتاب "العين" حججهم قوية ورأيهم سديد.
- ١٤- القول باقتباس الخليل فكرة كتابه من الهنود قول غير صحيح.
- ١٥- لم يفد سيبويه من شيعه الخليل تصنيفه للأصوات إلى مجموعات، كما لم يفد من مصطلحاته وعباراته الصوتية.

- ١٦- خلا كتاب العين من التصحيف والتحريف.
- ١٧- هَدَفُ الأزهرى مِنْ تَأليفه معجمه "تهذيب اللغة" هو تنقية اللغة من الشوائب التي تسربت إليها على يد سابقه.
- ١٨- لا شبه بين مقدمتي "العين"، و "التهذيب".
- ١٩- لم يعن "التهذيب" بذكر البلدان والأماكن والمياه.
- ٢٠- تحامل الأزهرى على بعض العلماء وَجَرَّحَهُمْ.
- ٢١- يمكننا على وجه الدقة تحديد الهدف من تأليف "المحيط".
- ٢٢- لم يتقيد "المحيط في اللغة" بمنهج الخليل والأزهرى بل خالفهما مخالفة واضحة وبخاصة في إغفال الشواهد والمراجع وذكر أسماء اللغويين والمؤلفات.
- ٢٣- الهدف الحقيقي لكتاب "البارع" هو نقل الحركة المعجمية التي ظهرت في المشرق إلى المغرب.
- ٢٤- رتب القالي حروف معجمه "البارع" حسب المخارج مُدْخِلًا عليها كثيرًا من التعديلات، وجاء ترتيبه إياها موافقًا لترتيب سيويه، مع خلاف يسير.
- ٢٥- قَلَّتْ شواهد "البارع" وندرت.
- ٢٦- لم يأت القالي في معجمه "البارع" بجديد.
- ٢٧- اتبع ابن سيده في "المحكم" منهج الخليل بعد الإصلاحات التي أدخلها أبو بكر الزبيدي على هذا المنهج في كتابه "مختصر العين".
- ٢٨- يميل ابن سيده في معجمه "المحكم" إلى نسبة الأقوال والآراء لأربابها.
- ثانيًا: أسئلة الاختيار من متعدد:
- ١- ولد الخليل بن أحمد في:
- أ- عمان ونشأ بالبصرة.
- ب- بغداد ونشأ بها.
- ج- الكوفة ونشأ بالمدينة.

- ٢- كان غرض الخليل من تأليف العين:
- أ- استيعاب كلام العرب وحصر الثروة اللفظية.  
 ب- إظهار قدرته على التأليف.  
 ج- خدمة رجال الحديث.
- ٣- بنى الخليل منهجه على أساس:
- أ- هجائي. ب- صوتي.  
 ج- جامع بين الهجائي والصوتي.
- ٤- من الذين أثبتوا كتاب العين للخليل:
- أ- ابن دريد. ب- ابن الأنباري. ج- كلاهما معاً
- ٥- الاشتقاق نوع من الدراسات اللغوية كانت اليد الطولى في ظهوره:
- أ- لابن فارس. ب- لابن دريد. ج- للخليل بن أحمد.
- ٦- سار الأزهرى في تأليف التهذيب على طريقة:
- أ- الترتيب الهجائي. ب- الترتيب الصوتي.  
 ج- جمع بينهما.
- ٧- المحيط في اللغة من تأليف:
- أ- الصاحب ابن عباد. ب- الجاحظ. ج- عبد الحميد الكاتب.
- ٨- دخل التالي قرطبة في زمن الخليفة:
- أ- المستنصر بالله. ب- المنصور. ج- عبد الرحمن الناصر.
- ٩- من مميزات معجم البارع للغالي:
- أ- ضبط الألفاظ التي تخاف عليها اللبس.  
 ب- غائية بالألفاظ عناية فائقة. ج- كلاهما معاً.
- ١٠- هدف ابن سيده من تأليف المحكم:
- أ- جمع المشتت من المواد اللغوية في كتاب واحد.  
 ب- الدقة في التعبير عن المعاني وتصحيح ما فيها من آراء نحوية خاطئة.  
 ج- كلاهما صحيح.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- تَرَجِّمُ للخليل بن أحمد ترجمة تنظم اسمه ومولده ونشأته العلمية، وأثرها في شخصيته.
- ٢- وضع الخليل بن أحمد لنفسه في كتاب العين منهجاً بناه على قواعد ثابتة، ابتغاء تحقيق غرضه المأمول. اذكرها بمجملتها ثم أفصح عن إيماءاتها.
- ٣- بم تنسم دراسة كل من: ابن دريد، ابن فارس، ابن جني لفكرة الاشتقاق؟ وما الدراسة التي تروك منها مع التعليل؟
- ٤- لقد أفاد سيبويه في دراسته لأصوات العربية من شيخه الخليل بن أحمد. اذكر مواضع إفادته وإضافاته.
- ٥- عرّف بالأزهري تعريفاً يتنظم اسمه ومولده ووفاته ونشأته العلمية.
- ٦- حدّد الأزهري في مقدمة تمذييه بواعث تأليفه له، ونص على ذلك نصّاً صريحاً. بيّن ذلك مشفوعاً بنصوص الأزهري.
- ٧- "المحيط في اللغة" له مؤلفه ومدرسته وهدفه. وضح هذه النقاط في ضوء ما درسته.
- ٨- لمنهج "المحيط في اللغة" سماته وملاحظته. بيّن ذلك.
- ٩- لم يتقيد ابن عباد في معجمه: "المحيط في اللغة" بمنهج "العين" و"التهذيب" بل خالفه فيهما مخالفة واضحة. اذكر مظاهر مخالفته لهما.
- ١٠- لكتاب "البارع" مصادره ومناهل المعلومة لديك.
- اذكر ذلك في ضوء ما درسته مع بيان أثر كل منها في محتواه العلمي وقيمه اللغوية.
- ١١- اذكر ما تعرفه عن الأصول الأولى لكتاب "البارع".
- ١٢- لقد عني القالي في "بارعه" باللهجات العربية عناية فائقة.
- فلم عني بما؟ وما مظاهر عنايته بما؟ وهل ترى لذلك من قيمة بحثية وأهمية في مجال التأريخ اللغوي؟

١٣- قال الحق جل شأنه:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلَبُ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزِلُ الشَّيَاطِينُ تَنْزِلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾.

أ - رتب ما فوق الخط ترتيب أبنية في المعجم الآتية:

العين، التهذيب، المحيط.

ب - كيف تكشف عنها في المعجم المذكورة؟

ج - اذكر المادة الأصلية لكل منها.

١٤- قال رسول الله ﷺ:

أ- "إذا سألت الله تعالى فاسأله ببطون أكفكم ولا تسأله بظهورها ثم

لا تردوها حتى تمسحوا بها وجوهكم فإن الله جاعل فيها بركة"<sup>(١)</sup>.

١- كيف تكشف في المعجم الآتية عما تحته خط:

كتاب "العين"، "التهذيب"، "المحيط في اللغة"، "البارع"، "المحكم والمحيط الأعظم".

٢- رتب ما تحته خط ترتيبه في المعجم سالف الذكر.

٣- اذكر المادة الأصلية لما تحته خط.

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة: باب من رفع يديه في الدعاء ومسحهما وجهه (١/٢٧٢).

(ح١١٨١)، عن ابن عباس، نحوه وفي الزوائد: إسناده ضعيف.

## النشاط التعليمي للوحدة الثانية

- عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:
- أعدّ بحثاً في مدرسة التقلبات الصوتية فكراً وتأليفاً وأهدافاً.
  - ادع زملاءك لعقد ندوة حول الفكر الصوتي في الدراسات اللغوية العربية بين الأصالة والتقليد، مع الحرص على دعوة المتخصصين من الأساتذة لمناقشتهم من الطلاب والإجابة عن أسئلتهم التي أعدوها لهذا اللقاء من قبل، وتدوين هذه الإجابة وتحريرها وتوزيعها على الطلاب والمعاهد العلمية المتخصصة للإفادة منها.





## الوحدة الثالثة

### مدرسة التقلبات الهجائية

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: سوف تعرف من خلال دراستك لهذه الوحدة أن المدرسة الثانية للتأليف المعجمي تتمثل في التقلبات الهجائية، ورائدها هو ابن دريد، ويمثل فكر هذه المدرسة ومنهجها كتابه "جمهرة اللغة".

ودراستك لهذه المدرسة فكراً وتأليفاً يوقفك على مقاصدها وبواعثها وعلّة عدول ابن دريد عن اتباعها والأخذ بمنهجها.

وفي هذه الوحدة تعرف طرفاً من حياة ابن دريد ونشأته العلمية وأثرها في نتاجه العلمي، وفيها تتعرف على سر تسميته لكتابه بجمهرة اللغة، كما تقف على مقصده من ورائه، والمتمثل في: اختيار الجمهور الأعظم من كلام العرب وجمعه في كتاب واحد، ينهل منه الباحثون والدارسون.

وفي هذه الوحدة تتعرف على منهج هذه المدرسة، وتقف على سر عدوله عن منهج الخليل بن أحمد، وفيها تتعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهج المدرّستين: التقلبات الصوتية، والتقلبات الهجائية، ومواضع القوة والضعف فيهما، وتتعرف فيها كذلك على أن ابن دريد قد أفاد من المباحث العلمية في كتاب الخليل بن أحمد.

وفي هذه الوحدة تتعرف على مميزات "جمهرة" ابن دريد والتي في طليعتها:

مراعاته لترتيب المهجاء العادي؛ للتخلص من الترتيب الصوتي الذي يثقل كاهل الباحثين والدارسين، ويجهد أذهانهم.

وكذا عنايته باللهجات عناية شديدة، فاقت عناية الخليل بها، واهتمامه الشديد بالمعرب والدخيل وعنايته الشديدة بهما.

وفيها كذلك تتعرف على ما أخذه بعض الباحثين والدارسين واللغويين القدامى من مأخذ على ابن دريد في جهرته، كما تتعرف فيها على الجديد الذي أضافه ابن دريد للفكر المعجمي، وتتعرف كذلك على تأثير هذه المدرسة في الدراسات اللغوية.

ولا ريب في أن هذه النقاط وما اشتملت عليه هذه الوحدة من قضايا وموضوعات لغوية - يجعلها وحدة بالغة الأهمية وجديرة بالدراسة، وأن دراستها ضرورة لكل باحث ومتخصص في اللغة.

وإغفال دراستها إغفال للّب الشيء وأصله، وبعّد عن الجادة؛ لذلك فاحرص أيها الدارس على دراسة هذه الوحدة واستيعاب محتواها.

الأهداف التعليمية للوحدة:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادراً على أن:

١- تعرف أن مدرسة التقلبات الهجائية هي المدرسة الثانية في الفكر المعجمي من حيث النشأة، والتدرج التاريخي.

٢- تعلم أن ترتيب الحروف الهجائية أسهل بكثير من الترتيب الصوتي.

٣- تفهم أن الهدف من تأليف ابن دريد لمعجمه هو اختياره الجمهور الأعظم من كلام العرب، وترك الحوشى والغريب منه.

٤- تقف على سر تسمية ابن دريد لمعجمه بجمهرة اللغة.

٥- تؤمن بأن لمنهج قواعد بني عليها، وضوابط يحتكم إليها.

٦- تقارن بين فكر الإمامين: الخليل، وابن دريد؛ لتقف على أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

٧- تقف على مميزات كتاب "جمهرة اللغة".

٨- توقن أن ابن دريد قد أتى بجديد في مجال التأليف المعجمي.

٩- تؤمن بأن للجمهرة تأثيراً عظيماً في الدراسات اللغوية، لعل أهمها ما ألف حولها من مؤلفات.

– الجمهرة في اللغة.

– هدفه.

– منهجه.

– الجمهرة في الميزان.

– مميزاته.

– المآخذ عليه.



الوحدة  
الثالثة  
مدرسة  
التقليبات  
الهجائية

## الوحدة الثانية

### مدرسة التقلبات الهجائية

هذه المدرسة الثانية في الفكر المعجمي العربي من حيث النشأة والتدرج التاريخي، ورائدها أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، صاحب معجم الجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة، وقد سار على نهج الخليل بن أحمد في نظام التقلبات، إلا أنه لم يلتزم الترتيب الصوتي الذي سار عليه الخليل، بل لجأ إلى ترتيب أحرف الهجاء العادي والألفبائي (أ ب ت ث ج ح خ...) وابن دريد بهذا العمل قَرَّب اللغة إلى الباحثين، ومهد لهم الطريق للكلمات التي يريدونها بعض الشيء، ولا شك أنها خطوة إلى الأمام في تأليف المعاجم وتدرج طبيعي نحو الارتقاء في هذا النوع من فروع اللغة، حيث إن الترتيب الألفبائي أسهل بكثير من الترتيب الصوتي للحروف، ومع ذلك فهو يشارك الخليل في نظام القلب الذي يشتت جهد الباحث وراء الكلمات وتقلباتها، ويدخل في هذه المدرسة المجلد والمقاييس لأحمد بن فارس.

#### الجمهرة في اللغة<sup>(١)</sup>

مؤلفه: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ولد سنة ٢٢٣هـ، وتوفي سنة ٣٢١هـ، ولد بالبصرة ونشأ بها وتعلم فيها وتلقى العلم واللغة عن أبي حاتم والرياشي والأشناداني، وهو من كبار علماء العربية وكان مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم وكان أديباً شاعراً.

له مؤلفات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال كتابه العظيم "الاشتقاق"

(١) نشره المستشرق "كربو" في حيدرآباد بالهند، سنة ١٣٤٤-١٣٥١.

وكتاب "الخليل الكبير" وكتاب "الخليل الصغير" و"أدب الكتاب" وغير ذلك، وكتابه "الجمهرة" واحد من المعاجم العربية التي يشار إليها بالبنان.

هدفه:

إذا رجعنا إلى مقدمة الجمهرة<sup>(١)</sup> نعرف هدفه وغرضه، وهو اختيار الجمهور من كلام العرب، وترك الوحشي الغريب، ومن هنا أسماء جمهرة الكلام واللغة.

منهجه:

تمكن ابن دريد من التخلص من بعض مظاهر منهج الخليل ولكنه لم يستطع في البعض الآخر، فرتب معجمه على طريقة المهجاء العادي، ولكنه اتبع نظام الخليل في القلب، فهو يضع الكلمة وجميع تقلباتها تحت الحرف السابق في الترتيب الألفبائي، فمثلاً كلمة ضرب وجميع تقلباتها ضبر، رضب، ريبض، بضر، وبرض توضع تحت حرف الباء لأنها أسبق الحروف في الترتيب المهجائي، وترتيبه للأبنية هو ترتيب الخليل مع بعض الزيادات، فالأبنية عنده: ثنائي ثم ثلاثي ثم رباعي ثم ملحق الرباعي ثم خماسي وسداسي وما يلحق بهما، وأفرد للنوادر بأباً خاصاً، بخلاف الخليل الذي وضعها مع المواد، كلاً في بابها.

وأوجد نظاماً جديداً في ذكر المواد وهو أن يبدأ كل باب بالكلمة المبدوءة بالحرف الذي وقف عليه الباب آخذاً بالحرف الذي يليه تاركاً ما سبقه من حروف، فمثلاً إذا كان في باب الراء ترك ما قبلها من حروف وهي الراء مع الهمزة، والراء مع الباء، والراء مع التاء، والراء مع الثاء، والراء مع الجيم، والراء مع الحاء، والراء مع الخاء، والراء مع الدال، والراء مع الذال، والراء مع الزاي، والراء مع السين، والراء مع

(١) انظر: الجمهرة (٣/١).

الشين، والراء مع الصاد إلى نهاية الترتيب المحائي ولا يذكر الراء مع الحروف السابقة عليها في الترتيب المحائي؛ لأنه ذكرها في المواد السابقة. وقد شرح ابن دريد هذا المنهج في المقدمة شرحاً وافياً<sup>(١)</sup>.

### بين ابن دريد والخليل

- لعله من المفيد أن نقارن بين ابن دريد والخليل حتى يظهر لنا الفرق بين هذين الرائدتين؛ لأن الخليل الرائد الأول للفكر المعجمي العربي جميعه، وابن دريد رائد مدرسة بعينها، وهي مدرسة التقلبات المحائية، ويمكننا أن نجمل الكلام في النقاط التالية:
- ١- من حيث المنهج: اتبع صاحبُ الجمهرة الخليل في اثنين من أسس منهجه وهما: نظام الأبنية ونظام التقلبات، مع إدخال تعديلات يسيرة على نظام "العين"، وقد أشرنا إلى ذلك سابقاً. ولكن ابن دريد خالف الخليل في الأساس الثالث لمنهج "العين"، وهو أساس الترتيب الصوتي للحروف، حيث أهمل ابن دريد هذا النظام واختار بدلاً عن الترتيب المألوف لنا الآن وهو النظام الألفبائي؛ لأنه رأى أن النظام الصوتي للحروف فيه صعوبة وأي صعوبة وأي مشقة مما يتطلب من الدارسين معرفة هذا النظام وتفصيله، ومعرفة مخارج الحروف ومواقعها في النطق حتى يستطيع الكشف عن بغيته في المعجم.
  - ٢- خالف ابن دريد الخليل في البدء في كل باب بالحرف الذي يعقده عليه، تاركاً ما قبله آخذاً بما بعده من الحروف، كما سبق بيان ذلك.
  - ٣- إذا نظرنا إلى مقدمة "الجمهرة" لوجدناها تعالج نفس الموضوعات التي عالجتها مقدمة "العين" ولم تخرج عنها إلا في التفاصيل والجزئيات وبعض الأمثلة، أما القضايا الكبرى فتكاد تكون واحدة.

(١) انظر: الجمهرة (٣/١).

فكل واحد منهما يذكر في مقدمته منهجَه والأبنية اللغوية ومخارج الحروف وصفاتها، ويزيد ابن دريد ذكره لزيادة الحروف وإبدالاتها، والخلاف بينهما في الشكل والتفاسيم والأشياء المظهرية فقط. فمن هنا نستطيع القول بأن ابن دريد أفاد من المباحث العلمية التي جاءت في مقدمة "العين".

٤- أفاد ابن دريد من كتاب العين الأمور الكثيرة، حتى أنه نقل عنه في المادة والشواهد وأخذ عنه بالنص أحياناً في صورة اقتباسات. وقد كان هذا السلوك من ابن دريد مدعاة للطعن فيه واتهامه بالسرقة من كتاب "العين" رماه بذلك نفطويه المعروف بمعادة ابن دريد، فيقول:

ابن دريد بقرة	وفيه عيٌّ وشرّة
ويدعي من حمقه	وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلـ	لا أنه قد غيرة

الجمهرة في الميزان:

الجمهرة أحد المعاجم الكبيرة في لغتنا ويمتاز بأشياء ويؤخذ عليه أشياء، فمن مميزاته:

١- مراعاة الترتيب المحائي العادي جاء خطوة إلى الأمام للتخلص من الترتيب الصوقي الشديد الصعوبة على الباحثين والمبتدئين.

٢- عنايته بالللهجات، عناية جعلته - وإن كان يشترك مع الخليل في هذا الأمر- إلا أنه تفوق عليه كثيراً في هذا الشأن، ولو رجعنا إلى الفهرس الملحق بالجمهرة للهجات لرأينا مدى التفوق على الخليل في الكثير، حيث يذكر لهجات الأزدي والأنصار وحميم وثقيف وحمير وبنو حنيفة وخزاعة وطيب وعبد القيس والبحرين والجوف والجماز والشام، واهتمَّ اهتماماً كبيراً بالللهجات اليمنية.

٣- وجّه ابن دريد عنايته للمعرب والدخيل، وخاصة من الحبشية والرومية والسريانية والعبرية والنبطية والفارسية.

إلى جانب هذه المميزات نجد بعض المآخذ منها:

١- التصحيف، ومن رماه بالتصحيف الأزهري حيث يقول: "وتصفحت كتاب "الجمهرة" له فلم أره دالاً على معرفة ثاقبة وعثرت منه على حروف كثيرة أزالتها عن وجوهها"<sup>(١)</sup>.

٢- إيراد عددًا كبيرًا من الألفاظ المولدة والمريية والمشكوك فيها، ونظرة واحدة إلى كتاب "المزهر" في الأنواع التي ذكرها السيوطي في المصنوع والضعيف والمنكر والمتروك والرديء والمولّد، وما روي من اللغة ولم يصح، يظهر لنا بجلاء أن السيوطي أخذ غالب ذلك من الجمهرة.

٣- تفسيره كثيرًا من الألفاظ بكلمة معروف، فاللفظة وإن كانت معروفة لابن دريد نفسه فالباحث لا يعرف مدلولها ومعناها واستعمالاتها، وهو الغرض الذي من أجله كانت المعاجم لتسعف القارئ والباحث في هذا المجال.

٤- صنع الألفاظ واختلاقها، والذي رماه بهذا الأزهري يقول: "ومن ألف في عصرنا الكتب فوسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة"<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك ومع ما قيل على ابن دريد فإنه أحد أئمة اللغة البارزين، والذين يشار إليهم بالبنان، فلقد خدم العربية أجلّ خدمة بتأليفه معجم الجمهرة وهو وإن كان به بعض الهنات، وبعض المآخذ التي وجهت إليه إلا أنه معجم عظيم، ومن

(١) التهذيب (٣٠/١).

(٢) نفس المصدر (٣١/١).

الإصاف أن نرى ابن دريد مما نسب إليه وما وجه إليه من تمم، فقد كان -رحمه الله- يتحرى الرواية، ولا يذكر في جمهرته إلا ما يرضى عنه، و"الجمهرة" من الكتب الكبيرة، والتي لا يخلو أمثالها من بعض الخلل والوهم.

ويكفي ابن دريد ما قيل عنه: إنه أملى "الجمهرة" دون الاستعانة بالنظر في شيء من الكتب إلا في الهمزة واللفيف، فإذا صح فابن دريد يمتاز عن غيره ممن ألفوا معاجم بهذه الموهبة الفريدة، فإملاء مثل هذا المعجم من الذاكرة دون الرجوع إلى كتب لشيء عجيب حقاً، ولم نسمع من غيره أنه فعل مثل ما فعل.

ويكفي ابن دريد أنه خطا خطوات نحو ترقية المعاجم العربية، ودفعها إلى الأمام، حيث تخلص من الترتيب الصوتي، إلى الترتيب المجاثي العادي، وقد قامت حول الجمهرة عدة دراسات ومؤلفات، نذكر منها على سبيل المثال:

١- "فائت الجمهرة" لأبي عمر الزاهد ٣٤٥هـ.

٢- "جوهرة الجمهرة" للصاحب بن عباد ت ٣٨٥هـ وهو مختصر للجمهرة.

٣- "نثر شواهد الجمهرة" لأبي العلاء المعري ت ٤٤٩هـ، وهو شرح الشواهد في ثلاثة أجزاء<sup>(١)</sup>.

وغير ذلك من الدراسات التي قامت حول الجمهرة مما يدل دلالة قاطعة على عظم وأهمية هذا المعجم في الفكر المعجمي العربي.

(١) المعجم العربي نشأته وتطوره د. حسين نصار (٤٣٣/٢، ٤٣٤).

### خلاصة الوحدة الثالثة

- التقلبات المحجائية هي المدرسة الثانية في الفكر المعجمي العربي من حيث النشأة، والتدرج التاريخي.
- كان لنشأة ابن دريد العلمية أثرها الطيب في نتاجه العلمي.
- لابن دريد منهج معلوم بناه على قواعد راسخة منها:
  - أ - ترتيبه لمعجمه على طريقة الهجاء العادي (الألفبائي).
  - ب - اتباعه لنظام الخليل بن أحمد في القلب.
  - ج - ترتيبه للأبنية داخل كتابه "جمهرة اللغة" ترتيب الخليل بن أحمد مع إضافات جديدة عليها.
  - د - إفراده باباً خاصاً للنوارح بخلاف الخليل الذي وضع كلاً منها مع المواد في بابها.
  - هـ - إيجاده نظاماً جديداً في ذكره المواد داخل كتابه.
  - و - شرحه لمنهجه شرحاً وافياً في مقدمة كتابه "جمهرة اللغة".
- لجمهرة اللغة لابن دريد مميزات كثيرة منها: أخذه بترتيب الهجاء العادي، وعنايته الشديدة بلهجات العرب المختلفة، وعنايته بالمعرب والدخيل.
- أخذ على ابن دريد مآخذ منها: التصحيف، وذكره لعدد كبير من الألفاظ المولدة والمشكوك في صحتها، تفسيره لكثير من الألفاظ تفسيراً غير موضوعي، صنّعه لبعض الألفاظ واختلاقها.
- هذه المآخذ يمكن تبرئة ابن دريد من بعضها، كما يمكن التقليل والتهوين من

بعضها الآخر.

- فهو من المعاجم العربية وترقيتها؛ لتواكب عصرها وتسايره، وذلك بتخلصه من الترتيب الصوتي، وابتكاره للترتيب الألفبائي الذي يتميز بخصته وسهولته.
- كان لمعجم "جمهرة اللغة" لابن دريد أثره في التأليف المعجمي.
- من المؤلفات التي ألفت حول "جمهرة اللغة":
  - أ- "فائت الجمهرة" لأبي عمرو الزاهد.
  - ب- "جوهرة الجمهرة" لابن عباد.
  - ج- "نثر شواهد الجمهرة" لأبي العلاء المعري.
- تعد مدرسة التقليبات المحجائية إضافة جديدة للفكر اللغوي، وبخاصة المعجمي.
- تدل هذه المدرسة على إبداعية العقل العربي.
- فهم اللغويين القدامى لحقيقة اللغة، ووقوفهم على خصائصها وفقههم لدورها في المجتمع.

## اختبار الوحدة الثالثة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- مدرسة التقلبات المحائية هي المدرسة الأولى في الفكر المعجمي العربي من حيث النشأة والتدرج التاريخي.
- ٢- لا شبه بين المدرستين: التقلبات الصوتية، والتقلبات المحائية.
- ٣- أدنت مدرسة التقلبات المحائية اللغة إلى الباحثين وقربتها منهم، ومهدت لهم الطريق للمفردات التي يريدونها بعض الشيء.
- ٤- يعد الترتيب الألفبائي أصعب بكثير من الترتيب الصوتي للحروف.
- ٥- سَمَّى ابن دريد معجمه "جمهرة اللغة"؛ لأنه قصد من ورائه جمع الجمهور الأعظم من كلام العرب.
- ٦- رتب ابن دريد معجمه "جمهرة اللغة" على طريقة الهجاء العادي واتبع نظام الخليل في القلب.
- ٧- أوجد ابنُ دريد في معجمه "جمهرة اللغة" نظاماً جديداً في ذكره المواد داخل معجمه.
- ٨- أفاد ابنُ دُرَيْدٍ من كتاب "لعين" الكثير من المعالجات لقضاياها ومسائله.
- ٩- وافق ابن دريد الخليل بن أحمد في منهج كتابه "العين" موافقة كاملة غير منقوضة.
- ١٠- فاقت عناية "الجمهرة" بلهجات العربية عناية الخليل بها في معجمه.
- ١١- صنع ابن دريد بعض الألفاظ واختلقها في "الجمهرة".
- ١٢- لكتاب "الجمهرة" قيمة لغوية، وله أثر عظيم في التأليف المعجمي.
- ١٣- ما أخذ على "الجمهرة" يمكن رده وإضعافه والتقليل منه.
- ١٤- لبعض العلماء حول "الجمهرة" دراسات ومولفات.

- ١٥- بين الخليل بن أحمد وابن دريد أوجه شبه كثيرة.
- ١٦- نخلت معالجة ابن دريد لموضوعات معجمه "جمهرة اللغة" من الطرافة والابتكار.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:
- ١- رتب ابن دريد معجم الجمهرة على:
- أ- طريقة الترتيب الصوتي.      ب- طريقة المهجاء العادي.
- ج- الجمع بين الطريقتين.
- ٢- مقدمة الجمهرة:
- أ- تعالج نفس الموضوعات التي عالجتها مقدمة العين.
- ب- تعالج موضوعات أخرى مستقلة.
- ج- تهتم بالغريب من الألفاظ.
- ٣- اقتباسات ابن دريد من كتاب العين أدت إلى:
- أ- الثناء عليه.      ب- الاهتمام بمعجمه.
- ج- الطعن فيه.
- ٤- عناية ابن دريد باللهجات جعلته:
- أ- يشارك الخليل في الفضل.
- ب- يتفوق على الخليل فيها.
- ج- يفقد الكثير من الاهتمام.
- ٥- نظام الأبنية ونظام التقاليب:
- أ- ابتكرهما ابن دريد في الجمهرة.
- ب- خالف فيهما الخليل.
- ج- اتبع الخليل فيهما.
- ٦- من المآخذ التي تعرض لها ابن دريد:
- أ- إيراده عددًا كبيراً من الألفاظ المولدة.
- ب- التصحيف.
- ج- تعرض لكليهما.

٧- طريقة الهجاء العادي:

أ- قربت اللغة إلى الباحثين. ب- صعبت من الدراسة اللغوية.

ج- أدت إلى قلة الحصيلة اللغوية.

٨- إلى جانب كون ابن دريد لغويًا فقد كان:

أ- فيلسوفًا كبيرًا. ب- سياسيًا بارعًا.

ج- أديبًا شاعرًا.

٩- ولد ابن دريد بمدينة:

أ- حمص. ب- الكوفة. ج- البصرة.

١٠- هدف معجم الجمهور:

أ- اختيار الجمهور من كلام العرب.

ب- أن يحوز رضا الجمهور من العلماء.

ج- أن يتفوق على غيره من المعاجم اللغوية.

ثالثًا: الأسئلة المقالية:

١- مدرسة اتقلييات الهجائية مقاصدها ومنهجها وترتيبها بين شقيقتها المعجميات. تناول النقاط المذكورة بالتفصيل.

٢- فيم تتفق مدرستا اتقلييات الهجائية، والتقلييات الصوتية؟ وفيم تختلفان؟ وما رأيك فيما اتفقتا فيه واختلعتا؟ وعمّ يكشف كل منهما؟

٣- لمدرسة اتقلييات الهجائية ما يمثلها من مؤلفات معجمية. اذكر أهمها.

٤- لابن دريد مؤلفات شتى أوقنناك عيها. اذكرها ثم اكشف عن سماتها وملامحها.

٥- اقتفى ابن دريد في معجمه "جمهرة اللغة" خطى الخليل بن أحمد في نظام

الأبنية في كتابه "العين"، مضيفاً إليها بعض التعديلات والزيادات.

تناول ذلك على هدي ما درسته ثم بين رأيك فيما أضافه ابن دريد وعدله

داخل كتابه مشفوعاً بالتعليل له.

٦- يعد كل من التصحيف والتحريف مما أخذ على مؤلفات اللغويين. ما مفهوم كل

منهما؟ وما الفرق بينهما؟ وهل يمكنك درء نسبتها إلى اللغويين؟

٧- أخذ على ابن دريد في معجمه "جمهرة اللغة" تفسيره لكثير من مفردات اللغة بكلمة "معروف". فما رأيك في هذا المأخذ؟ علل لرأيك.

٨- بم تدرأ عن ابن دريد ما رمي به؟ وكيف يمكنك التقليل مما أخذ عليه؟ وما الذي تراه منها حقاً؟ علل لرأيك.

٩- درست كتابي "العين" للخليل بن أحمد، و"جمهرة اللغة" لابن دريد.

قارن بين منهج كل منهما.

١٠- قال الحق جل شأنه:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا  
أَوْ كَفُورًا وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا  
طَوِيلًا إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ  
وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ  
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا يُدْخِلُ  
مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

أ - اذكر المادة الأصلية لما فوق الخط.

ب - رتبها ترتيبها في معجم "الجمهرة" لابن دريد.

١١- قال النبي ﷺ:

"مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاستغفار جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هِمٍّ فَرْجًا، وَمَنْ كُلَّ ضيق مخرجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ"<sup>(١)</sup>.

ما المادة الأصلية لما فوق الخط؟ وكيف تكشف عنها في جمهرة اللغة؟

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨/١)، عن ابن عباس، وهو حديث ضعيف.

## النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عيك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- ناقش مع زملائك أسباب عدول ابن دريد في كتابه "الجمهرة" عن منهج الخليل بن أحمد، وبواعث تأليفه لكتابه "الجمهرة" مع الاستعانة بشبكات الاتصال المختلفة، والأساتذة المتخصصين في الدراسات اللغوية.

- اطلب من زملائك أن يقوموا بمحصر المؤلفات القديمة والحديثة التي تناولت هذه المدرسة بالبحث والدراسة، مع الاستعانة بشبكات الاتصال المختلفة، والأساتذة المتخصصين، والمكتبت العامة والخاصة وبالدوريات والمنشورات والمجلات والمقالات بغية تحقيق هذه الغاية.

- اكتب مقالاً في سطور معدودات عن مدرسة التقليبات الهجائية مع تذييل مقالك بما أفدته منها.



## الوحدة الرابعة

### مدرسة القافية

مبشرات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: سوف تعرف من خلال دراستك لهذه الوحدة: بواعث ولادتها، ومقاصدها المأمولة من ورائها، ولمن تنسب ريادتها، ومنهجها، ومؤلفاتها التي تمثل فكرها، ومصادر كل منها وأهدافها كما سوف تتعرف على الهدف العام والخاص لكل معجم من معاجمها كما تتعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين كل منها من حيث المنهج وكيفية المعالجة. وتتعرف على مميزات كل معجم من معاجمها وما أخذ على كل منها من مأخذ.

وفيها تتعرف على أثر كل معجم من معاجمها في التأليف المعجمي، كما تتعرف على جهود اللغويين في جمعهم للغتنا الكريمة حفاظاً عليها من الضياع والتبديل. وفي هذه الوحدة تتعرف على دلالة هذا التأليف، وما تيقن علينا القيام به نحو لغتنا لتظل كما كانت في سالف عهودها المزدهرة لغة العلم والكتابة والأدب. لذا أدعوك عزيزي الدارس - إلى مذاكرة هذه الوحدة، والله تعالى يوفقك.

### الفصل الأول

تاج اللغة وصحاح العربية، لسان العرب

- تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)  
للجوهري:

- مؤلفه. - هدفه.

- منهجه. - مميزاته.

- المآخذ عليه، وأهميته العلمية.

- لسان العرب لابن منظور:

- مؤلفه. - هدفه.

- منهجه. - قيمته.

- مميزاته. - المآخذ عليه.

### الفصل الثاني

القاموس المحيط، تاج العروس

- القاموس المحيط:

- مؤلفه. - هدفه.

- منهجه. - مميزاته.

- المآخذ عليه.

- تاج العروس:

- مؤلفه. - هدفه.

- منهجه. - مميزاته.

- المآخذ عليه.

الوحدة  
الرابعة  
مدرسة  
القافية

## الفصل الأول: تاج اللغة وصحاح العربية، لسان العرب

الأهداف التعليمية للفصل الأول:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

- ١- تقف على مقاصد تسمية القافية.
- ٢- تعلق لتسميتها بما سميت به.
- ٣- تعرف رائدها الأول.
- ٤- تدرك بواعث ولادتها.
- ٥- تعرف منهجها.
- ٦- تقف على قواعده الثابتة.
- ٧- تحصر مؤلفاتها التي تمثلها.
- ٨- تقف على مصادر كل معجم من معاجمها.
- ٩- تتمكن من معرفة أوجه الاتفاق والاختلاف ومواضع القوة والضعف في معاجمها وبخاصة: الصحاح. ولسان العرب.
- ١٠- تقارن مقارنة موضوعية بين معاجمها المختلفة وبخاصة الصحاح واللسان.
- ١١- تدرك أن العرب شغلوا بالمعاني كما شغلوا بالألفاظ التي هي أوعية لها.
- ١٢- تستنتج أن العقل العربي عقل مبدع مبتكر.
- ١٣- تفاخر بهذا التاج اللغوي المتميز لهذين العالمين.
- ١٤- تقرر أن الأولين من السلف الأبرار قد أبلوا بلاءً حسنًا في الحفاظ على لغتهم والنهوض بها.

## الفصل الأول: أولاً: تاج اللغة وصحاح العربية<sup>(١)</sup>

مؤلفه:

أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ولد سنة ٣٣٢هـ، وتوفي سنة ٣٩٣هـ<sup>(٢)</sup>،  
ويذكر البعض أن وفاته كانت في سنة ٣٩٨هـ<sup>(٣)</sup>.

يقول ياقوت: "كان الجوهري من أعاجيب الزمان ذكاً وفطنة، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، ولا يكاد يفرق بينه وبين خط أبي عبدالله بن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام والأصول وكان يؤثر السفر على الحضر ويطوف الآفاق، واستوطن الغربية على ساق".

تلقى العلم في العراق على يد عالين من العلماء البارزين، وهما: أبو سعيد السيرافي<sup>(٤)</sup>، وأبو علي الفارسي<sup>(٥)</sup>.

وسافر إلى الحجاز وشافه العرب العاربة في ديارهم، ثم عاد إلى خراسان، ثم استقر به المقام في نيسابور، حيث تصدر فيها للتدريس والتأليف وتعليم الخط، وكتابة المصاحف.

وألف تاج اللغة وصحاح العربية، وصنفه لأبي منصور عبدالرحيم بن محمد البيشكي.  
وبظهور الصحاح في اللغة العربية يظهر أول معجم رتب فيه المادة اللغوية من أولها لآخرها بحسب الأصل الأخير للكلمة مع مراعاة الأصل الأول، وأيضاً مع مراعاة

(١) نشر الصحاح بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار في ستة أجزاء ومقدمة بالقاهرة سنة ١٩٥٦م. وقد أفدنا منه كثيراً.

(٢) مقدمة فقه اللغة للتعالي.

(٣) دائرة المعارف البريطانية ومقدمة قاموس إدواردلين.

(٤) ولد سنة ٢٨٤هـ، وتوفي سنة ٣٦٨هـ.

(٥) ولد سنة ٢٨٨هـ، وتوفي سنة ٣٥٦هـ.

الثاني في الثلاثي والثالث في الرباعي، وتسمية الحرف الأخير بأباً والأول فصلاً. وإذا كان الخليل بن أحمد أول من ألف معجماً في لغتنا العربية ومهد السبيل لمن جاء بعده في هذا المجال، فإن الجوهري يعد أول من ذلل الصعاب وسهّل الطريقة وأخذ بيد الباحث وأعان القارئ والطالب؛ كي يصل إلى مراده دون عناء ومشقة ودون تكلف وضعف.

ومن هنا نستطيع القول بأن الجوهري يلي الخليل في الشهرة، بل يعدّ رائداً من رواد الفكر المعجمي العربي وإماماً لمدرسة جديدة في منهجها طريفة في مسلكها السهل، ولقد حمل الجوهري من جاء بعده على السير على منهجه، وأن يتركوا مدرسة الخليل ذات المسلك الصعب، والمنهج الوعر، والتي لا يستطيع أن يردّها إلى عالم متمكن وقارئ هاضم لطريقة التقلبات الصوتية، وأنى ذلك؟! هدفه:

كان غرض الجوهري التزام الصحيح من الألفاظ وتيسير البحث عن الألفاظ.

يقول في مقدمته: "وقد أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها وجعل علم الدين والدنيا منوطاً بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه وتمذّب لم أغلب عليه بعد تحصيلها بالعراق رواية، وإتقانها دراية، ومشافهتي بما العرب العاربة في ديارهم بالبادية، ولم آل في ذلك نصحاً ولا ادّخرت وسعاً" فهذه من الصحاح التزام الصحيح وسهولة الترتيب فهل وفي بغرضه؟".

يقول السيوطي: "أول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه الإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري؛ ولهذا سمي كتابه بالصحاح"<sup>(١)</sup>.

ويقول عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء: "كتاب الصحاح هو الذي

بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادهم، أحسن الجوهري تصنيفه، وحدد تأليفه، وقرب متناوله، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة وأقرب متناولاً من مجمل اللغة".

وفيه يقول الشيخ أبو إسماعيل بن محمد بن عبدوس النيسابوري:

هذا كتاب الصحاح أحسن ما صنف قبل الصحاح في الأدب

تشمل أبوابه وتجمع ما فرق في غيره من الكتب

وقال ابن بري: "الجوهري أنحى اللغويين".

### كيف نطق بالصحاح؟

الصَّحاح بالكسر هو المشهور.

يقول أبو زكريا الخطيب التبريزي اللغوي: "يقال الصحاح بالكسر وهو

المشهور، وهو جمع صحيح كظريف وظراف، ويقال الصحاح بالفتح وهو مفرد

نعت كصحيح، وقد جاء فعال بفتح الفاء لغة في فعيل كصحيح وصحاح

وشحيح وشحاح وبرئ وبراء"<sup>(١)</sup>.

منهجه:

نظام الجوهري في الصحاح لم يسبق إليه؛ حيث رتبته على المهجاء العادي، واعتبر

حرف الكلمة الأخيرة بدلاً من الأول فجعله باباً والحرف الأول فصلاً.

وأبوابه ثمانية وعشرون باباً؛ لأنه لما كانت الألف على قسمين مهموزة

ولينة، جعل الهمزة في أول الكتاب وجعل للألف التي ليست مبدلة من الواو أو

الياء باباً وختم بها الكتاب.

والأبواب ذات الفصول سبعة وعشرون باباً؛ لأن باب الألف اللينة لا فصول لها.

(١) الزهر (١/٩٧).

وكان المفروض أن يكون لها باب من السبعة والعشرين باباً المذكورة ثمانية وعشرون فصلاً غير أن ذلك لم يحدث؛ لأن أكثر الأبواب ناقصة الفصول. والأبواب الكاملة الفصول خمسة وهي باب الهمزة وباب اللام وباب الميم وباب النون وباب المعتل.

أما باقي الأبواب فناقصة الفصول وليست متساوية في النقصان، منها ما نقص منه فصل ومنه ما نقص منه فصلان ومنه ما نقص غير ذلك.

ولقد استلهم الجوهري طريقته هذه من خبرته الطويلة في علم الصرف، فهو خطيب المنبر الصربي، وإمام المحراب اللغوي فقد لاحظ أن الفاء والعين يعتريهما التغيير، وليست لهما صفات الثبات والاستمرار، على حين أن اللام ثابتة مستقرة، فأثرها دونهما؛ لتكون أساس نظريته هذه؛ ولهذا قضت هذه الطريقة على أخطر مشكلتين عانى منهما المعجم العربي زمنًا ليس بالقصير، وهما: نظام الأبنية ونظام لتقليبات، فبالخلاص من النظام الأول سلم المعجم العربي من الاضطراب الحاصل في أبواب الرباعي المضعف، وهل يوضع في باب خاص به أو يدرج تحت باب الثنائي كما فعل بعض أصحاب المعاجم السابقة.

وبالخلاص من النظام الثاني - وهو نظام التقليبات سواء أكانت على طريقة الخليل أم على طريقة ابن دريد - تخفف المعجم العربي من كابوس ثقل ظل جاثماً عسى كاهله فترة ليست قصيرة كان الباحث خلالها يتحمل المشاق والإرهاق حتى يستطيع الوصول إلى مطلبه ومراده.

والجوهري بابتكاره هذا النظام سهّل الطريق ودلّل الصعاب وقرب السبيل للباحث والطالب.

ولا ننسى أن أساس الترتيب عند الجوهري هو:

١- المجرد: بمعنى تجريد الكلمة من زوائدها فمثلاً "استغفر" يكشف عنها في "غفر".

- ٢- رد المقلوب إلى أصله: فمثلاً تراث يبحث عنها في ورت.
- ٣- إرجاع المحذوف: فكلمة عدّ يبحث عنها في وعد.
- ٤- رد الجمع لمفرده.
- ٥- ملاحظة الحرف الثاني في الثلاثي والثالث في الرباعي والرابع في الخماسي كما أشرنا إلى ذلك سابقاً.
- ٦- قلد القالي في نظام الضبط؛ بحيث كان يذكر الضبط بالعبارة المشهورة أو بذكر الميزان الصرفي للكلمة مع البحث.

### الصحاح في الميزان

الصحاح من المعاجم العربية التي كانت فتحاً جديداً في التفكير المعجمي في اللغة العربية، فهو بحق خير المعاجم التي سبقته أو عاصرته دون استثناء بما له من مزايا وحسنات في المنهج والمادة اللغوية؛ حيث ألزم نفسه بالصحيح الذي لا خلاف فيه، وكذا اختصاره في الشرح والتفسير، وترمه الأشياء التي لا تعود على الباحث بالفائدة، ولقد حوى الكثير من المسائل النحوية والصرفية، وغير ذلك من الظواهر التي تؤهله لأن يكون في مركز الصدارة والريادة لمدرسة هو مؤسسها ومنشئها.

وإليك مميزاته في إيجاز:

- ١- التزامه بالصحيح الذي لا خلاف فيه.
- ٢- الإيجاز في الشرح والتفسير.
- ٣- سهولة البحث نتيجة المنهج الجديد الذي ابتكره.
- ٤- عنايته بالمسائل النحوية والصرفية، وهذه المسائل كثيرة جداً تنتشر في كل أبوابه.
- ٥- عنايته بمسائل كثيرة من فقه اللغة.

فأشار إلى الضعيف والمنكر والمتروك والرديء والمذموم من اللغات، مثل

قوله: "جرعت الماء بالفتح لغة أنكرها الأصمعي"<sup>(١)</sup>، وأشار أيضاً إلى المفاريد والنوادر مثل الشَّمْل بالتحريك لغة في الشَّمْل.

أنشد أبو زيد في نوادره للبعيث:

وقد يعش الله الفتى بعد عثرة      وقد يجمع الله الشتيت من الشَّمْل  
قال أبو عمرو الجرمي ما سمعته بالتحريك إلا في هذ البيت<sup>(٢)</sup>.

كما أشار إلى المولّد وذكر منه الكثير مثل الطنز بمعنى السخرية<sup>(٣)</sup>.

وأشار إلى المشترك اللفظي مثل: الأرض وهي المعروفة، وكل ما سفلى،

وأسفل قوائم الدابة، والنفضة، والزكام.

ومصدر أرضت الخشبة فهي تؤرض أرضاً فهي مأروضة إذا أكلتها الأرضة<sup>(٤)</sup>.

كما أشار إلى الأضداد، فيقول: "الرمس: الإصلاح بين الناس والإفساد"<sup>(٥)</sup>.

واهتم أيضاً بدوران المادة حول معنى واحد أو ما يسمى بالاشتقاق الكبير

فيذكر: "فالتسَاء يدلّ على تأخير الشيء تقول: نسأت الشيء نساءً وأنسأته أيضاً:

أخّرته، ومنه النسيء في الأشهر، وهو تأخير حرمة الأشهر الحرم"<sup>(٦)</sup>.

ويؤخذ عليه:

١- التصحيف وهذا من أهمّ المآخذ التي وجهت إليه وكانت سبباً في كثير من

الاستدراكات والنقود عليه، ولقد عقد السيوطي فصلاً كاملاً في مزهره

بعنوان: "ذِكْرُ مَا أُخِذَ عَلَى صَاحِبِ الصَّحَاحِ مِنَ التَّصْحِيفِ".

(١) الصحاح (١/٥٨١).

(٢) الصحاح (١/٢٠٢).

(٣) الصحاح (١/٤٢١).

(٤) الصحاح (١/٥١٨).

(٥) الصحاح (١/١٢٥).

(٦) الصحاح (١/٤٥٤).

- ويقول عنه أبو زكريا الخطيب التبريزي اللغوي: "... إلا أنه مع ذلك فيه تصحيف لا يشك في أنه من المصنف لا من الناسخ؛ لأن الكتاب مبني على الحروف"<sup>(١)</sup>.
- وكثير من هذه التصحيفات وقعت في أبواب المهموز والمعتل.
- ٢- التفسير الخاطئ لبعض الكلمات مثل قوله: "الصاب: عصارة شجر مر"<sup>(٢)</sup>، وصحته: "الصاب: شجر مر"<sup>(٣)</sup>.
- ٣- ترك بعض المواد والصيغ مما جعل الفيروزآبادي يقول عنه: "... غير أنه فاتته نصف اللغة أو أكثر إما بإهماله المادة أو بترك المعاني الغريبة النادرة"<sup>(٤)</sup>.
- ٤- ترك بعض الكلمات؛ لذيوعتها وشيوعها في عصره، إلا أنها فيما بعد صارت غامضة.
- ٥- نسبه الأقوال لغير أصحابها، فيقول: "قال الأخفش: شبهوا لات بليس وأضمروا فيها اسم الفاعل" فهذا القول ليس للأخفش، وإنما هو لسيبويه.
- ٦- وضع بعض المواد في غير موضعها فلقد وضع (ثيب) في مادة (ثوب)<sup>(٥)</sup>.
- ووضع مادة (هراق) في (هرق) وكان من الواجب وضعها في مادة (ورق) لأن الماء في (هراق) مبدلة من الهمزة، وأصلها (أراق)، هكذا يذكر الصرفيون وهو معهم في هذا، وأرى أن هذه الصيغة دخلت العربية الشمالية من إحدى اللغات السامية نتيجة احتكاك العربية بهذا اللغات وهي أحوالها الشقيقات.
- ٧- كما وقع في بعض الأخطاء الصرفية، فيقول: "اتقى: أصله اوتقى على افتعل فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء أو أدغمت"<sup>(٦)</sup>.

(١) المزهر (١/٩٧).

(٢) الصحاح مادة (صوب).

(٣) القاموس (١/٩٤).

(٤) مقدمة القاموس (ص٣).

(٥) الصحاح مادة (ثوب).

(٦) الصحاح مادة (وقى).

والقاعدة الصرفية تقول: إن الواو إذا وقعت فاء لافتعل أبدلت تاء  
وأدغمت في تاء الافتعال.

وأخذ عليه أنه يخطئ في الشعر أو يغير أشطره.

جاء في الصحاح قال الراجز:

رأين شيخاً ذرئت مجاليه يقلي الغواني والغواني تقليه

ويقول الأستاذ العطار<sup>(١)</sup> وهذا مغير والرجز لأبي محمد الفقعسي:

قالت سليمة إني لا أبغيه أراه شيخاً عارياً تراقبيه

مرمصة من كبر تراقبيه مقوساً قد ذرئت مجاليه

رأت غلاماً حاملاً تصابيه يقلي الغواني والغواني تقليه

ولا شك أن هذه هنات لا تغض من شأن الصحاح، وأحسن اعتذار عنه ما قاله التبريزي بعد أن أخذ عليه التصحيف قال: "ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها أو غلط، غير أن القليل من الغلط الذي يقع في الكتاب إلى جانب الكثير الذي اجتهدوا فيه وأتعبوا نفوسهم في تصحيحه وتنقيحه معفو عنه"<sup>(٢)</sup>.

ولقد شهد له السيوطي بأنه أول من التزم الصحيح مقتصرًا عليه، ويكفيه أنه رائد مدرسة ومبتكر طريقة ميسرة سهلة، فهو إمام في عصره وخطا بالمعاجم نحو الأمام، يقول عنه الزبيدي شارح القاموس: "وأول هذه المصنفات وأعلها عند ذوي البراعة وأعلها: كتاب الصحاح للإمام الحجة أبي نصر الجوهري"<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن منظور في مقدمة لسانه: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره بسهولة وضعه، فحفظ على الناس

(١) مقدمة الصحاح (ص ١٧٢، ١٧٣).

(٢) الزهر (١/٩٧-٩٨).

(٣) تاج العروس (ص ٤٢).

أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه"<sup>(١)</sup>.  
أهميته العلمية:

ولأهمية الصحاح العلمية وشهرته بين كتب اللغة قامت حوله دراسات كثيرة ربما فاقت ما قام حول كتاب "العين" من دراسات، فمنها من اختصره ومنها من نقده ومنها الحواشي ومنها التكملة ومنها من عني بشواهد، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

- ١- كتاب مختصر الصحاح لمحمود بن أحمد الزنجاني (٥٧٣-٦٥٦هـ).
- ٢- كتاب مختصر الصحاح لابن الصائغ الدمشقي (٦٤٥-٧٢٢هـ).
- ٣- كتاب مختصر الصحاح لمحمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي. ولقد عهدت وزارة المعارف للأستاذ محمود خاطر تهذيب الكتاب وللشيخ حمزة فتح الله مراجعته على أن يكون على اعتبار الحرف الأول والثاني والثالث.
- ٤- الإصلاح لما وقع من الخلل في الصحاح للوزير العلامة جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (٥٦٨-٦٤٦هـ).
- ٥- غوامض الصحاح لابن أيبك الصفدي.
- ٦- مجمع السؤالات من صحاح الجوهرى للفيروزآبادي.
- ٧- حواشي الصحاح لأبي القاسم الفضل بن محمد بن علي القصباني البصري المتوفى سنة ٤٤٤هـ.
- ٨- لسان العرب لابن منظور المصري (٦٣٠-٧١١هـ).

وهذا غيض من فيض مما قام حول الصحاح من معلقين وشارحين ومدافعين وغيرهم، ويكفي أن نذكر أن الأستاذ/ أحمد عبدالغفور عطار ذكر في

(١) لسان العرب المقدمة (ص٣).

مقدمة الصحاح ما يربو على المائة كتاب قامت حول الصحاح<sup>(١)</sup>.

مما يدل دلالة لا لبس فيها على أن الصحاح بلغت شهرته الآفاق، وطوف شرقاً وغرباً ولا يكاد حتى اليوم تخلو منه مكتبة، فجزى الله صاحبه عنا خير الجزاء.  
ثانياً: لسان العرب<sup>(٢)</sup>

مؤلفه:

أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الأفريقي الأنصاري الخزرجي المصري (٦٣٠-٧١١هـ).

ولسان العرب من أوسع معاجم العربية وأغزرها مادة، وأدقها تحريراً وتعبيراً، ويحتوي على زهاء ثمانين ألف مادة وهو عدد لم يجتمع لمعجم عربي آخر.  
هدفه:

١- الاستقصاء. ٢- الترتيب.

إذ رأى في مقدمة كتابة أن المعاجم التي تقدمت عليه لا تعنى إلا بواحد من هذين الأمرين فالتهديب للأزهري والمحكم لابن سيده يهدفان إلى الأول، والصحاح للجوهري صرف هم إلى الثاني.

فمن أجل هذا أراد أن يجمع هذين الأمرين معاً حتى يكون معجمه فريداً في بابه، وكان الحافز له على هذا ثلاثة أمور، هي:

١- ارتباط اللغة بالقرآن الكريم والحديث الشريف.

٢- جهل الناس بالعربية.

٣- افتخار الناس بمعرفة اللغات الأجنبية.

(١) انظر: مقدمة الصحاح (ص ١٣٩-١٤٨)، وانظر أيضاً: المعجم العربي (٢/٥٠٣-٥٢٩).

(٢) طبع لسان العرب في بولاق بالقاهرة سنة ١٣٠٠-١٣٠٧هـ في عشرين جزءاً ثم طبع في بيروت سنة ١٩٥٥-

١٩٥٦م في ١٥ مجلداً، وقد أعادت وزارة الثقافة طبعه في المطبعة الأميرية بالأوسمت في عشرين جزءاً.

وقد أخذ ابن منظور مادة معجمه من "تهديب اللغة" للأزهري و"الجمهرة" لابن دريد و"محكم" ابن سيده و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) وصحاح الجوهري و"حاشية ابن برّي على الصحاح".  
منهجه:

بدأ ابن منظور معجمه بمقدمة تحدث فيها عن هدفه من تأليفه واهتمامه بكتب السابقين من اللغويين، ونقده لمناهجهم، ومحاولته أن يجمع بين أفضل ما تركوا وأحسن ما ينبغي، ومنهجه الذي ارتآه وأمله أن يفي بما وعد، ولعل سعة اطلاع ابن منظور وشغفه بالعلم دفعاه إلى أن يجعل معجمه لا يدخل على قارئه بما يطلب وينبغي.

وبعد المقدمة وضع ابن منظور بابين: الأول<sup>(١)</sup> في تفسير الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن الكريم مثل ألم، كهيعص، ص، ق... إلخ، والباب الثاني في ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها، وأخذ الباب الأول من تهديب اللغة للأزهري، ولم يصف ابن منظور إلا ثلاثة عشر سطرًا آخر الباب الأول، وأخذ الباب الثاني من أبي الحسن علي بن أحمد الحراني المتوفى سنة ٦٣٧هـ كما قال في صدره.

وأما ترتيب هذا المعجم فيسير على حسب مدرسة القافية فيجرد الكلمة من زوائدها، ويرجع المقلوب لأصله، ثم يضع الكلمة تحت الحرف الأخير ويسميه بابًا، والحرف الأول فصلًا. فهو بهذا لا يختلف عن معجم الصحاح للجوهري إلا في ضخامة الأبواب والفصول، حتى أبواب الألف اللينة باقية في المعجمين على حالها، ولكن ابن منظور يزيد عن الجوهري أنه صدر بعض أبوابه بكلمة عن الحرف المعقود له الباب، ذكر فيها مخرجه وأنواعه وخلاف النحويين فيه، وأخذ هذه المقدمة من أحد مراجعه أو من بعض كتب النحو.

(١) انظر اللسان (٤/١).

من هنا يتبين لنا أن ابن منظور أخذ من مراجع عدة، ولكنه لم يرتض من المناهج التي سبقت سوى منهج الجوهري في صحاحه، وصرح بذلك في مقدمته حيث يقول: "ورتبته ترتيب الصحاح في الأبواب والفصول لحسن تبويه وسهولة تأتیه" فمنهج الصحاح ولسان العرب واحد، ولكنهما يختلفان بعض الاختلاف الذي أشرت إلى بعضه آنفاً، وثمة خلاف آخر، وهو: أن الجوهري قدم فصل الواو على الهاء، وابن منظور قدم الهاء على الواو، ومن هنا يظهر لنا بجلاء أن ترتيب الفصول في المعجمين يختلف مع هذين الفصلين وترتيب مواد الفصول في الكتاين يسير أجمدياً حسب الحرف الثاني فالثالث فالرابع إذا كانت المادة ثلاثية أو رباعية أو خماسية.

### اللسان في الميزان

#### مميزاته:

١- استقصاء الصيغ واتساع المواد؛ إذ بلغت - كما أشرت - زهاء ثمانين ألف مادة.

٢- كثرة مراجعه.

٣- الإكثار من المترادفات والنودر.

٤- كثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف، ولعل كثرة الحديث

عنده يرجع إلى أنه أخذها من مرجعها المختص بما وهو النهاية لابن الأثير.

٥- تجنب التصحيقات الموجودة في صحاح الجوهري بفضل المراجع الأخرى التي

اعتمد عليها في ذلك.

٦- العناية بالأحكام الصرفية والنحوية.

٧- سهولة الترتيب في الكتاب كله وانتظام الترتيب داخل المواد.

المتأخذ:

١- ترك بعض الصيغ والمعاني وخاصته الواردة في التهذيب.

- ٢- اقتصاره على المراجع التي أشرنا إليها وعدم رجوعه لمراجع هامة أمثال: "المقاييس" لابن فارس و"العباب"؛ للصاغاني وغيرهما.
- ٣- تكرار الشواهد أحياناً؛ مما أدى إلى بعض الاضطرابات في بعض المواد.  
على أن هذه الهنات لا تغض من شأن المعجم أو تجحد من فضله، وظل أمل الدارسين وهدف الباحثين وملاذ طلاب العلم من جميع البقاع، وطبع للمرة الأولى بمطبعة بولاق بمصر ١٣٠٠هـ ونشرته أخيراً دار بيروت ١٩٥٥م، وصدرت طبعة بولاق ومعها تصويبات وفهارس متنوعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر في سلسلة (تراثنا).
- ولم تكثر الدراسات حول اللسان؛ نظراً لطوله، إلا أنه وجدت بعض الدراسات التي رفعت مكانته لدى بعض المحدثين، وهي:
  - ١- تصحيح لسان العرب لأحمد تيمور.
  - ٢- تهذيب اللسان للسيد عبدالله إسماعيل الصاوي وطبع منه خمسة أجزاء ثم توقف عن إكماله، وفي هذا التهذيب حاول ترتيب المواد على طريقة: أ ب ت... الهجائية العادية دون ترتيب داخل المواد بل تركها كما هي.
  - ٣- تهذيب اللسان للأستاذ محمد النجار، وفيه حاول تهذيب اللسان وترتيب المواد والألفاظ على طريقة ألف باء.

## الفصل الثاني: "القاموس المحيط" و "تاج العروس"

الأهداف التعليمية للفصل الثاني:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعلم أن هدف "القاموس المحيط" هو الجمع والاستقصاء مع الاختصار.

٢- تقف على مميزاته وتحيط بها.

٣- تحيط بصور اختصاره وإيجازه.

٤- تلمس أنه عني بضبط الألفاظ عناية فائقة.

٥- تعرف أن للغويين على القاموس المحيط مآخذ معلودات لا تقلل من قدره وقيمه.

٦- تعلم أن "تاج العروس" تاج للمعاجم العربية قاطبة، فهو بحق أصح وأكبر

وأشمل معجم في لغة الضاد.

٧- تقف على مصادره الأصلية، ومناهلها التي أمدته بزيادة لغوي أصيل.

٨- تفهم أن له غرضًا تمثل في شرح "القاموس المحيط"، وتحقيقه تحقيقًا علميًا،

والتبنيه على مراجعه، والاستشهاد عليه.

٩- تحيط بمميزاته التي منها: النظام والاستقصاء، وكثرة المواد وعنايته بالأعلام،

وبخاصة المحدثون والفقهاء منهم، والتوسع في ذكر أسماء الأماكن، والتبنيه

على المعنى العام الذي تدور حوله المادة، وعنايته الشديدة بإبراز المعاني المجازية

تأثرًا بالإمام الزمخشري في "أساس البلاغة".

١٠- تقارن بين المعاجم اللغوية التي جاء ذكرها في هذا الفصل مع الوقوف على

مواضع الضعف والقوة فيها.

١١- تكتب وصفًا تفصيليًا عن المعجمين المذكورين في هذا الفصل.

## الفصل الثاني: "القاموس المحيط" و "تاج العروس"

أولاً: القاموس المحيط<sup>(١)</sup>

مؤلفه: أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن عمر الشيرازي، ولد سنة ٧٢٩هـ، وتوفي سنة ٨١٦هـ.

أي أنه ولد بعد وفاة ابن منظور المصري صاحب اللسان بثمانية عشر عاماً، واعتنى بعلوم الحديث والتفسير واللغة، وبرع فيها، وله عدة مصنفات في اللغة، منها: "الروض المسلوب فيما له اسمان إلى ألوف"، "وترقيق الأسئل لتصفيق العسل" ذكره السيوطي في مزهره، ومعجمه هذا اختصره من مؤلف آخر كما يذكر الفيروزآبادي نفسه اسمه "اللامع المعلم العجائب، الجامع بين المحكم والعباب" وكان يقع في ستين مجلداً والقاموس المحيط رغم أنه أقل حجماً من لسان العرب حيث يقع في أربع مجلدات إلا أنه يحتوي على ستين ألف مادة.

هدفه: الجمع والاستقصاء مع الاختصار.

منهجه:

والمنهج الذي سار عليه الفيروزآبادي في معجمه هو نفس المنهج الذي سار عليه الجوهري في صحاحه وابن منظور في لسانه، فهو مرتب على أواخر الألفاظ، إلا أنه في ترتيب الفصول داخل كل باب وضع حرف الواو بعد حرف النون مباشرة، ووضع بعده الهاء ثم الياء، وذكر أن ذلك من باب الاحتياط لإحكام الفصل بين ما أوله واو وما أوله ياء، وعدم ترك أي فرصة للخلط بينهما. ولقد قسم كتابه إلى سبعة وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء، بإدماج الواو والياء في باب واحد باعتبار الحرف الأخير من حروف المادة الأصلية، ورتب مواد كل فصل حسب الحرف الثاني، إن كان ثلاثياً، فالثالث إن كان رباعياً، فالرابع إن كان خماسياً.

(١) طبع في أربعة أجزاء، وقد أعادت دار الفكر بيروت هذه الطبعة بطريق التصوير.

## القاموس في الميزان

الواقع أن مظاهر الدقة جنية وواضحة في هذا المعجم، فهو أول من استعمل الرموز للاختصار، كما أنه لا يكرر اللفظة عند ذكر معنى من معانيها، ولقد ذكر الفيروزآبادي نفسه بعض الأمور التي اتبعها طلباً للاختصار، فيقول: "ومن بديع اختصاره وحسن ترصيع قصاره أي إذا ذكرت صيغة المذكر أتبعها المؤنث بقولي: وهي بقاء ولا أعيد الصيغة وإذا ذكرت المصدر مطلقاً أو الماضي بدون الآتي فالفعل على مثال كتب، وإذا ذكرت آتية بلا تقييد فهو على مثال ضرب وكل كلمة عربتها عن الضبط فإنها بالفتح إلا ما اشتهر بخلافه اشتهاراً رافعاً للنزاع من البين، وما سوى ذلك فأقيد بصريح الكلام".

مميزاته: وإليك مميزاته باختصار:

١- الاختصار والإيجاز، ويتمثل ذلك في الآتي:

استعمال الرموز لأول مرة في تاريخ المعجم العربي وهي "ع" للموضع، و"د" للبلد، و"ة" للقربة، و"ج" للجمع، و"حج" لجمع الجمع، و"ججج" لجمع جمع الجمع، و"م" معروف.

ومن مظاهر اختصاره أيضاً ما أشرت إليه منذ قليل وهو إذا ذكر صيغة المذكر في الاسم أو في الوصف وأتبعه المؤنث اكتفى بقوله، وهي بقاء ولا يعيد الصيغة وقد يعدل عن هذا المنهج في القليل.

ومن مظاهر إيجازه واختصاره حذف الشواهد وأسماء اللغويين، وبعض التفسيرات الطويلة والاستطرادات المترادفات.

٢- الاستقصاء وجاء هذا نتيجة اعتماده على ابن سيده صاحب "المحكم" والصاغاني صاحب "العباب" وهما المرجعان اللذان اعتمد عليهما.

٣- ذكره أعلام المحدثين والفقهاء، فكان يتحين الفرصة لذكر أسماء هؤلاء

الأعلام، فهو بهذا يزيد على المحكم والعباب في هذه الناحية. ولا يقتصر على المحدثين والفقهاء بل كان يذكر سائر الأعلام ولكن بصورة أقل من هذين الصنفين.

٤- عنايته بإيراد المولد والألفاظ الأعجمية والغريبة.

٥- وكان يعنى عناية خاصة بالنباتات الطبية ويذكر فوائدها.

٦- وكان يعنى بأسماء الحيوان وأسماء المدن والبقاع واتسع ذلك عنده اتساعاً كبيراً.

٧- ولعل أبرز شيء عند الفيروزآبادي في معجمه عنايته بالألفاظ الاصطلاحية في العلوم المختلفة والفقه والعروض بصفة خاصة.

٨- وكان يعنى بالضبط، فالمشهور والمفتوح يتركهما، وما عدا ذلك يضبطه بأحد أمرين: التصريح فكان يصرح بضبط حرف واحد في الألفاظ الثلاثية، وغالبًا يكون الأول، أو التمثيل بالمشهور أي بذكر لفظ مشهور.

المأخذ عليه:

١- المأخذ الأول: على الترتيب الذي سار عليه القاموس وهذا المأخذ يوجّه إلى جميع المعاجم التي سارت على القافية، ويتمثل هذا المأخذ في أنه إذا كان الحرف الأخير حرف علة فكثيراً ما يقع التباس، ولهذا جمع أصحاب هذه المعاجم الواوي واليائي في باب واحد: لذلك قد يكون الحرف الأخير غير أصلي كما في "أخو" من "أخ" ومادة "بني" من "ابن" "وسته" من "است"، وغير ذلك، ويصعب على هذه الطريقة ترتيب الحروف الأحادية والثنائية كما في الحروف الدالة على معنى غيرها، وكذلك الضمائر.

٢- عدم إشارته إلى الضعيف من اللغات التي يذكرها والردية والمذموم، وتذكير الفعل الواجب التأنيث، وتأنيث الفعل الواجب التذكير، وكان هذا نتيجة الاختصار الذي سار عليه المؤلف.

٣- إكثاره من الأمور التي لا تتصل باللغة اتصالاً مباشراً من الأعلام، وخاصة الأعلام الأجنبية.

٤- إخلاله ببعض ما تمسك به من الضبط.

وهذه هنات لا تغض من شأن هذا الكنز العظيم، فالمادة اللغوية التي ضمها هذا المعجم تعد في غاية النفاسة، وهو لشهرته ينافس لسان العرب لابن منظور، ولانتشاره حظي بعناية العماء، فشرحه عدد منهم شروحاً أشهرها تاج العروس في شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي ١٢٠٥هـ، كما تعقبه في هفواته اللغوي المشهور أحمد فارس الشدياق ١٨٠٤-١٨٨٨م في كتابه المسمى الجاسوس على القاموس. وقد بلغ من شهرة القاموس أن صار يطلق على أي معجم آخر اسم (قاموس) كما هو شائع ومعروف.

ثانياً: تاج العروس<sup>(١)</sup>

يعد معجم "تاج العروس من جواهر القاموس" تاجاً للمعاجم العربية قاطبة فهو بحق أصح وأكبر وأشمل معجم في لغة الضاد؛ أصح لأن صاحبه وقف على أكثر المعاجم القديمة الأمهات، فأفاد منها كل الفائدة، فلقد احتوى على ما جاء في "المحكم" لابن سيده، و"العاب" للصاغاني، و"اللسان" لابن منظور فأمدّه الأول بما في "العين" و"الجمهرة"، وأمدّه الثاني بما في "الصحاح" و"العين" و"التهذيب" و"المجمل" و"المقاييس" و"المحيط"، ومدّه الأخير بما في "المحكم" و"التهذيب" و"الصحاح" و"حواشي ابن بري" و"النهاية". وحتى لا نسترسل في الكلام عنه قبل معرفة اسم مؤلفه فيليك ما تعودنا أن نشير إليه.

مؤلفه: محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي

(١) طبع في عشرة أجزاء بالقاهرة، سنة ١٣٠٦هـ، كما طبعت منه أجزاء في الكويت.

الزبيدي، اليمني ثم المصري، المتوفى سنة ١٢٠٥هـ، ومعجمه هذا شرح القاموس للفيروزآبادي.

هدفه: شرح القاموس المحيط للفيروزآبادي وتحقيقه تحقيقاً علمياً، والتنبية على مراجعه والاستشهاد عليه، وكان السبب في ذلك إيجاز القاموس وغموضه، مع اشتهاره وكثرة الدراسات حوله.

انظر إليه حيث يقول في مقدمته: "... كتاب القاموس المحيط للفيروزآبادي الشيرازي أجل ما ألف في الفن؛ لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء وبيضة منطقتها وزبدة حوارها... حيث أوجز لفظه وأشبع معناه وقصر عبارته وأطال مغزاه، واشتهر في المدارس اشتهار أبي دلف بين محتضره وباده، وخف على المدرسين أمره إذا تناولوه، وقرب عليهم مأخذه، فقد أولوه وتناقلوه، ولما كان في غاية الإيجاز عن حد الإعجاز تصدى لكشف غوامضه ودقائقه رجالاً من أهل العلم.

فلما آنست من تناهي فاقة الأفاضل إلى استكشاف غوامضه، والغوص على مشكلاته، ولاسيما من انتدب منهم لتدريس علم غريب الحديث وإقراء الكتب الكبار من قوانين العربية في القدم والحديث فناط به الرغبة كل طالب وعشا ضوء ناره كل مقتبس ووجه إليه النجمة كل رائد... قرعت ظنوب اجتهادي واستسعيت يعبوب اعتنائي في وضع شرح عليه... جامع لمواده... واف بيان ما اختلف من نسخه والتقاط أبيات الشواهد له".

ولقد رجع الزبيدي إلى مائة وعشرين مرجعاً ذكرها في مقدمته، على رأسها المعاجم التي ذكرتها، ومنها: الرسائل اللغوية، وكتب الأمثال، وكتب النحو، والصرف وكتب التاريخ، وكتب الطبقات، وكتب الأدب، والكتب الجغرافية، وكتب الحيوان والنبات، وكتب الطب، والسياحة... إلخ.

منهجه: لما كان هذا المعجم شارحًا للقاموس المحيط، فليس من الغريب إذن أن يتبع أكثر خطواته التي لا تتصل بالإيجاز وإلا اختصر من ترتيب الأبواب والفصول، وسير الأوزان داخل المواد وكان يضيف آخر كل مادة ما تركه الفيروزآبادي ويصدر بأنه مستدرك عليه.

ويبدأ تاج العروس كما بدأ القاموس بباب الهمزة، وفصل الهمزة، ويستمر مع الحروف جميعًا كأصله، ولكن الزبيدي نصح على أن يبدأ كل باب بكلمة عن الحرف المعقود له الباب، فيبين مخرجه وصفاته وإبدالاته، وبعد هذه الكلمة القصيرة تبتدئ المواد، ونجد أن الزبيدي كان حريصًا على إيراد عبارة الفيروزآبادي كل الحرص واضعًا إياها بين قوسين ثم يذكر شرحه والأقوال التي يريد ذكرها خارج القوسين مع التنسيق الجيد بين قوله وقول الفيروزآبادي، من هنا نجد الملائمة بين الكلامين والمناسبة واضحة وحلية، ولا يكفي بالشرح وسرد الأقوال خلال المادة، بل يعقد عنوانًا في نهاية المادة تحت عنوان "المستدرك"، ويذكر فيه ما عن له أن يذكره.

### انتاج في الميزان

مميزاته:

- ١- النظام والاستقصاء وكثرة المواد.
- ٢- العناية بالأعلام، وخاصة المحدثين والفقهاء منهم، والتوسع في إيراد أسماء الأماكن؛ فلقد زاد الزبيدي في هذه الأمور زيادة كبيرة، وخاصة الأماكن المصرية، وظهرت في المعجم أسماء معظم القرى المصرية، لا المدن المشهورة وحدها.
- ٣- ظهرت في التاج اللهجة العامية المصرية، فقد ذكرها من آن لآخر، وأيضًا

ذكر بعض العاميات الأخرى.

- ٤- التنبيه على المعنى العام أو الأصل الذي تدلّ عليه المادة، وهذه الظاهرة لم يذكرها الفيروزآبادي؛ نظراً لاختصاره وإيجازه مثل: وفي "بكاً" وفي العباب التركيب يدل على نقصان الشيء وقتله، وفي "بها" التركيب يدل على الأناث.
- ٥- عني بإبراز المعاني المجازية عنابة شديدة، وكان السبب في ذلك أخذُه من "أساس البلاغة" مثال ذلك قال في مادة (رفع): ومن المجاز قال الأصمعي: رفع القوم فهم رافعون إذا صعّدوا في البلاد، ومن المجاز رفعوا الزرع، أي: حملوه بعد الحصاد إلى البيدر، كما في الصحاح. وقوله تعالى: ﴿وَفُوشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ أي بعضها فوق بعض أو مقربة لهم.

المأخذ عليه:

- ١- عدم الترابط بين المادة الواحدة في بعض المواضع نتيجة شرح المؤلف خلال نص الفيروزآبادي، وتفريق المستدركات بين كلام الفيروزآبادي وآخر المادة.
- ٢- التصحيف والتكرار والخطأ نتيجة انتقال هذه الأمور من القاموس إليه.
- ٣- كثرة الأعلام والإكثار من الفوائد الطيبة، والتي لا تمتّ إلى المعاجم اللغوية بصلة وثيقة، إلا أنه يعد موسوعة علمية، فهذا المأخذ أقل بالنسبة له عن الفيروزآبادي في قاموسه، وهذه هنات لا تقلل من شأنه - كأصح وأكبر معجم في لغة الضاد.

## خلاصة الوحدة الرابعة

- مدرسة القافية هي المدرسة الثابتة في الفكر المعجمي العربي.
- يقوم نظامها على جعل الحرف الأخير أباً، والحرف الأول من الكلمة فصلاً مع مراعاة الحرف الثاني في الثلاثي، والثالث في الرباعي، والرابع في الخماسي.
- يمثل كتاب "تاج اللغة وصحاح العربية" فكر مدرسة القافية ومنهجها.
- يؤكد "الصحاح" أن الإمام الجوهري أول من ذلّل الصعاب، وسهّل الطريقة، وأعان القارئ والطالب؛ كي يصل إلى مراده دون عناء ومشقة وتكلف وضعف.
- يلي الجوهري الخليل في الشهرة، ويعد رائداً من رواد الفكر المعجمي العربي وإماماً لمدرسة جديدة في منهجها، طريفة في مسلكها السهل.
- كشفت مقدمة الصحاح عن هدف مؤلفه من تأليفه، والتمثل في التزام الصحيح من الألفاظ، وتيسير البحث عن الألفاظ.
- تُنطق كلمة "الصحاح" بكسر الصاد، وهذا هو المشهور كما تنطق بفتحها وهو جائز لكنه دون الأول.
- للجوهري في تاجه "الصحاح" منهج معلوم لم يسبق إليه بناء على أصول ثابتة، تتمثل فيما يلي:
- أ - جعله الحرف الأخير من الكلمة أباً، والأول فصلاً.
- ب - أبوابه ثمانية وعشرون أباً، لكل باب منها فصوله.
- يبلغ عدد الأبواب الكاملة الفصول خمسة أبواب.
- هُدي لإمام الجوهري إلى طريقتة هذه من خلال خبرته العظيمة في علم الصرف.
- تمكن الجوهري بمنهجه المذكورة ملاحمه من القضاء على مشكلتين كبيرين عانى منهما المعجم العربي طويلاً، وهما: نظام الأبيية، ونظام التقلبات الصوتية والمجائية.

- وضع (الجوهري) أساساً لترتيب المفردات داخل معجمه على النحو التالي:
- ١- تجريد الكلمة من زوائدها. ٢- رد المقلوب إلى أصله.
- ٣- رد المحذوف إلى الكلمة. ٤- رد الجمع لمفرده.
- ٥- الاعتداد بالحرف الثاني في الثلاثي والثالث في الرباعي، والرابع في الخماسي.
- تؤكد الدراسات اللغوية أن معجم الصحاح خير المعاجم التي سبقته أو عاصرته.
- ألزم الجوهري نفسه بالصحيح الذي لا خلاف فيه.
- أخذت على الجوهري مآخذ شتى منها: التصحيف، وتفسيره الخاطئ لبعض الكلمات، وإغفاله لبعض المواد والصيغ، وتركه بعض الكلمات لذيوعتها وشيوعها في عصره مع صيرورتها غامضة بعد عصره، ووضعه بعض المواد في غير موضعها، ووقوعه في بعض الأخطاء الصرفية، كما أخذ عليه خطأه في الشعر.
- هذه المآخذ لا تقلل من قدر الكتاب، ولا تنقص من قدر مؤلفه.
- شهد له الأئمة بالنبوغ وإمامته في عصره، وأنه خطأ بالمعاجم نحو الأمام.
- "لسان العرب" معجم من معاجم مدرسة القافية.
- يعدّ "لسان العرب" لابن منظور أوسع المعاجم العربية، وأغزرها مادة وأدقها تحريراً أو تعبيراً.
- هدف ابن منظور من معجمه "لسان العرب": الاستقصاء والترتيب.
- استمد الجوهري مادة كتابه من مصادر أصيلة منها: "تهذيب اللغة" للأزهري و"جمهرة اللغة" لابن دريد، و"المحكم" لابن سيده، و"النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير، و"صحاح" الجوهري، و"حاشية ابن بري على الصحاح".
- لسان منهج معلوم وضعه مؤلفه ابن منظور على النحو التالي:
- أ - صدر معجمه بمقدمة ذكر فيها الغرض من تأليفه لكتابه "اللسان"، ونصّ فيها على اهتمامه بمؤلفات سلفه من اللغويين، ونقده لمناهجهم ومعالجاتهم.
- ب - وضعه لباين تناول في أولهما تفسير الحروف المقطعة في أوائل بعض

سور القرآن الكريم، وتناول في الثاني ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها. ونصَّ على أخذه الباب الأول من الأزهرى دون إضافة تذكر، والباب الثاني أخذه من الحراني.

ج - عزوه الآراء لأربابها، والأقوال لذويها.

- لا يختلف معجم "لسان العرب" لابن منظور عن الصحاح للجوهري إلا في ضخامة الأبواب والفصول.

- لسان العرب لابن منظور مميزات كثيرة منها: اتساع مواده واستقصاء الصيغ، وكثرة مصادره ومراجعته، وإكثاره من المترادفات والنوادر، وكثرة استشهاده بالقرآن الكريم والحديث الشريف، وتجنبه التصحيحات الموجودة في صحاح الجوهري باعتماده على مراجع أخرى كثيرة، وعنايته بالأحكام الصرفية والنحوية وسهولة الترتيب وانتظامه داخل المواد اللغوية.

- للدراسات اللغوية على ابن منظور في "لسانه" مأخذ معدودات منها: تركه بعض الصيغ والمعاني وبخاصة الواردة في "تمذيب اللغة" للأزهرى، واقتصاره على المراجع المذكورة وتركه لمصادر أصيلة مهمة، وتكرار شواهد.

- للقاموس المحيط مميزات كثيرة أهمها: الاختصار والإيجاز، وذلك باستعماله للرموز، وحذف الشواهد وأسماء اللغويين وبعض التفسيرات الطويلة والاستطرادات والمترادفات، والاستقصاء، وذكره لأعلام المحدثين والفقهاء، وعنايته بالمولد والأعجمي والغريب، وعنايته الخاصة بالنباتات الطبية وفوائدها، وأسماء الحيوان والمدن والبقاع، وعنايته الشديدة بالألفاظ الاصطلاحية في العلوم المختلفة، وعنايته كذلك بالضبط عناية دقيقة.

- يتسم القاموس المحيط بالدقة، وهذا يبيّن جلي، فهو أول من استعمل الرموز للاختصار، كما أنه لا يكرر اللفظة عند ذكر معنى من معانيها.
- "تاج العروس من جواهر القاموس" تاج للمعاجم العربية قاطبة فهو أصح وأكبر وأشمل معجم في لغة الضاد.
- لـ"تاج العروس" مصادره الأصلية الأمهات التي أفاد منها كل الفائدة والتي منها: المحكم لابن سيده، والعباب للصاغاني، واللسان لابن منظور.
- لمعجم "تاج العروس" منهجه المعلوم، وهو منهج القافية.
- لتاج العروس ميزات كثيرة أهمها: النظام والاستقصاء وكثرة المواد، وعنايته بالأعلام عناية شديدة وبخاصة المحدثون والفقهاء منهم، والتوسع في ذكره لأسماء الأماكن، والتنبية على المعنى العام أو الأصلي الذي تدل عليه المادة.
- لبعض اللغويين عليه بعض المآخذ، كعدم الترابط بين المادة الواحدة في بعض المواضع، والتصحيف والتكرار والخطأ نتيجة انتقالها من القاموس إليه، وكثرة ذكره للأعلام، وإكثاره من الحديث عن الفوائد الطبية للنبات.

## اختبار الوحدة الرابعة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (x) أمام العبارة الخطأ فيما يلي:

- ١- مدرسة القافية هي المدرسة المعجمية الرابعة، وتنسب ريادةها إلى الإمام الجوهري.
- ٢- الإمام الجوهري أكثر من الخليل بن أحمد شهرة، وأرفع منه مكانة.
- ٣- نُطِقَ كلمة "صحاح" بالفتح نطق لا تفرقه اللغة.
- ٤- ينتظم كتابُ الجوهري "تاج اللغة و صحاح العربية" تسعة وعشرين باباً.
- ٥- خلا "الصحاح" من التصحيف، والتفسير الخاطئ لبعض الكلمات.
- ٦- خطا الجوهري بالمعجم نحو الأمام.
- ٧- لأهمية "الصحاح" وشهرته بين كتب اللغة قامت حوله دراسات كثيرة بين مختصرة له وناقدة، وواضعة لحواشيه ومكملة له.
- ٨- "لسان العرب" لابن منظور معجم لغوي فُحج مؤلفه منهج القافية.
- ٩- ضَمَّن ابن منظور "لسانه" باين: الأول في تفسير الحروف المقطعة في أوائل بعض سور القرآن الكريم، والثاني في ألقاب حروف المعجم وطبائعها وخواصها.
- ١٠- لا يختلف "لسان العرب" لابن منظور عن معجم الصحاح للجوهري إلا في ضخامة الأبواب والفصول.
- ١١- ليس للغويين مآخذ على لسان العرب.
- ١٢- القاموس المحيط معجم يتبع مدرسة القافية.
- ١٣- هدف القاموس المحيط الجمع والاستقصاء مع الاختصار.
- ١٤- للقاموس المحيط مميزات كثيرة أهمها استعمال الرموز للاختصار؛ وبعده عن التكرار.
- ١٥- لم يكن القاموس المحيط مستقصباً لمواده.

- ١٦- ليس للقاموس المحيط أثر في الدراسات اللغوية وبخاصة المعجمية.
- ١٧- اعتمد "تاج العروس" على أكثر المعاجم القديمة الأمهات فأد منها كل الفائدة.
- ١٨- اتبع الزبيدي في "تاج العروس" منهج القافية.
- ١٩- خلا "تاج العروس" من التصحيف والتكرار والخطأ.
- ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:
- ١- الإمام الجوهري هو رائد:
- أ- مدرسة القافية.
- ب- المدرسة الهجائية.
- ج- المدرسة الصوتية.
- ٢- يقوم نظام مدرسة القافية على:
- أ- جعل الحرف الأخير باباً والأول فصلاً.
- ب- جعل الحرف الأول باباً والأخير فصلاً.
- ج- كلاهما صحيح.
- ٣- يمثل كتاب اللغة وصحاح العربية فكر:
- أ- مدرسة القافية ومنهجها.
- ب- المدرسة الهجائية.
- ج- المدرسة الصوتية.
- ٤- يلي الجوهري في الشهرة:
- أ- الخليل بن أحمد.
- ب- الزبيدي.
- ج- ابن منظور.
- ٥- تنطق كلمة الصحاح:
- أ- بكسر الصاد.
- ب- بفتح الصاد.

ج- كلاهما صحيح والأول يشهر.

٦- مُدِّي الجوهري إلى طريقتة في الصحاح من خلال خبرته في علم:

أ- النحو. ب- الصرف. ج- العروض.

٧- يعد لسان العرب من معاجم:

أ- مدرسة القافية. ب- المدرسة الهجائية. ج- المدرسة الصوتية.

٨- يعد لسان العرب:

أ- أوسع المعاجم العربية وأغزرها مادة.

ب- من المعاجم المتوسطة الغزارة.

ج- من المعاجم المختصرة جدًا.

٩- هدف ابن منظور من معجمه:

أ- الاستقصاء والترتيب.

ب- الاختصار والتهديب.

ج- التوسط بينهما.

١٠- هدف القاموس المحيط:

أ- الجمع والاستقصاء مع الاختصار.

ب- التوسع في عرض المواد اللغوية.

ج- الجمع والاستقصاء مع البسط حتى فاق اللسان.

١١- هدف تاج العروس هو:

أ- شرح لسان العرب.

ب- شرح الصحاح.

ج- شرح القاموس المحيط.

ثالثاً: الأسئلة المقالية:

- ١- مدرسة القافية منهجها المميز لها عما سواها. اكشف عنه ثم أفصح عن دلالاته.
- ٢- لمن تعزى زيادة مدرسة القافية؟ وما مقاصدها؟
- ٣- "تاج اللغة وصحاح العربية" معجم لغوي يمثل فكر مدرسة القافية. تأمل اسمه لتكشف من خلال تأمله عن مقاصد تأليفه.
- ٤- عرّف بالإمام الجوهري واكشف عن أهم آثاره وأبرز نتاجه اللغوي.
- ٥- للإمام الجوهري أثره فيمن خلفه من اللغويين. اذكر هذا الأثر.
- ٦- في كلمة "الصحاح" وجهان نطقيان درستها. اذكرهما ووجه كل منهما مع تحديده للوجه الراجح منهما والتعليل لرجحانه.
- ٧- لنظام القافية ميزاته. اذكرها مشفوعة بما يجليها من أمثلة وشواهد.
- ٨- بنى الجوهري ترتيب البنية داخل معجمه "تاج اللغة وصحاح العربية" على أساس معلوم لديك. اذكره ثم أفصح عن أهم ميزاته ودلالاتها.
- ٩- يكشف معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" عن تأثر مؤلفه الإمام الجوهري ببعض العلماء. تناول هذا القول بما يجليه ويكشف عن مصداقته.
- ١٠- لتاج اللغة وصحاح العربية ما تفرد به عن غيره. أفصح عما تفرد به مدعوماً بالمثال والشاهد.
- ١١- أخذ بعض اللغويين على الإمام الجوهري ما أخذ درستها ووقفت عليها. اكشف عنها في ضوء ما تمت دراسته لك ثم أفصح عن دلالاتها وإيجازاتها.
- ١٢- لقد قيص الله ﷻ للإمام الجوهري من يدفعون عنه بعض ما أخذه عليه بعض اللغويين. اشرح هذا القول، وأقم الدليل على صحته.
- ١٣- مما أخذ على الجوهري وقوعه في بعض الأخطاء الصرفية. اذكر من الأمثلة ما يؤكد هذا المأخذ.

١٤- عرف ابن منظور تعريفاً يكشف عن ملامح شخصيته وبين نشأته العلمية الأولى.

١٥- كيف رتب ابن منظور معجمه "لسان العرب"؟ وما المدرسة التي يعزى

إليها معجمه؟ ولم أثرها على غيرها؟ وما رأيك في منهجه؟

١٦- فيم يتفق اللسان والصحاح؟ وفيم يختلفان؟

١٧- لمعجم "لسان العرب" لابن منظور مميزات، كشفت عنها دراستك له.

أفصح عنها ثم اكشف عن دلالاتها.

١٨- اذكر أهم الأسباب التي حالت بين اللغويين وبين دراستهم للسان العرب.

١٩- درست معجمي "تاج اللغة وصحاح العربية"، و "لسان العرب".

وازن بينهما من حيث الغرض، والمنهج، والمميزات، والمآخذ.

٢٠- أَلَّفَ الفيروزآبادي معجمه القيم "القاموس المحيط" وألح من خلال تسميته

إلى هدفه. تناول هذا القول في ضوء ما درسته.

٢١- اذكر أوجه الاتفاق والاختلاف بين "تاج اللغة وصحاح العربية"

و"القاموس المحيط".

٢٢- ترجم للبيدي مؤلف "تاج العروس" ترجمة موضوعية تنتظم نسبه ونشأته،

وحياته العلمية، وأثره في الدراسات اللغوية مع ذكر أهم نتاجه العلمي في

الدرس اللغوي.

٢٣- ألححت تسمية البيدي لمعجمه "تاج العروس" إلى غرض البيدي من تأليفه.

بيِّن ذلك ووضحه.

٢٤- لا ريب في أن لإبراز المعاني المجازية، والنص عليها قيمة وأهمية في الدرس اللغوي.

وضح ذلك في ضوء تأملك للسؤال.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفِظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّكُمْ مِّنْهَا وَمَنْ كَلَّ كَرِبَ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ لِّكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦١-٦٧].

أ- اذكر الأصل اللغوي لما فوق الخط.

ب- رتب ما فوق الخط ترتيبه في صحاح الجوهري.

ج- كيف تكشف عما فوق الخط في لسان العرب؟

٢٦ - قال رسول الله ﷺ:

"أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل".

وقال: "أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله".

وقال: "أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحان الله وبحمده".

١- اذكر الجذر اللغوي لما تحته خط

٢- ما الخطوات التي تتبعها للكشف عنها في: الصحاح واللسان.

٣- رتبها ترتيبها في الصحاح ولسان العرب.

## النشاط التعليمي للوحدة الرابعة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول موضوعات هذه الوحدة عليك بإنجاز النشاط التعليمي التالي:

- إعداد بحث موضوعي في فكر مدرسة القافية، ومقاصدها ومنهجها، ورائدها، مع الاستعانة بالمصادر القديمة والحديثة والأساتذة المتخصصين في الدراسات اللغوية، وبخاصة المعجمية.

- قم بحصر جميع الكتب القديمة والحديثة والدوريات والمنشورات والمجلات والمقالات التي عرضت لموضوعات هذه الوحدة، ثم اختر بعضها للتعرف على منهج المعالجة بها مع التعليل لاختيارك.



## الوحدة الخامسة

### المدرسة الهجائية العادية

مبررات دراسة الوحدة:

عزيزي الدارس: تتعرف في هذه الوحدة على فكر المدرسة الهجائية العادية وبواعث ولادتها ومقاصدها كما تتعرف من خلالها على أصول منهجها وضوابطه وركائزه.

وفي هذه الوحدة تتعرف على أنها هي المدرسة المعجمية الرابعة، وأن الإمام الزمخشري مسبق على فكرة هذه المدرسة بفكر البرمكي في كتابه "المنتهى في اللغة" وتتعرف فيها على أن "أساس البلاغة" للإمام الزمخشري يمثل فكر هذه المدرسة ومنهجها، وفيها تتعرف على الهدف من وراء تأليف الزمخشري لكتابه، كما تتعرف على مصادره الأصلية، ومنهجه وكيفية معالجته لمسائل الكتاب وقضاياها وفيها تتعرف على مميزاته والمآخذ عليه، وما له من أثر في الدراسات اللغوية وبخاصة المعجمية.

وفيها تتعرف على سر تسمية الفيومي لمعجمه بالمصباح المنير، كما تتعرف على غرضه ومنهجه، وتقف على مميزاته والمآخذ عليه.

وفي هذه الوحدة تتعرف على "مختار الصحاح" من حيث الهدف والمصادر والمنهج وكيفية المعالجة وتتعرف كذلك على مميزاته والمآخذ عليه.

وتتعرف كذلك في رحاب هذه الوحدة على معاجم اليسوعيين "كمحيط المحيط" للبيستاني، و"أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد"، و"المنجد" للأب لويس معلوف اليسوعي، من حيث غرض كل منها ومصدرها، ومقاصدها،

ومنهجها، وكيفية المعالجة للمادة اللغوية داخل كل معجم من معاجمها، كما تتعرف كذلك على مميزات كل منها والمآخذ عليها.

وفي هذه الوحدة يمكنك أن تقارن بين معجم كل منها لتقف على أوجه الشبه والخلاف بين كل منها والآخر.

وتتعرف في هذه الوحدة المهمة على بواعث إنشاء المجمع اللغوي في القاهرة ومقاصده وعلى القضايا والمسائل المنوطة به، كما تتعرف فيها على فكرة المعجم الوسيط ومقاصده ومنهجه وملامح التحديث فيه، كما تتعرف على المعجم الكبير فكرياً ومنهجاً وكيفية المعالجة.

فهذه الوحدة موضوعاتها حرة وجديرة بالدراسة ، وعلى الله - سبحانه -

قصد السبيل.

الفصل الأول: أساس البلاغة

أولاً: أساس البلاغة للزمخشري

- مؤلفه.
- هدفه.
- منهجه.
- مميزاته.
- المآخذ، قيمته العلمية.

ثانياً: المصباح المنير

- هدفه.
- منهجه.
- مميزاته.
- المآخذ عليه، قيمته العلمية.

ثالثاً: مختار الصحاح

- مؤلفه.
- هدفه.
- مميزاته.
- المآخذ عليه.
- قيمته العلمية.

الوحدة

الخامسة

المدرسة

الهجائية

العادية

الفصل الثاني: معاجم اليسوعيين

أولاً: محيط المحيط للبستاني

- هدفه.
- منهجه.
- مميزاته.

ثانياً: أقرب الموارد في فصيح اللغة

والشوارد.

- مؤلفه.
- هدفه.
- منهجه.
- مميزاته.

ثالثاً: المنجد

- مؤلفه.
- هدفه.
- منهجه.
- مميزاته.
- المآخذ عليه.

موقف مجمع اللغة من المعاجم

- المعجم الوسيط: هدفه، منهجه، مميزاته.
- المعجم الكبير: هدفه، منهجه، مميزاته.

## الفصل الأول: أساس البلاغة

الأهداف التعليمية للفصل الأول:

- عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:
- ١- تعرف أن الإمام الزمخشري مسبقًا إلى ريادة المدرسة المحجائية العادية بالبرمكي مؤلف "المنتهى في اللغة".
  - ٢- تعلم أن "أساس البلاغة" يمثل فكر المدرسة المحجائية العادية وغرضها ومنهجها.
  - ٣- تقف على هدف الزمخشري من تأليفه لكتابه "أساس البلاغة".
  - ٤- تدرك أن الزمخشري قد عني في مؤلفه بالألفاظ داخل الجمل والتراكيب والأساليب البلاغية.
  - ٥- تعلم أن "أساس البلاغة" قد اهتمَّ فيه مؤلفه بتحديد المجاز من الحقيقة، وضرب لذلك الأمثلة وأتى بالشواهد عليها من كلام الله ﷻ، وحديث النبي ﷺ وكلام العرب: شعره ونثره.
  - ٦- تقف على منهجه من حيث ترتيبه للكلمات داخل معجمه، وتقسيمها إلى أبواب، وتقسيم أبوابه إلى فصول.
  - ٧- تعرف أن لها مميزات، تعلق لها، كما أن عليه مآخذ وتعلل لها.
  - ٨- تفهم أن للمصباح المنير هدفًا معلومًا ومنهجًا هو منهج المدرسة المحجائية العادية.
  - ٩- تذكر أن من منهجه ترتيبه الكلمات بحسب الحرف الأول والثاني وما يثلاثهما.
  - ١٠- تقف على أن له مميزات وعليه مآخذ وتعلل لكل منهما، وتنتدي إلى قيمته وأثره.
  - ١١- تقطع بأن لمختار الصحاح هدفًا ومنهجًا معلومين.
  - ١٢- تذكر أن له مميزات، وعليه مآخذ، وتعلل لكل منهما، وتنتدي إلى قيمته وأثره.

## الوحدة الخامسة

### المدرسة الهجائية العادية

#### الفصل الأول: أولاً: أساس البلاغة<sup>(١)</sup>

مؤلفه: أبو القاسم جاز الله بن عمر بن أحمد الزمخشري، ولد سنة ٤٦٧هـ - ٨٣٥هـ، وبظهور معجم أساس البلاغة يظهر نظام جديد وطريقة تختلف عن الطرق التي سار على منحها أرباب المعجمات السابقة، فلقد رأينا مدرسة التقليبات الصوتية والتقليبات الأيجدية ومدرسة القافية، وعرفنا نظام ومنهج كل مدرسة وما حدث من المعاجم المختلفة ذات الأهداف والمقاصد المتباينة. ولقد سبق الزمخشري إلى هذه الطريقة أبو المعالي محمد بن تميم الرمكي ٣٧٢ - ٤٣٣هـ في معجمه الذي سماه "المنتهى في اللغة".

هدفه:

- ١- توضيح وجوه الإعجاز في القرآن الكريم؛ لأنه إذا بين سر البلاغة في أقوال العرب سما منها إلى سر بلاغة القرآن الكريم ووقف على كنه إعجازه.
- ٢- تخريج حيل من الأدباء المتمرسين في معرفة أسرار الأساليب العربية وسماها. ولما كان هذا الهدف يختلف عما عدها من المعاجم اللغوية والتي تهتم باللفظ المفرد أياً كان قائله بصرف النظر عن منزلته الأدبية - كان هذا المعجم يعنى - أول ما يعنى - بالعبارة البليغة، فيورد الألفاظ العربية في استعمالاتها البليغة، ولا يأتي بما مفردة كما رأينا في المعجم التي درسناها في المدارس السابقة.

(١) طبع أساس البلاغة بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٢م.

يسير هذا المعجم على الأبجدية العادية أ ب ت ث، وينقسم إلى أبواب مرتبة على حسب الترتيب العادي، فالباب الأول باب همزة، والباب الثاني باب الباء، والباب الثالث باب التاء... إلخ حروف الهجاء، إلا أنه يقدم باب الواو على الهاء، والباب يشمل الألفاظ التي أولها الحرف المسمى باسمه فباب السين مثلاً يشمل الكلمات التي أولها سين وباب العين يشمل الألفاظ التي أولها العين... وهكذا.

والباب يقسم إلى فصول بحسب الحرف الثاني، فمثلاً باب همزة مع الباء ثم باب همزة مع التاء وباب همزة مع الناء، وهو لم يسمه الفصول بل يكفي بقوله همزة مع الباء وهمزة مع التاء فقط.

وينقسم كل فصل إلى مواد مرتبة بحسب الحرف الثاني، إن كان الكلمات ثلاثية أو بحسب الثاني والثالث إن كانت رباعية، أو بحسب الثاني والثالث والرابع إن كانت خماسية.

وإليك مثلاً من هذا المعجم؛ حتى تفهم على ما فيه من مميزات يمتاز بها عن غيره: يقول في مادة "خ ز ن": خزن المال في الخزانة أحرزه، واختزنه لنفسه واستخزنه المال، وله مخزن حريز وهو صاحب مخزن الأمير.

وفي المجاز: اطلب من خزائن -رحمة الله تعالى- وأخزن لسانك وسرك  
قال امرؤ القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه يخزان

وقال السمري بن أسد العكلي:

وبادرٌ بليلِ أوبةِ الركبِ إنهم متى يرجعوا يخزن عليك كلامها

واجعله في خزانتك أي في قلبك إذا لقتة علماً، أو أودعته سراً، وفي حكمة لقمان:

"إذا كان خازنك حفيظاً وخزانتك أمينة رشدت في دنياك وآخرتك".

وقولهم: "خزن اللحم إذا تغير، معناه: خزنه فخزن أي ادخره فتلف بسبب الادخار؛ ألا ترى إلى قوله:

ثم لا يخزن فينا لحمًا إنما يخزن لحم المدخر  
أساس البلاغة في الميزان

مميزاته:

- ١- عنايته 'الشديدة بالمجاز حتى إنه أفرد له قسمًا في أكثر المواد، أضف إلى ذلك الكثير من العبارات المجازية في القسم الحقيقي من المواد، وكانت العبارات تختلف في هذا المجال فيقول كثيرًا: "ومن المجاز" وأحيانًا "ومن الكناية"، وأيضًا "ومن المستعار" وكل هذه العبارات بمعنى واحد وهو المجاز وعني أيضًا بالمجاز اللغوي.
- ٢- ومن مميزات أساس البلاغة الملفتة للنظر إيراد الألفاظ في عبارات؛ لأنه ليس معجمًا للألفاظ المفردة بل للعبارات، وهي عنده أنواع متباينة، فمنها الآيات القرآنية وكان المؤلف يرددها في أكثر الأحيان خلال الكلام دون أن يشير إلى أنها من القرآن الكريم مثل قوله في حبر: حَبْرَهُ اللهُ: سَرَّهُ "فهم في روضة يحبرون" وهو محبور، أي: مسرور.
- ومن العبارات عنده الأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة، والأمثال والتعبيرات الخاصة.

المأخذ:

- ١- عدم ذكر أصحاب العبارات والأسجاع.
- ٢- إدخال مواد الرباعية في الثلاثية فقد أدخل عجر في عجر وسمح في سمح.
- ٣- الاضطراب في تحديد المجاز فنتج عن ذلك الاضطراب في تقسيم الحقيقة والمجاز، وأدى ذلك إلى الاضطراب في وضع كثير من العبارات الحقيقية في الأقسام المجازية وبالعكس.

٤- الاضطراب بين المعتل اليائي والواوي وظهر ذلك جلياً في مادة "أبي" حيث وضع فيها بعض الصيغ المشتقة في "أبو".

والحق أن هذه الهنات لا تقلل من مكانة هذا المعجم الفريد في نوعه في لغة الضاد؛ فهو يعد معجماً خاصاً بالتعبير العربي وبالعبارة البليغة وليس معجماً للألفاظ، كما ينسب لمؤلفه الفضل - كل الفضل - في توجيه المعاجم هذه الوجهة، وهي السير على الأبيجدية العادية، والنظر إلى أوائل الكلمات بعد البرمكي، كما أشرنا آنفاً، كما أنه ينسب إليه الفضل كل الفضل في توجيه حركة المعاجم العربية إلى العبارات الأدبية البليغة بدلاً من الاقتصار على الألفاظ المفردة، كما كان له الفضل بالعناية بالعبارات المجازية، فهو اسم على مسمى - فجزاه الله عنا خير الجزاء.

ثانياً: المصباح المنير<sup>(١)</sup>

مؤلفه: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ.

هدفه:

بالرجوع إلى مقدمة المصباح المنير يتبين لنا هدفه ومقصده وهو الاختصار لمطوله الذي ألفه في "غريب الشرح الكبير" للرافعي، والذي أوسع فيه من التصاريف، وأضاف إليه كثيراً من الزيادات وإعراب الشواهد وبيان معانيها، وقسمه تقسيماً لم يرتح هو نفسه إلى منهجه؛ ولذا فكر في عمل هذا المعجم، وهو "المصباح المنير" ليستنير به المبتدئ وفرغ من تأليفه سنة ٧٣٤هـ أي بعد لسان العرب بفترة وجيزة.

منهجه: رتبه حسب أوائل الألفاظ ويلاحظ أنه عد حروف الهجاء تسعة وعشرين حرفاً؛ لأنه عقد باباً خاصاً للحرف "لا" بين الواو والياء، وهو على العموم يرتب الكلمات بحسب الحرف الأول والثاني وما يثلاثهما، ويضع الكلمة

(١) طبع بتحقيق أستاذنا الدكتور عبدالعظيم الشناوي بدار المعارف.

الزئدة على ثلاثة أصول بعد المادة الثلاثية المشتركة معها في الحرف الثالث، هذا كله بعد تجريده الكلمة من زوائدها ورد المقلوب إلى أصله وإرجاع المحذوف مثل عد أمر من وعد، فيكشف عنها في "وعد".

### المصباح في الميزان

مميزاته:

- ١- عنايته بضبط الكلمة بلفظ مشهور، وكثيراً ما يكون الضبط بالنص على نوعه، فيقول لفظ كذا بضميتين أو بفتحتين أو بفتح وكسر... إلخ.
- ٢- عنايته بالمصطلحات الفقهية والمعاني الشرعية، وليس هذا غريباً؛ لأن المصباح المنير اختصار لمطوله الذي ألفه في "غريب الشرح الكبير" للرافعي، والذي يعد شرحاً لكتاب "الوجيز" في الفقه الشافعي.
- ٣- وكان في شرحه يعنى بالاستشهاد بالقرآن الكريم، وحديث رسول الله ﷺ، والمأثور من كلام العرب شعرهم ونثرهم.
- ٤- التعريف بالنبات والحيوان كلما سمح له المجال في ذلك.
- ٥- عنايته بالنواحي الصرفية والاشتقاقية ولكن بإيجاز.

المتأخذ:

الاختصار الواضح مما جعله غير قادر على الوفاء بحاجة الباحث والدارس إلا في حدود ضيقة، وليس هذا غريباً على المعجم الموجز، فهو يفني ببعض النواحي وغير وافٍ بجميع النواحي، فهو مفيد للناشئ والمبتدئ؛ نظراً لإيجازه. ورغم ذلك فله أهمية جلية للدارسين والناشئين - كما قلت.

### ثالثاً: مختار الصحاح

مؤلفه: الإمام محمد بن أبي بكر عبدالقادر (٧٦٠هـ-).  
هدفه: اختصار معجم تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري.

منهجه: ترتيب الكلمات بحسب الحرف الأول والثاني مع مراعاة الحرف الثالث إن كانت الكلمة ثلاثية بعد تجريدها من الزوائد وإرجاع المقلوب لأصله ورد المحذوف.

وكان ترتيبه كترتيب الصحاح بحسب أواخر الكلمات، ولكن الطبعة التي أصدرتها وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٠٥م تم ترتيب المعجم بحسب أوائل الكلمات، وكان ذلك بفضل الأستاذ/ محمود خاطر ومراجعة الشيخ حمزة فتح الله.  
المختار في الميزان

مميزاته:

- ١- العناية بضبط الأسماء بذكر الموازين المشهورة أو بالنص على حركات الكلمة، وأما الأفعال فذكر أبوابها.
- ٢- الاختصار في الشرح على ما يزيل غموض الكلمة.
- ٣- ذكر بعض المصادر التي لم يذكرها الصحاح.
- ٤- حذف الأمور التي تخل بإيجازه، مثل أقوال اللغويين الكثيرة، وحذف الأعلام والحشود والتطويل الذي لا يهم الناشئ والمبتدئ؛ ولذا كان أهم ميزة يمتاز بها الاختصار والإيجاز نتيجة لذلك.

المآخذ:

مما لا شك فيه أنه لا يؤخذ عليه سوى إيجازه واختصاره الذي يكون في بعض الأحيان سبباً في عدم مد الناشئ بكل ما يحتاجه. وحذفه الشواهد، وهي التي يُعتمد عليها في معرفة اللغة.

وأيضاً مما يؤخذ عليه: إيراد بعض الألفاظ التي وجه إليها النقد بالخطأ أو بالتصحيح، ورغم ذلك فلا تقلل هذه الهنات من شأن هذا المعجم وأهميته لطلاب المدارس والمبتدئين، فهو نعم الرفيق لسد حاجاتهم.

## الفصل الثاني: معاجم اليسوعيين

الأهداف التعليمية للفصل الثاني:

عزيزي الدارس: يرجى منك بعد دراسة هذه الوحدة أن تصبح قادرًا على أن:

١- تعلم أن له هدف كتاب "محيط المحيط" يتمثل في: إحياء اللغة من رقدتها، ومصدره هو: القاموس المحيط، وبعض المعاجم الأخرى.

٢- تقف على منهجه المتمثل في ترتيبه الكلمات، ومميزاته.

٣- تذكر أن من معاجم اليسوعيين معجم "أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد" ألفه سعيد الخوري، حدد له هدفًا، ورسم له منهجًا تمثل في ترتيبه الكلمات بحسب أدائها، مع مراعاة الحرف الثاني والثالث.

٤- تقف على هدفه المتمثل في إخراج معجم يفي بحاجة لدارس المبتدئ، وتذكر منهجه القائم على ترتيبه الكلمات بحسب الحرف الأول مع مراعاة الثاني والثالث.

٥- تتهدي إلى مميزاته وتحددها في سهولة التناول، والإيجاز في غير خلل، وحسن تنسيقه وتنظيمه وتذييه وتزويده بالرسوم والصور الكثيرة، واتباعه طريقة فريدة لرموز.

٦- تعلم أن للمجمع اللغوي أهدافًا عظيمة منها التأليف المعجمي.

٧- تعلم أن للمعجم الوسيط هدفًا مؤداه أن يكون مرجعًا واقفًا للكاتب والدارس المثقف.

٨- تعرف أن المعجم الكبير معجم معجمي، له منهج معلوم، طبعت منه ستة أجزاء، ويسير منهجه على سق فريد وجديد في اللغة.

## الفصل الثاني: معاجم اليسوعيين

أولاً: محيط المحيط:

يعد معجم "محيط المحيط" أول معجم ألفه اليسوعيون.

مؤلفه:

بطرس البستاني المتوفى سنة ١٨٨٢م.

هدفه:

إحياء اللغة العربية من رقدتها، وهذا المعجم يحتوي على المادة الموجودة في "القاموس المحيط" أضاف إلى ذلك بعض الزيادات الهامة في المعاجم الأخرى كما يشير إلى ذلك مؤلفه.

منهجه:

رتب الكلمات حسب الحرف الأول مع ملاحظة الثاني والثالث، إن كانت الكلمة ثلاثية بعد تجريدتها من زوائدها وإرجاع المقلوب إلى أصله. وكان يحافظ على عبارة الفيروزآبادي في شرحه للكلمات زيادة أو نقصاً في بعض الأحيان.

### المحيط في الميزان

مميزاته:

١- زيادة بعض الألفاظ المولدة والعامية والمسيحية وبعض الاستعمالات الصرفية والنحوية.

٢- عني بإيراد الشواهد ونسبتها إلى أصحابها.

٣- عني بضبط الكلمات إما بالتصريح بالحركات أو بذكر الموازين المشهورة.

وغير ذلك من المميزات التي لها أهميتها في المعجم الحديث.

ثانياً: أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد

مؤلفه: سعيد الخوري الشرتوني ١٨٨٩م.

هدفه: التيسير على الطالب المبتدئ حتى يستطيع الوصول لغرضه في وقت قصير؛ توفيراً للجهد والمشقة.

منهجه: رتب الكلمات بحسب أدائها مراعيًا الحرف الثاني والثالث بعد تجريدتها من الزوائد وإرجاع المقلوب لأصله.

### أقرب الموارد في الميزان

مميزاته:

- ١- ضبط الألفاظ بالنص على حركاتها كما فعل الفيروزآبادي.
- ٢- اعتمد في معجمه على المصنفين الموثوق بهم.
- ٣- حذف البقاع والأعلام وتوهمات الجوهري.
- ٤- حذف الكثير من الألفاظ العامة والمسيحية.

والحق أن هذا المعجم أكبر معجم ألفه اليسوعيون، ومن أجمع المعاجم للمفردات العربية، ويرجع ذلك لاتخاذ "القاموس" محورًا له ثم أجرى بعض التغييرات؛ لأنه رجع "للسان العرب" و"أساس البلاغة" و"تاج العروس" و"المجمل" وغير ذلك من كتب اللغة مما جعله يحتل هذه المكانة بين معاجم اليسوعيين.

### ثالثًا: المنجد

مؤلفه: الأب لويس معلوف اليسوعي ١٨٦٧-١٩٤٦م.

هدفه: إخراج معجم يفني بحاجة الدارس المبتدئ، "ليس بالمخل المعوز ولا بالطويل المعجز" كما يصرح بذلك في مقدمته.

منهجه:

رتب الكلمات بحسب الحرف الأول مع ملاحظة الثاني والثالث، بعد تجريدتها من زوائدها.

## المنجد في الميزان

مميزاته:

- مادة معجم المنجد قريبة المأخذ سهلة التناول، وهو موجز في غير حقل، ميسر الانتفاع به، ويمتاز بالتنسيق والتنظيم والتهذيب، ومزود بالرسوم والصور الكثيرة المنتشرة في هذا المعجم، واتبع طريقة فريدة وهي كما يلي:
- ١- إذا كانت المادة بين هلالين مسبوقه بنقطة مربعة الشكل فالكلمة أصلية في اللغة العربية، وإن كانت النقطة مستديرة فالكلمة دخيلة على اللغة.
  - ٢- لا يعيد ذكر الكلمة ويضع أمانة لذلك بوضع خط بين القوسين، وإذا وضع نقطتين فمعنى ذلك: إعادة التفسير.
  - ٣- أشار بالرمز (فا) للفاعل و"مفع" للمفعول و"جـ" للجمع و"ججـ" لجمع الجمع و"ص" للمصدر و"م" مؤنث و"مشـ" للمشتق و"مع" للمعروف وغير ذلك من الرموز التي تدل على حركة عين الفعل المضارع.
- وقد ذكر الأب لويس فصلاً صغيراً ذكر فيه أشهر المعاجم العربية، وفصلاً ثانياً جمع فيه الفريد من الأمثال مرتبة ترتيباً أبجدياً تحت عنوان: "فوائد الأدب" وذكر فهرساً للصور والرسوم الواردة في المعجم.
- وقد صدرت للمنجد طبعة جديدة في فبراير ١٩٥٥م ألحق بها قسم "للأب فرديان توتل اليسوعي" عني فيه بالترجمة لبعض الأعلام من الشرق والغرب، وبه كثير من الخرائط الملونة والصور.

المأخذ:

لعل أهم مأخذ هو التعصب الديني، وهذا يظهر بجلاء عند ذكره لأماكن العبادة حيث يهتم بالأماكن المسيحية أكثر من غيرها، وغير ذلك مما يرجع إلى بعض النوايا من وراء تأليف مثل هذه المعاجم عند تلك الطائفة.

## موقف مجمع اللغة العربية من المعاجم

- افتتح مجمع اللغة العربية صباح يوم الثلاثاء ١٤ من شوال ١٣٥٢هـ الموافق ٣٠ من يناير سنة ١٩٣٤م للأغراض الآتية - كما نص في مرسوم إنشائه:
- أ- أن يحافظ على سلامة اللغة العربية وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقديمها، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة أو يعبر ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب.
- ب- أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثاً دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولاتها.
- ج- أن ينظم دراسة علمية اللهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.
- د- أن يبحث كل ما له شأن في تقدم العربية مما يعهد إليه فيه بقرار من وزير المعارف المصرية.

هذه هي أغراض المجمع اللغوي ومن أغراضه: وضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون ومن أغراضه أيضاً: وضع معجم تاريخي، ووضع معجم للهجات العربية، والذي يهمننا من هذا هو المعجم الكبير والمعجم الوسيط.

أولاً: المعجم الوسيط:

رأى المجمع أن يسعف العالم العربي بهذا المعجم بأحدث طراز عصري، كما رأى المجمع ألا يقصر هذا المعجم على طلاب التعليم فقط، بل يسمو به حتى يكون مرجعاً وافياً للكاتب والدارس المثقف.

منهجه:

وضع الكلمات بحسب أوائلها مع ملاحظة الحرف الثاني ثم الثالث بعد تجريدتها من زوائدها وإرجاع المقلوب لأصله.

وقد قسمت كل مادة إلى قسمين: الأول للأفعال والثاني للأسماء والصفات، ورتبت الصيغ في داخل كل قسم، فقدم المجرد فيها، ثم رتب المزيد وفق حروفها، فصل الأفعال المتعدية كلها من الأفعال اللازمة.

ومما لا شك فيه أن هذا المعجم أقرب معاجمنا إلى الكمال في الجمع والترتيب، يمتاز بالتنظيم واليسير بل يفوق في الأخيرين مدرسة اليسوعيين التي تأثر بمنهجها تأثراً واضحاً.

ووضع بعض الرموز للاختصار والتفسير وهي: (ج) للجمع، و (مو) للمولد، (مج) للفظ الذي أقره الجمع، و (محدثه) للفظ الذي استعمله المحدثون في العصر الحديث وشاع في الاستعمال في الحياة اليومية، و (مع) للمعرب، وغير ذلك من الحركات التي تدل على حركة عين الفعل.

ثانياً: المعجم الكبير: لم يفرغ بجمع اللغة من تأليفه بعد، وخرج منه الجزء الأول إلى السادس، وفي هذا المعجم يذكر الجمع في صدر كل قسم من المادة الواحدة الألفاظ التي تقابلها من اللغات السامية شقيقات اللغة العربية مع كتابتها بالعربية والحروف اللاتينية ليسهل نطقها ووضعها بين قوسين معقوفين أما إذا كان اللفظ غير أصلي في اللغات السامية بل منقول إليها من اللغات الأجنبية الأخرى - ذكر هذا الأصل بصورته الأصلية.

ويسير هذا المعجم في ترتيب المواد بحسب الحرف الأول فالثاني فالثالث، ويسير على نسق فريد وجديد في اللغة، ولقد بدأ بالهمزة وتكلم عن الهمزة من جميع نواحيها، فتعرض لتعريفها ورسمها وآراء العلماء في هذا، وغير ذلك مما لا يوجد له نظير في معاجمنا الجزء الأول خاص بالهمزة والثاني بالباء، وهكذا وفق الله القائمين على هذا العمل لما فيه خير لغة الضاد، لغة القرآن الكريم.

## خلاصة الوحدة الخامسة

- تعد المدرسة الهجائية العادية لمدرسة المعجمية الرابعة.
- بولادتها ظهر نظام معجمي جديد له طريقته التي تختلف عن النظم التي صدر على فمها أرباب المعجمات التي سلفتها.
- لمعجم "أساس البلاغة" مميزاته التي منها: عنايته الشديدة بالمعاني المجازية مع نصه الصريح عليها، ووضعه الألفاظ في جمل وأساليب بليغة.
- لبعض اللغويين على الزمخشري في "أساس البلاغة" مآخذ منها: ذكره الأقوال والأسجاع غير معزوة لأربابها، إدخاله المواد الرباعية في الثلاثية، اضطرابه في تحديد المجاز، اضطرابه بين المعتل الواوي واليائي.
- يعد "أساس البلاغة" معجماً فريداً في نوعه؛ حيث إنه عني بالمفردات داخل الجمل والعبارات والأساليب البليغة، ولم يعن بما مفردة.
- "المصباح المنير" للفيومي أحد معاجم المدرسة الهجائية العادية.
- صدره مؤلفه بمقدمة عرض فيها لبواعث تأليفه وغرضه ومنهجه.
- هدفه هو الاختصار لطوله الذي ألفه في "غريب الشرح الكبير" ليستتر به المبتدئ.
- للفيومي في "مصباحه" منهجُه القائم على ترتيب ألفاظه حسب أوائل الألفاظ مع مراعاة الحرف الأول والثاني وما يثلثهما مع عقده بأباً خاصاً للحرف "لا" بين الواو والياء، وحروف الهجاء لديه تسعة وعشرون حرفاً.
- أخذ عليه الاختصار البين الذي جعله عاجزاً عن الوفاء بحاجة الباحثين والدارسين.
- "مختار الصحاح" معجم هدفه اختصار معجم "تاج اللغة وصحاح العربية" للجوهري.
- لهذا المعجم مميزاته التي منها: عنايته بضبط الأسماء عن طريق الوزن، أو النصر

- على حركات الكلمة، وضبطه للأفعال بذكره أبوابها، واقتصاره في الشرح وذكره بعض المصادر التي لم يذكرها "الصباح"، وحذفه الموضوعات التي تخل بإيجازه كأقوال اللغويين الكثيرة والأعلام والحشو والتطويل.
- لبعض اللغويين عليه مآخذ منها: حذفه الشواهد، إيراد بعض الألفاظ التي وجه النقد إليها بالخطأ أو بالتصحيح.
- "محيط المحيط" أول معجم ألفه اليسوعيون على نهج المدرسة المهجائية العادية.
- قصد البستاني من تأليفه "إحياء اللغة العربية من رقدتها".
- صدر معجمه بمقدمة مهمة، ومادته هي مادة "القاموس المحيط"، مضافاً إليها بعض الزيادات المهمة من المعاجم الأخرى.
- له منهجه وهو منهج الأبيجدية العادية مع محافظته على عبارة الفيروزآبادي في شرحه للكلمات.
- "لحيط" البستاني مميزات منها: زيادته بعض الألفاظ، والاستعمالات الصرفية والنحوية، وعنايته بالشواهد وعزوها لذويها، وعنايته كذلك بضبط الكلمات بأشكال الضبط المختلفة.
- "أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد" للخوري أحد معاجم اليسوعيين.
- "المنجد" معجم لغوي ألفه معلوف اليسوعي بغية إخراج معجم يفي بحاجة الباحث والدارس دون إخلال بالمراد.
- تم افتتاح مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٤م؛ وذلك لتحقيق الأغراض الآتية:
  - أ - المحافظة على سلامة اللغة، وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون.
  - ب - القيام بوضع معجم تاريخي للغة العربية مع نشر أبحاث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيير مدلولاتها.
  - ج - تنظيمه لدراسات علمية اللهجات العربية الحديثة.

- د - الاهتمام ببحث كل ما نه شأن في تقدم العربية وتطويرها، ووضعه معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون، ووضع معجم تاريخي، ومعجم اللهجات العربية.
- المعجم الوسيط نتاج معجمي لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، قام بتأليفه ثلة من أعضاء المجمع.
- يعد المعجم الوسيط تحديثاً للمعجم العربي.
- يرى المجمع ألا يكون دور "المعجم الوسيط" مقصوراً على طلاب التعليم فقط، بل يتعين أن يكون مرجعاً وافياً للكاتب والدارس والمثقف.
- "المعجم الكبير" معنىً بتأليفه بمجمع الخالدين (بمجمع اللغة العربية) بالقاهرة، وقد شرع المجمع في تأليفه، وأخرج منه ستة أجزاء.
- في هذا المعجم يذكر في صدر كل قسم من المادة الواحدة الألفاظ التي تقابلها من اللغات السامية، شقيقات العربية مع كتابتها بالحروف اللاتينية.
- إذا كان اللفظ غير أصلي في اللغات السامية، منقولاً إليها من اللغات الأجنبية الأخرى ذكر أصله بصورته الأصلية.
- رتب المواد بحسب الحرف الأول فالثاني فالثالث.
- سار على نسق فريد وجديد في اللغة؛ حيث بدأ بالهمزة متناولاً إياها من جميع نواحيها.

## اختبار الوحدة الخامسة

أولاً: أسئلة الصواب والخطأ:

ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة وعلامة (X) أمام العبارة الخاطئة فيما يأتي:

- ١- "أساس البلاغة" معجم ألفه البرمكي.
- ٢- "المنتهى في اللغة" معجم لغوي للزمخشري.
- ٣- "المصباح المنير" معجم لابن منظور المصري، فُج منهج القافية، وهدفه الاستقصاء.
- ٤- أغفل "المصباح" ضبطه للألفاظ، كما أغفل المصطلحات الفقهية والمعاني الشرعية.
- ٥- "مختار الصحاح" مؤلف معجمي هدفه اختصار "صحاح العربية" للجوهري، فُج فيه مؤلفه منهج مدرسة الأبجدية العادية.
- ٦- "محيط المحيط" معجم للبستاني هدفه إحياء اللغة العربية من رقدتها، فُج فيه مؤلفه منهج الأبجدية العادية.
- ٧- "أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد" معجم ألفه الأب لويس معلوف اليسوعي.
- ٨- "المنجد" معجم لغوي لسعيد الخوري، غرضه إخراج معجم يفني بحاجة الدارس المبتدئ، فُج فيه مؤلفه منهج الأبجدية العادية.
- ٩- تم افتتاح مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٠٥م.
- ١٠- ليس من أغراض المجمع اللغوي وضع معجمات صغيرة لمصطلحات العلوم والفنون، أو وضع معجم تاريخي أو وضع معجم اللهجات العربية.
- ١١- وضع مجمع الخالدين (المجمع اللغوي) المعجم الوسيط؛ ليكون مرجعاً وافياً للكاتب والدارس المثقف.
- ١٢- رتب "المعجم الوسيط" الصيغ في داخل كل قسم، فقدم المزيد على المجرد كما لم يفصل الأفعال اللازمة من الأفعال المتعدية.

- ١٣- خلا "المعجم الوسيط" من استعماله للرموز للاختصار والتفسير.
- ١٤- "المعجم الكبير" معجم يؤلفه مجمع اللغة العربية في القاهرة، يُعنى فيه المجمع بتصديره كل قسم من المادة الواحدة بالألفاظ التي تقابلها من اللغات السامية، شقيقات العربية مع كتابتها بالحروف اللاتينية ليخف نطقها ويسهل على الباحثين، ووضعها بين قوسين معقوفين.

ثانياً: أسئلة الاختيار من متعدد:

١- أساس البلاغة للزمخشري:

أ- رأس المدرسة المحاجية العادية.

ب- رأس المدرسة الصوتية.

ج- رأس مدرسة القافية.

٢- يعنى أساس البلاغة باللفظة:

أ- مفردة.

ب- داخل سياقها.

ج- على الحالين معاً.

٣- من مآخذ بعض اللغويين على الزمخشري في أساس البلاغة:

أ- قلة العزو.

ب- أدخله المواد الرباعية في الثلاثية.

ج- كلاهما.

٤- المصباح المنير لمؤلفه العلامة:

أ- ابن منظور.

ب- الفيومي.

ج- الزمخشري.

٥- أخذ على المصباح المنير للفيومي:

أ- الاختصار الشديد.

ب- السعة والإطالة.

ج- كلاهما خطأ.

- ٦- اتبع الفيومي منهج:
- أ- المدرسة الهجائية العادية.  
ب- مدرسة القافية.  
ج- المدرسة الصوتية.
- ٧- من مآخذ اللغويين على مختار الصحاح:
- أ- حذفه الشواهد.  
ب- الإكثار الشواهد.
- ٨- محيط المحيط معجم ألفه اليسوعيون على فنج:
- أ- المدرسة الصوتية.  
ب- المدرسة الهجائية العادية.  
ج- مدرسة القافية.
- ٩- أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد معجم لمؤلفه:
- أ- السبستاني.  
ب- الخوري.  
ج- معلوف اليسوعي.
- ١٠- المنجد معجم لغوي لمؤلفه:
- أ- معلوف اليسوعي.  
ب- السبستاني.  
ج- الخوري.
- ١١- اتبع المنجد منهج:
- أ- المدرسة الصوتية.  
ب- المدرسة الهجائية العادية.  
ج- مدرسة القافية.
- ثالثاً: الأسئلة المقالية:
- ١- عرف بالإمام الزمخشري، ثم أفصح عن أبرز مؤلفاته العلمية.
- ٢- المدرسة الهجائية العادية مدرسة معجمية، لها منهجها ومقاصدها ومؤلفاتها وأعلامها. اشرح هذه النقاط في ضوء ما تمت دراسته لك.

- ٣- "أساس البلاغة" للإمام الزمخشري يمثل فكر إحدى المدارس المعجمية، وتسمى تسميته إلى منهجه، وتكشف عن مقصده. فصل القول في هذه النقاط، في ضوء ما درست.
- ٤- قارن بين كتابي "تاج اللغة"، و"صحاح العربية" للجوهري و"أساس البلاغة"، و"الميزان" من حيث: المآخذ، وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف، والقوة، والضعف.
- ٥- وازن بين معجمي "القاموس المحيط"، و"أساس البلاغة" من حيث الدراسة، والهدف، ومنهج المعالجة، والمميزات، والمآخذ.
- ٦- لكل من البرمكي والزمخشري دوره في بناء المدرسة المعجمية المسماة بـ "المدرسة الهجائية العادية". اذكر دور كل منهما على ضوء ما درست.
- ٧- اعز معجم "المصباح المنير" لمؤلفه ثم عرّف به.
- ٨- مختار الصحاح معجم لغوي درست.
- فما المدرسة المعجمية التي يعزى إليها؟ ومن مؤلفه؟ وما هدفه؟ وما منهجه؟ وفيه يتفق "والصاح"؟ وفيه تختلف الطبعة التي أصدرتها وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٠٥م عن طبعته الأولى؟
- ٩- استمد "محيط المحيط" محتواه العلمي من مصادر أصيلة، ومناهل عديدة. اشرح هذا القول شرحاً وافياً.
- ١٠- اذكر أهم ما يؤخذ على معجم البستاني "محيط المحيط".
- ١١- "أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد" اسم لمعجم لغوي درست. حدّد له مؤلفه هدفه، ورسم له منهجه. اشرح هذا القول في ضوء ما درست.
- ١٢- لمعجم "أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد" خصائصه. أفصح عنها ثم علل لكل منها.
- ١٣- المنجد معجم لغوي درست. اعزه لمؤلفه ثم أفصح عن هدفه.

١٤- لمجمع الخالدين في القاهرة نتاج معجمي عظيم الفائدة.  
اذكره مشفوعاً بخصائصه ودلالاته.

١٥- قال الحق تعالى:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُؤًا﴾ [الكهف: ١٠٢-١٠٦].

أ- ما الأصل اللغوي للكلمات التي فوق الخط؟

ب- رتب هذه الكلمات ترتيبها في المعاجم الآتية: "أساس البلاغة للزمخشري، المصباح المنير، المختار الصحاح".

١٦- قال رسول الله ﷺ:

"أعظم آية في القرآن: آية الكرسي، وأعدل آية في القرآن "إن الله يأمر بالعدل والإحسان"، وأخوف آية في القرآن "فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"، وأرجى آية في القرآن "يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً".

١- اذكر الجذر اللغوي لما فوق الخط.

٢- رتب هذه المواد ترتيبها في أساس البلاغة والمصباح المنير.

٣- اذكر مما سبق مفردات لا تحتاج إلى خطوات عند البحث عنها في المعجم.

## النشاط التعليمي للوحدة الخامسة

عزيزي الدارس: حتى تكتسب المزيد من المعلومات حول الموضوعات الواردة في هذه الوحدة، عليك أن تقوم بتنفيذ النشاط التعليمي التالي:

- إعداد بحث موضوعي حول فكر مدرسة المهجائية العادية تناول فيه ترتيبها التاريخي وبواعث نشأتها، ومقاصدها ومنهجها وأبرز ملامحه وسماته، وأثرها في الدراسات اللغوية وبخاصة المعجمية.
- ادع زملاءك للتداول معهم في مؤلفات هذه المدرسة كالمصباح المنير، ومختار الصحاح، ومعاجم اليسوعيين، مع دعوتهم قبل محاورتهم للقراءة في أمهات الكتب حول هذا الموضوع. وإعدادهم قبل محاورتهم عنه لتنظيم جزئياته وكلياته ثم اكتب عقب انتهاء ذلك - تقريراً تُررّز فيه أهم نقاط التداول ومواضع الاتفاق والاختلاف بينهم، متبعاً ذلك رأياً محايداً لمناصرة الحق وتأييد الرأي السديد.

الصفحة	الموضوع
٤	رسالة إلى الدارس
٥	لوحة المسار لدراسة وحدات الكتاب
٦	خريطة مكونات الكتاب
١٥٦-٧	<b>القسم الأول: اللهجات العربية واختلافها</b>
٧٢-٨	<b>الوحدة الأولى: اللهجة وعوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة</b>
٩	مبررات دراسة الوحدة
١٢	الرسم الخطي للوحدة
١٣	الفصل الأول: تمهيد وتوطئة
١٤	لمحة تاريخية عن اللغات السامية
١٤	أقسام اللغات السامية
١٦	بين اللغة واللهجة
٢٢	الفصل الثاني: اللهجة
٢٣	اشتقاق اللهجة وتعريفها
٢٥	الصفات الصوتية التي تؤدي إلى اختلاف اللهجات
٢٧	علاقة اللغة واللهجة بالصوت
٢٩	الظواهر اللغوية التي تدل على انحدار طائفة من اللغات من أصل واحد
٣١	التوزيع الجغرافي للغة واللهجة
٣٤	عوامل نشأة اللهجات

٤٢	هل البلبلة سبب في اختلاف اللهجات
٤٤	الفصل الثالث: عوامل التوحيد وتكوين اللغة المشتركة
٤٩	وحدة النطق في العالم العربي
٥١	عناصر اختلاف النطق في العالم العربي ووسائل توحيد
٥٤	وسائل توحيد النطق في العالم العربي
٥٦	خلاصة الوحدة الأولى
٦٥	اختبار الوحدة الأولى
٧٢	النشاط التعليمي للوحدة الأولى
١٥٦-٧٣	<b>الوحدة الثانية: القبائل العربية وصراع اللهجات</b>
٧٤	مبررات دراسة الوحدة
٧٦	الرسم الخطي للوحدة
٧٧	الفصل الأول: القبائل العربية وصراع اللهجات
٧٨	بين العدنانية والحميرية
٨١	العربية الباقية
٨٣	صراع اللهجات العربية الباقية وسيادة لهجة قريش
٨٦	معالجة القدامى للهجات
٨٧	مقاييس الفصاحة لدى العلماء
٩٠	أدلة تعدد اللهجات
٩٤	الفصل الثاني: مظاهر اختلاف اللهجات
٩٦	الفتح والإمالة
٩٨	الفك والإدغام

١٠٠	الإبدال
١٠٦	ما يتعلق بالإعراب
١٠٩	الاختلاف في أوجه البناء والبنية
١١١	بين الإعراب والبناء
١١٣	الزيادة والنقصان
١١٦	هيئة النطق
١١٩	الفصل الثالث: تعدد المعنى للفظ واحد (الترادف اللغوي، القلب)
١٢٠	المشترك اللفظي
١٢٤	التضاد
١٢٧	الترادف
١٣٧	الفصل الرابع: لهجة بني أسد واللهجة المصرية
١٣٩	الأصوات الساكنة
١٤١	الأصوات الصائتة
١٤٥	من ناحية التراكيب والجملة
١٤٦	خلاصة الوحدة الثانية
١٥٠	اختبار الوحدة الثانية
١٥٦	النشاط التعليمي للوحدة الثانية
١٥٧-٣٢٨	<b>القسم الثاني: المعاجم العربية مدارسها ومناهجها</b>
١٥٨-١٩٠	<b>الوحدة الأولى: نشأة المعاجم وأهميتها</b>
١٥٩	مررات دراسة الوحدة
١٦٠	أهداف دراسة الوحدة

١٦١	الرسم الخطي للوحدة
١٦٢	أهمية المعجم
١٦٤	معنى المعجم
١٦٦	نشأة الفكر المعجمي
١٦٧	بداية النشاط المعجمي لدى العرب
١٧١	أسباب تأليف المعاجم
١٧٢	مراحل جمع اللغة
١٧٤	منهج العلماء في جمع اللغة
١٧٧	المدارس المعجمية
١٨١	خلاصة الوحدة الأولى
١٨٧	اختبار الوحدة الأولى
١٩٠	النشاط التعليمي للوحدة الأولى

١٩١-٢٤٧

### الوحدة الثانية: مدرسة التقليبات الصوتية

١٩٢	مبررات دراسة الوحدة
١٩٥	الرسم الخطي للوحدة
١٩٦	الفصل الأول: كتاب العين، التهذيب، المحيط
١٩٩	الهدف من تأليف العين
١٩٩	منهجه
٢٠٢	آراء العلماء في نسبة العين للخليل
٢٠٨	الخليل ودعوى التقليد
٢١٣	العين في ميزان النقد

٢١٥	تهذيب اللغة
٢١٦	الهدف من تأليفه
٢١٧	منهجه
٢١٩	التهذيب في ميزان النقد
٢١٩	مميزاته
٢٢٠	الماخذ
٢٢٠	المحيط في اللغة
٢٢٠	الهدف من تأليفه
٢٢١	المحيط في ميزان النقد
٢٢٣	الفصل الثاني: كتابا "البارع"، و "المحكم والمحيط الأعظم"
٢٢٤	أولاً: البارع في اللغة:
٢٢٦	منهجه:
٢٢٨	البارع في الميزان
٢٣٠	المحكم والمحيط الأعظم
٢٣١	المحكم في الميزان
٢٣٤	خلاصة الوحدة الثانية
٢٤٢	اختبار الوحدة الثانية
٢٤٧	النشاط التعليمي للوحدة الثانية
٢٤٩-٢٦٦	<b>الوحدة الثالثة: مدرسة التقليبات الهجائية</b>
٢٥٠	مبررات دراسة الوحدة
٢٥٢	أهداف دراسة الوحدة

٢٥٣	الرسم الخطي للوحدة
٢٥٤	الجمهرة في اللغة
٢٥٦	بين ابن دريد والخليل
٢٥٧	الجمهرة في الميزان
٢٦٠	خلاصة الوحدة الثالثة
٢٦٢	اختبار الوحدة الثالثة
٢٦٦	النشاط التعليمي للوحدة الثالثة

٢٦٧-٣٠٢

### الوحدة الرابعة: مدرسة القافية

٢٦٨	ممرات دراسة الوحدة
٢٦٩	الرسم الخطي للوحدة
٢٧١	تاح اللغة وصحاح العربية
٢٧١	مؤلفه
٢٧٢	هدفه
٢٧٣	منهجه
٢٧٥	الصحاح في الميزان
٢٨٠	لسان العرب
٢٨٠	مؤلفه
٢٨٠	هدفه
٢٨١	منهجه
٢٨٢	اللسان في الميزان

٢٨٤	الفصل الثاني: القاموس المحيط وتاج العروس
٢٨٦	القاموس في الميزان
٢٨٨	تاج العروس
٢٩٠	التاج في الميزان
٢٩٢	خلاصة الوحدة الرابعة
٢٩٦	اختبار الوحدة الرابعة
٣٠٢	النشاط التعليمي للوحدة الرابعة
٣٢٨-٣٠٣	<b>الوحدة الخامسة: المدرسة الهجائية العادية</b>
٣٠٤	ميررات دراسة الوحدة
٣٠٦	الرسم الخطي للوحدة
٣٠٧	الفصل الأول: أساس البلاغة
٣٠٨	مؤلفه
٣٠٨	هدفه
٣٠٩	منهجه
٣١٠	أساس البلاغة في الميزان
٣١١	المصباح المنير
٣١٢	المصباح في الميزان
٣١٢	مختار الصحاح
٣١٣	المختار في الميزان
٣١٤	الفصل الثاني: معاجم اليسوعيين
٣١٥	محيط المحيط

٣١٥	أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد
٣١٦	المنجد
٣١٨	موقف مجمع اللغة العربية من المعاجم
٣١٨	المعجم الوسيط
٣١٩	المعجم الكبير
٣٢٠	خلاصة الوحدة الخامسة
٣٢٣	اختبار الوحدة الخامسة
٣٢٨	النشاط التعليمي للوحدة الخامسة
٣٣٦-٣٢٩	فهرس الكتاب